الواضح في النحو

الدكتور محمد خير الحلواني

دار المأمون للتراث

الوَاضِحُ في ٱلنَّحو

الطبعة السادسة

- مزيدة ومنقحة -

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار المأمون للتراث

دمشق - ص.ب ٤٩٧١ - هاتف ٢٢٢٩٨٢٠ - فاكس ٢٢٢٧٤٦٩

بيروت - شارع قردان - هاتف ٨١٠٥٧١

الوَاضِحُ فِي النَّحْو

الدكتور محمد خير الحلواني

دار المأمون للتراث

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

شاء الله لهذا الكتاب ـ ولصاحبه ـ أن يُشرِّقا في الوطن العربي وأن يُغرِّبا ، وأن يدخلا غيرَ جامعة ، وأن يرودا آفاقاً كثيرة . .

أما الكتاب فقد نشأ في أحضان الجامعات السورية ، وترعرع عليه أجيال من الطلاب في جامعة تشرين ، وكان مرجعاً لكثير من طلاب جامعتي دمشق وحلب ، ثم صار مرجعاً مقرراً في جامعة الموصل منذ ١٩٧٧ ، وفي جامعة عدن في سنة ١٩٧٨ ، ثم قرر ودُرِّس في جامعات المغرب ولا سيما في الرباط والدار البيضاء ومراكش ووجدة وفاس ، ثم قرر أخيراً في جامعة الإمارات العربية المتحدة . وأبرز صفاته الوضوح والعرض المبسَّط للقواعد ، والاعتماد على الشواهد السهلة وتحليلها ، وإعراب بعض كلماتها أحياناً .

والله أسأل أن يوفق إلى الصواب ، وأن يجد فيه المراجع ما يبتغي من فائدة .

د. محمد خير الحلواني

المدخل

وَحَداتُ التَّركيبِ اللُّغويِّ وأقْسامُها

وحدات التركيب اللغوي وأقسامها

رأينا في قسم الصرف أن الأصوات هي أصغر الوحدات في البنية ، ثم تليها المقاطع التي تؤلف الكلمات .

أما في قسم النحو فإن الكلمة هي الوحدة الصغرَى ، ومن مجموعها يتألف التركيب اللغوي .

ومن هنا يتبين لك أن البنية اللغوية تتجه من الأصغر إلى الأكبر ، أي أن :

- الأصوات اللغوية تؤلف المقاطع .
- والمقاطع تؤلف الكلمات .
- والكلمات تؤلف التراكيب .
- والتراكيب تؤلف الكلام .

وقد درسنا في قسم الصرف الأصوات ، والمقاطع ، وسندرس هنا الكلمة ، والتركيب . فما الكلمة ؟

١ ـ مفهوم الكلمات :

كثيراً ما تتدخل الكتابة في ترسيخ مفهومات لغوية لا تخلو من خطأ ، كما أنها أحياناً تفيد في تحديد بعض المفهومات المجردة ، فبفضلها مثلاً يتحدد مفهوم الكلمة . . لأننا حين نتكلم لا تظهر الحدود الفاصلة بين كلمة وأخرى . ويظهر لك هذا بوضوح حين تستمع إلى إنسان يتكلم بلغة لا تعرفها ، فإنك لا تستطيع أن تميز كلمة من أخرى ، وكذلك الشأن في لغتك القومية ، فنحن لا ننطق الكلمة ، ثم نتوقف ، ثم ننطق الأخرى ، بل تتصل الكلمات بعضها ببعض حتَّى لا تمييز بينها .

ولكننا حين نكتب الكلام إنما نكتبه على شكل كلمات منفصلٍ بعضها عن بعض ، وذلك يساعد مساعدة كبيرة في تحديد مفهوم الكلمة ، الذي هو : « وحدة لغوية تترابط مع مثيلاتها في التركيب اللغوي » لأداء الغرض

المقصود ، ويمكن أن يفصل بعضُها من التركيب ويستقل عنه ، على حين لا يفصل بعضها الآخر ولا يستقل ، وإلا فقد دلالته ، كما سوف نَرَى بعد قليل » .

٢ ـ أقسام الكلمات :

قسم النحاة العرب كلمات اللغة إلى اسم ، وفعل ، وحرف ، وقد اعتمدوا في ذلك معاييرَ لغوية خاصة ، هي :

١ ـ معيار البنية أو الشكل .

٢ ـ معيار الدلالة .

٣ ـ معيار الوظيفة .

كما سلكوا في دراسة هذه الأقسام مسلكين واضحين جداً ، أولهما : تحليلي ، وثانيهما تركيبي . .

وتوضيح ذلك أنهم حللوا التركيب إلى عناصره ، فميزوا بين الاسم ، والفعل ، والحرف ، ثم تناولوا كلاً منها بالتحليل الدقيق ، فتحدثوا مثلاً عن أقسام الاسم ، وهي : الاسم ، والصفة ، والضمير ، والظرف ، والإشارة ، والموصول . وعن أقسام الفعل ، كالماضي ، والمضارع ، والأمر ، والجامد ، والمتصرف ، والمجرد ، والمزيد . وعن أقسام الحرف ، كالمختص ، وغير المختص .

ولكنهم بعد هذه العملية التحليلية رأوا في كل قسم سمات مشتركة في الشكل ، والدلالة ، والوظيفة ، فربطوا بينها ، وجمعوها في قسم كبير ، ثم درسوها على أنها قسم واحد ذو أنواع متعددة[1] .

وسندرس هنا كل قسم منفرداً ، وسنفصّل الحديث عن المعايير الثلاثة التي ذكرناها . .

الاسم :

لا بد لنا من أن ننبه إلى ان الحديث عن أقسام الكلمة تتداخل فيه السمات

(١) حاول بعض اللغويين المعاصرين تقسيم الكلام العربي إلى سبعة أقسام ، محاكياً النحو الإنكليزي . وقد اكتنف محاولته كثير من التكلف .

النحوية والسمات الصرفية ، لأن المعايير الثلاثة متداخلة وليست متمايزة ، فلنبدأ بالحديث عن الاسم . .

آ ـ معيار الشكل :

١ ـ رأينا في قسم الصرف أن للاسم المجرد صيغاً خاصة ، وأن أقصَى ما يتألف منه يبلغ خمسة أحرف ، مثل : سفرجل . وأن أقل ما يكون عليه حرفان ، مثل : يد ، دم ، غد[1] . إلا إذا كان ضميراً متصلاً فحينئذٍ قد يكون على حرف واحد مثل تاء الفاعل المتحركة . على أن جمهرة الأسماء العربية ثلاثية الأصول ، ثم تلحقها الزوائد لأداء معان فرعية خاصة .

٢ ـ وهذه الزوائد خاصة به دون غيره ، ولهذا يمكن أن تتخذ دليلاً على اسمية الكلمة ، وأهمها « أَلْ » التي هي لاصقة تفيد معنَى فرعياً في الاسم ، فتدل على التعريف ، وهو أن يكون الاسم الذي تُلْصَق به ذا مدلولٍ محدد ليس بذي شيوع ، فحين تقول لصاحبك : « إني ذاهب إلى الجامعة » . تكون ذاهباً إلى جامعةٍ معروفة ، وهي الجامعة التي تنتسب إليها ، وسيفهم صاحبك هذا التحديد بدقة .

ولكنها في بعض الأحيان لا تدل على شيء محدد ، بل تستعمل لتحدد « جنس » الشيء العام ، كأن تقول مثلاً : « الجامعة خيرٌ من المدرسة » فأنت هنا لا تحدد جامعة دون أخرى ، ولكنك تقصد هذا « الجنس » من المؤسسات العلمية ، وكذلك لو قلت : « الأم مدرسةٌ مهمة في حياتنا » أو قلت : « الأسدُ أقَوى الحيوانات بدناً » . أو قلت : « في البحر ما تشاء من جواهر ومخاطر » .

٣ ـ ومن لواحق الاسم التنوين ، وهو نون ساكنة لا تلحق جميع الأسماء ، بل تلحق معظمها ، وهذا ما سنتحدث عنه في فقرة تالية ، إلا أن هذه النون تنطق ولا تكتب ، فنحن ننطق : « قلمُنْ ، دفترُنْ ، كتابُنْ » . ولكننا نكتب : « قلمٌ ، دفترٌ ، كتابٌ » .

---

(١) يَرى القدماء أن هذه الكلمات في الأصل مؤلفة من ثلاثة أصول ، ولكن حذف الثالث منها اعتباطاً ، ويستدلون على ذلك بعودة ما حذف منها بالتصريف ، كالجمع ، والتثنية ، والتصغير ، والنسب . وقد مرت بك هذه البحوث في قسم الصرف .

وهذه النون الساكنة تلحق الأسماء النكرات ، فإذا دخلت « أل » على الاسم ، أو أضيف إلى اسم آخر ، حذفت النون من النطق ، لأنها تمثل خاتمة لفظية للاسم .

وههنا ظاهرة مهمة ، هي أن بعض الصفات يُنقل من مدلوله الخاص ، ليصير اسم علم ، فالناس يسمون أبناءهم هذه الأسماء : خالد ، حسن ، محمود ، محمد ، علي ، الخ . . . وهذه في الأصل نكرات منونة ، فحين تنتقل إلى العلمية تحافظ على شكلها وتنوينها .

٤ ـ ويلحق بالاسم أيضاً علامات الجمع والتثنية ، وهي إشارات إعرابية ، فالجمع في حال الرفع تلحقه الواو : « خالدون ، ذاهبون » ، وفي حالي النصب والجر تلحقه الياء : « خالدين ، ذاهبين » . وتلحقه نون مفتوحة في جميع الحالات . أما المثنّى فتلحقه الألف في حال الرفع ، والياء في حالي الجر والنصب . وتلحقه نون مكسورة في جميع الحالات .

٥ ـ وكذلك تلحق الاسم علامات التأنيث ، وهي الألف المقصورة مثل : سَلمَى ، وليلَى ، والألف الممدودة مثل : صحراء ، وبيداء ، والتاء مثل : فاطمة ، وخالدة .

ب ـ معيار الدلالة :

والاسم منوع الدلالة ، ولكنه بشكل عام يدل على واحد من المعاني الأربعة التالية :

١ ـ الذات : مثل : « شجرة ، رجل ، عطر ، رائحة ، عدنان » .

٢ ـ الحدث : مثل : « نجاح ، انتصار ، عمل ، جِدٌّ ، إدراك » .

٣ ـ الوصف : مثل : « ناجح ، مرغوب ، حسن ، أكبر » .

٤ ـ معنًى فرعي : « كالإشارة ، والاستفهام ، والشرط ، والمتكلم ، والمخاطب ، والغائب » .

وليست الأسماء سواء في الدلالة ، فمنها ما يدل على معانٍ محددة ، كأسماء العَلَم ، وبعض الأسماء تدل على الأجناس ، مثل : حجر ، بحر ، نهر . وبعضها الآخر يدل دلالة مبهمة غير محددة ، كالإشارة ، والموصول ، والأعداد ، ومثل ، وغير ، وبعض ، وكل ، والجهات ، والمكاييل ، والموازين ، وقبل ، وبعد ، و . . .

ودلالة الاسم ليست ثابتة فيه ، فقد تتطور ، وتتحول بالاستخدام وكثرة الشيوع والتداول إلى معنى آخر ، كأن يتحول الوصف إلى الدلالة على الذات ، وحينئذٍ يعامل في تصريفه معاملة الأسماء ، كما ترَى في الجدول الآتي :

أ ـ ١ ـ الأسود : صفة مشبهة تدل على الاتصاف بالسواد وتُجمع على : سود .

٢ ـ الأدهم : صفة مشبهة تدل على الاتصاف بالدُهْمة ، وتجمع على : دُهْم .

٣ ـ الأجدل : صفة مشبهة تدل على الاتصاف بالقوة ، وتجمع على : جُدْل .

ب ـ ١ ـ الأسود : اسم يطلق على الثعبان يجمع على : أساوِد .

٢ ـ الأدهم : اسم يطلق على القيد يجمع على : أداهم .

٣ ـ الأجدل : اسم يطلق على الصقر يجمع على : أجادل .

وبهذا يتبين لك أن الكلمة حين تتحول من الوصف إلى الاسم المجرد يختلف تصريفها ، وهذا يدل على العلاقة المتفاعلة بين الاسم والصفة .

وثمة ظاهرة أخرى هي أن الاسم قد يفرغ من مدلوله العُرْفي ، وينقل إلى مدلول آخر ، وغالباً ما يكون هذا في :

١ ـ **الأعلام** : فالأسماء : زينب ، وعثمان ، وعدنان ، وخالد . كانت تدل على : شجرة ، وثعبان صغير ، ودائم ، وباق ، ولكنها فُرِّغت من هذه المعاني وصارت مجرد رموز لرجال معينين .

٢ ـ **الألقاب** : ويلحق بالعلم اللقب ، وهو جزء منه ، كالمتلمس ، وهو لقب شاعر معروف ، وكذلك الأعشَى ، والنابغة ، والأخفش ، هذه الألقاب كلها كانت ذات دلالات خاصة ، ولكنها صارت بعد النقل مجرد رموز لشعراء أو لعلماء معينين .

٣ ـ **المصطلحات** : ويلحق بهذين المصطلح العلمي أو الأدبي ، فكل كلمة تُسْتَعمل مصطلحاً ، تترك معناها الأصيل ، وتصير رمزاً خاصاً في بعض العلوم ، ودونك جدولاً يبين لك هذا بوضوح :

الكلمة	المعنَى اللغوي	المعنَى الاصطلاحي
النحو	الاتجاه	رمز لِعِلْم معروف
البيت	مأوَى الإنسان	سطر من الشعر
الرَّفْعُ	مصدر للفعل « رَفَعَ »	رمز للضمة فوق الكلمة

جـ ـ معيار الوظيفة :

ويشغل الاسم في التراكيب وظائف لا يشغلها الفعل ، ولا الحرف ، فهو الذي يكون مفعولاً ، وحالاً ، وتمييزاً ، ومنادَىً ، ومستَثنىً ، ومضافاً إليه ، وتابعاً ، وبهذا تُشْمَل بعضُ الأسماء التي لا تقع موقع المسند إليه ، كاسم الاستفهام « كيف » ومثيله « أين » ، وبعض أسماء الشرط مثل : « إذا ، ومتى ، وحيثما ، وأيَّان ، وأنَّى » ، وبعض الظروف مثل : « إذْ ، ومُذْ ، والآنَ ، وثَمَّ ، وهنا ، و . . . » .

د ـ أنواع الأسماء :

بعد أن وقفنا على خصائص الاسم ، والمعايير الثلاثة التي استند إليها النحاة في تمييزه ، نجد من اللازم أن نعرض أنواع الاسم ، لتكتمل الرؤية النحوية العامة له .

وهذا التقسيم يستند إلى أصل لغوي وصفي ، هو التصرف ، فبعض الأسماء يتصرف تصرفاً تاماً ، وأخرَى تصرفها ناقص ، ونوع ثالث لا يتصرف البتة .

ومعنَى التصرف هنا هو أن يتحول الاسم من مفرد إلى مثنًى ، إلى جمع ، وأن يقبل الحركات الإعرابية الثلاث ، وهي النصب ، والجر ، والرفع ، وأن يدخله « أل » ، والتنوين .

١ ـ ومعظم الأسماء العربية من النوع الأول ، فهي تامة التصرف ، كما ترَى في الكلمة « ملعب » ، تقول : الملعبان ، والملاعب ، وملعبٌ ، وملعبٍ ، وملعباً .

٢ ـ أما النوع الثاني فهو أقل تصرفاً ، لأنه أولاً لا يقبل التنوين ، ولأنه لا يدخله من حركات الإعراب إلا اثنتان ، هما الفتحة ، والضمة ، أما الكسرة

التي تختص بالأسماء العربية فلا تدخله ، بل تنوب عنها الفتحة ، ومن أجل ذلك يسمّى هذا الضرب من الأسماء « الممنوع من الصرف » أو « الممنوع من التنوين » ، ومن أمثلته اسم العلم « عدنان » ، تقول : جاءَ عدنانُ . [من دون تنوين] ورأيتُ عدنانَ . [من دون تنوين] ، وهذا كتابُ عدنانَ [بفتحة نائبة عن كسرة . وبلا تنوين] .

٣ ـ أما ثالث هذه الأنواع فهو الذي لا يتصرف البتة ، بل إنه يشبه الحرف في شكله ، وفي دلالته ـ كما سترَى ـ ولذلك جاء كالحرف ، فهو لا يثنَّى ، ولا يجمع ، ولا ينون ، ولا تدخله « أل » ، ولا حركات الإعراب ، بل يكون ساكن الآخر ، مثل : كَمْ ، ومَنْ . إلا إذا كان هناك ظاهرة صوتية تمنع من سكونه ، كما في كَيْفَ ، وأَيْنَ ، فقد تحركت الفاء ، والنون ، لأنهما لو سكنتا لالتقَى ساكنان ، وهذا ليس من نظام العربية . ويقال لهذا النوع : الاسم المبني .

وسوف نتحدث عن الممنوع من الصرف ، والمبني حديثاً مفصلاً فيما يأتي من فصول هذا الكتاب .

الفعل :

ونتتقل الآن إلى الفعل ، وهو ثاني الأقسام الثلاثة ، وسوف نكشف عن سماته الشكلية ، والدلالية ، والوظيفية ، ونتحدث عن أنواعه على غرار ما مر في الحديث عن الاسم .

آ ـ معيار الشكل :

١ ـ يتميز الفعل في العربية بأن له صيغاً خاصة ، يختلف بها عن الاسم ، والحرف . وقد بحثنا ذلك بتفصيل في قسم الصرف ، ويكفي هنا أن نثبت هذه الصيغ بإيجاز :

١ ـ فَعُلَ : هي الصيغة التي تمثل الفعل الثلاثي المجرد ، إذا كان يدل على الزمن الماضي ، وقد تلحقها الزوائد في أولها ، ووسطها ، مثل : أَفْعلَ ، فَعَّل ، فاعلَ ، تفاعلَ ، تفعَّلَ ، افتعلَ ، استفعلَ .

٢ ـ يَفْعُلُ : هي الصيغة التي تمثل الفعل الثلاثي المجرد إذا دل على الزمن الحاضر أو المستقبل ، وتلحقها الزوائد السابقة ، فيقال : يُفْعِل ،

يُفَعِّل ، يُفاعِلُ ، يتفاعلُ ، يتفعَّلُ ، ويفتعَلُ ، ويستفعلُ .

٣ ـ إفْعِل : وهذه صيغة الفعل الثلاثي المجرد حين يدل على معنًى الأمر ، أو الطلب ، أو الدعاء ، وتلحق به الزوائد السابقة .

٢ ـ ويتميز الفعل عن الاسم والحرف بلواحق ولواصق تختص به ، ولكل فعل لواحق خاصة ، وذلك كمايلي :

١ ـ **الفعل الماضي** : يعرف الفعل الماضي بأنه تلحق به تاء التأنيث الساكنة ، وتاء الفاعل المتحركة ، مثل قول الشاعر القديم :

أَلَمَّتْ فحَيَيتْ ثم قامتْ فودعتْ   فلما تولتْ كادتِ الروحُ تزهق

ومثال لحاق تاء الفاعل به قولنا : عرفْتُ ، وذهبْتَ ، وقرأْتِ .

وتلحق به أيضاً لواحق مشتركة بينه وبين غيره ، كواو الجماعة : (اكتبوا) ، وألف الاثنين (كتبا) ، ونون النسوة (كتبْنَ) و(نا) الدالة على الفاعلين : (كَتَبْنَا) .

٢ ـ **الفعل المضارع** : ويعرف المضارع بدخول « لم » و« لما » ، « ولام الأمر » و« لا » الناهية ، و« لن » و« كي » وهي أدوات خاصة به ، ومثلها أيضاً أدوات مشتركة مثل : أَنْ ، وإذن ، ومن اللواحق المشتركة واو الجماعة ، وألف الاثنين ، وياء المؤنثة المخاطبة ، ونون النسوة ، ونونا التوكيد .

٣ ـ **فعل الأمر** : ليس لهذا الفعل لواحق خاصة به ، وكل لواحقه مشتركة ، مثل : اكتبا ، اكتبوا ، اكتبي ، اكتبن ، علّمْنا ، علمني . . .

* * *

وحركات الفعل ليست إعرابية ـ باستثناء المضارع ـ ، وهذا يعني أنها تخضع في تغيرها لظواهر صوتية ، لا وظيفية .

فالفعل الماضي مثلاً مفتوح الآخر ، إلا إذا عرض عارضٌ صوتي ، فحينئذٍ يخضع لهذا العارض ، ليتحقق انسجام صوتي في النطق ، والأمثلة المحللة التالية توضح لك ذلك :

ـ كَتَبَ ـ كتبَتْ ـ كتبَا : بني الفعل على الفتح ، كما هو الأصل .

ـ كتبُوا : دخلت الواو هنا ، وهي صوت ممدود ، ولا يمكن أن يحصل بينها وبين الفتحة تجانس صوتي ، لأننا إذا فتحنا الباء تحولت الواو من صوت

ممدود إلى غير ممدود ، ومن أجل ذلك جيء بحركة غير إعرابية لتجانس الواو .

ـ كتبْتُ : هنا دخلت تاء الفاعل ، وهي متحركة ، فلو حافظت الباء على فتحتها لتوالت أربعة أحرف متحركة ، وهذا مما يجعل الكلمة أقل خفة ، ولذلك سكنت الباء للتخفيف ، وقد تحدثنا عن هذه الظاهرة في دراسة المقاطع الصوتية في قسم الصرف .

هذا الذي رأيناه في الفعل الماضي نراه أيضاً في فعل الأمر ، فهو مبني على السكون إلا إذا عرض عارض صوتي ، مثل : اكتبُوا ، اكتبِي ، اكتبَا . . .

أما الفعل المضارع فيختلف في بعض حالاته عن الفعلين السابقين ، ويتفق معهما في حالات أخرى ، فهو لا يخضع لعوارض صوتية في مثل : لم يكتبْ ، ولن يكتبَ ، ولكنه يخضع لها في مثل : يكتبْنَ ، ويكتبَنَّ .

وبهذا تجد حالات الفعل ـ من حيث الحركات ـ يختلف عن الاسم ، لأن حركات الثاني تتغير بتغير وظيفته ، أما الفعل فليس لوظائفه علاقة بحركاته .

ب ـ معيار الدلالة :

إن الفعل ذو دلالتين لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى ، أما الأولَى فهي دلالة عُرفية معجمية ، وهي « الحدث » ، وأما الثانية فدلالة صّرفية هي « الزمان » .

وإنما سميت الأولى عرفية لأن الفعل يدل عليها بلفظه ، أي : بمجموع أصواته التي تعارفت عليها البيئة اللغوية وجعلتها رمزاً لحدثٍ ما ، فالفعل يدل على ما اشتق منه ، فإن كان مشتقاً من المصدر دَلّ عليه ، مثل : أَكَلَ ، الذي يدل على « حدث الأكل » ، وضَرَبَ ، الذي يدل على « حَدَثِ الضرب » . وإن كان الفعل مشتقاً من شيءٍ حِسّيّ ، أو ذهني ، دَلَّ على الحدثِ منه ، فالفعل : تحجر . يدل على حدثِ التحوُّلِ إلى حجر ، والفعل : أصبح يدل على الدخول في الصباح .

أما الدلالة الثانية فهي دلالة صرفية ، لأن الفعل يدل عليها بصيغته ، لا بمجرد أصواته ، فإن كان من صيغة « فَعَلَ » ومزيداتها دل على الزمان الماضي ، وإن كان من صيغة « يفعلُ » ومزيداتها دل على الزمان الحاضر أو

المستقبل ، أما إن كان من صيغة « اِفْعَلْ » وما يتفرع عنها من مزيدات فإنه يدل على المستقبل .

والمعيار الذي يصنف به الزمان هذا التصنيف هو « لحظة التكلم » ، فإن كان الحدثُ وقع قبلها ولو بثانية واحدة كان ماضياً ، وإن كان يحصل في لحظات الكلام كان حاضراً ، وإن حدث بعدها كان مستقبلاً .

وأوثر أن أوضح الدلالتين كلتيهما بالمثال الآتي :

دخلَ ـــ يدخُلُ ـــ أُدخُلْ : الفعل بحالاته الثلاث يدل على حدث الدخول ، وهذا يعني أن « الحدث » يرتبط بلفظ الفعل لا بصيغته ، ولكنه يدل في « دخل » على الزمان الماضي ، وفي « يدخل » على الحاضر أو المستقبل ، وفي « ادخل » على المستقبل . وهذا يعني أن الدلالة الزمانية لا ترتبط باللفظ ، بل بالصيغة .

ولما كانت الصيغة واللفظ لا يمكن أن ينفصل بعضهما عن بعض ، كانت دلالتا الفعل متواشجتين ولا تنفصلان .

جـ ـ أنواع الفعل :

١ ـ وللفعل أنواع ، كما للاسم ، فمنه الفعل المتصرف ، وهو الذي يتحول من صيغة الماضي ، إلى صيغة المضارع ، وصيغة الأمر ، ومنه ما يتصرف تصرفاً ناقصاً ، فيكون مثلاً مضارعاً ، وأمراً ، ولا ماضيَ له ، ومنه ما يكون جامداً البتة ، فلا يأتي منه إلا صيغة واحدة ، كما ترَى في الجدول الآتي :

الماضي	المضارع	الأمر	النوع
دخل	يدخل	ادخل	متصرف تام التصرف
ـــ	يَدَعُ	دَعْ	ناقص التصرف
ليس	ـــ	ـــ	جامد
عَسَى	ـــ	ـــ	جامد

وكنا تحدثنا عن هذه الظاهرة بتفصيل في قسم الصرف ، وقلنا : إن التطور اللغوي هو الذي يجعل بعض الأفعال جامدة .

٢ ـ ومن أنواع الفعل : اللازم والمتعدي ، أما الفعل الأول فهو الذي

تقتصر دلالته على الإسناد ، ولا يحتاج في استيفائها إلى مفعول به ، كالأفعال : مشَى ، ونام ، وذهب ، فطبيعة هذه الدلالات أنها ذاتية ، أي : خاصة بالفاعل ، ولا حاجة بها إلى المفعول به ، تقول : مشَى الولد ، ونام أبي ، وذهب الصيفُ .

أما الفعل المتعدي فذو دلالةٍ لا يمكن أن تقتصر على الإسناد ، ولا بد لها من أن تتجاوزه إلى ما تقع عليه ، وهو المفعول به ، فالفعل « ضرب » مثلاً لا يمكن أن تُستوفَى دلالته بقولنا : « ضَرَبَ الولدُ » . لأن معنَى الضرب لا بد له من أن يتجاوز الإسناد ، أي : أن الذهن لا يستطيع أن يتصوره إلا إذا عرف من الضارب ، ومن المضروب ، ويعرف الفعل المتعدي بقبوله كاف الخطاب أو ما يشبهها من الضمائر المتصلة ، فيقال مثلاً : ضربك ، وسمعه ، ونالها ، ولا يقال : مشاكَ ، وذهبكَ ، ونامَك . فالأفعال الثلاثة الأولى متعدية ، والأخرى لازمة .

الحرف :

آ ـ معيار الشكل :

يختلف الحرف في بنيته الشكلية عن الفعل ، وعن الاسم ، فهو لا يخضع لمقاييس خاصة ، ولا ينتظم في صيغ معينة ، وفضلاً عن ذلك فإن ما يتألف منه يختلف بين حرف وآخر ، فمنه ما يكون مؤلفاً من صوت واحد ، كاللام ، والباء الجارّتين ، ومنه ما يكون من صوتين ، مثل : لَمْ ، ولَنْ ، وأَنْ . ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة أصوات ، مثل : ليتَ ، وإذن . أو أربعة مثل : لعلَّ ، وكأنَّ ، وحتَّى .

ب ـ معيار الدلالة :

ليس للحرف دلالة عرفية ، فهو ليس رمزاً لمادة حسية ، أو معنوية ، ويقتصر أمره في هذا على الدلالة السياقية التي لا تظهر إلا في السياق ، وهي دلالة ذهنية خالصة ، كالنفي ، والاستفهام ، والشرط ، والتوكيد ، والتمني ، والترجي ، وأشباه ذلك .

جـ ـ نوع الحرف :

والحروف نوعان، نوع خاص بالأسماء أو بالأفعال ، ونوع لا يختص بأحد القبيلين ، فمما يختص بالأسماء « إنَّ » وأخواتها ، وأحرف الجر ، ومما يختص بالأفعال « لم » ، و« لن » . ومما يدخل على الأفعال والأسماء « ما ، ولا ، وهل » .

* * *

الإعرابُ والبناء

الأسماء المعربة والمبنية

في اللغة العربية نوعان من الأسماء : نوع تلحق بآخره حركات الإعراب ، ونوع يلزم آخره حركة واحدة ، أو سكون دائم ، مهما كان موقعه من الكلام ، لنوازن بين الكلمتين : كتاب ، وهؤلاء ، في العبارات التالية :

- هذا كتابٌ مفيدٌ ـــ هؤلاءِ رجالٌ كرامٌ .
- قرأتُ كتاباً مفيداً ـــ رأيتُ هؤلاءِ الرجالَ .
- قرأت في كتابٍ مفيدٍ ـــ أخذتُ عن هؤلاءِ العلماءِ .

يلاحظ أن الكلمة الأولى (كتاب) جاءت مرفوعة في العبارة الأولى ، ثم نصبت في الثانية ، ثم جرت في الثالثة . أما (هؤلاء) فقد حافظت على حركة واحدة هي الكسرة ، على الرغم من وقوعها مبتدأ في العبارة الأولى . ومفعولاً به في الثانية ، وسبقها حرف جر في الثالثة .

وعلى هذا تكون الكلمة الأولى (كتاب) معربةً ، وتكون الثانية (هؤلاء) مبنية . وقد تبين لك أن الكلمة المعربة هي التي تتغير حركات آخرها بحسب موقعها في الكلام ، أو بحسب العامل الذي يؤثر فيها ، وأن الكلمة المبنية هي التي يلزم آخرها حركة أو سكون .

١ ـ علامات الإعراب :

والحركات التي تلحق أواخر الكلمة المعربة ثلاث ، هي : الضمة ، والكسرة ، والفتحة ، وفي الفعل المضارع يكون السكون علامة الجزم . أما الكسرة فخاصة بالأسماء ، وأما الجزم فخاص بالمضارع ، وتشترك الأسماء والأفعال في الضمة والفتحة .

وتقع هذه العلامات الإعرابية على الحرف الأخير من الكلمة المعربة ، ويقال لهذا الحرف : حرف الإعراب . كالباء من : كتاب ، والراء من : قمر ، والعين من : يضع . وليس من اللازم أن يكون أصلياً في الكلمة ، فقد

يكون زائداً عليها ، كالتاء في : كبيرة ، والهمزة في : خضراء ، والألف في : سلمى ، وياءا النسب في : سوري .

ولكل حركة إعرابية وظيفة تقوم بها في بنية الجملة ، فالضمة للأسماء المرفوعة ، وهي : المبتدأ ، وخبره ، والفاعل ونائبه ، واسم (كان) أو إحدى أخواتها ، وخبر (إن) أو إحدى أخواتها ، وما يقع لها تابعاً . والكسرة للأسماء المجرورة وهي ما جر بحرف الجر ، أو بالاسم المضاف أو بالتبعية . وأما الفتحة فللأسماء المنصوبة ، وهي المتممات الكثيرة .

على أن هناك كلمات لا تلحق بها هذه الحركات ، بل تكون علامات الإعراب فيها حروفاً لا حركات ، كالمثنى الذي يرفع بالألف . وينصب ويجر بالياء ، وجمع المذكر السالم الذي يرفع بالواو ، وينصب ويجر بالياء أيضاً ، والأسماء الستة التي ترفع بالواو ، وتنصب بالألف ، وتجر بالياء . وهذا ما سنفصل فيه الحديث في الفقرات التالية .

٢ ـ إعراب الكلمة المعتلة :

في بعض الأحيان لا يظهر أثر العامل الإعرابي على الكلمة المعربة ، إما لأن حركة الإعراب فيها يتعذر ظهورها عليه ، وإما لأن الحركة الإعرابية تثقل عليه ، كما توضحه لك الأمثلة الآتية :

ـ إذا دعا داعي الجهاد لبيتُ النداء .

فقوله : داعي ، فاعل للفعل : دعا ، وينبغي له أن يُرْفَع ، وتظهر حركة الرفع على الياء ، ويقال : داعِيُ الجهاد ، والحق أن اللسان قادر على ذلك ، ولكن لصعوبةٍ سببُها ثقل اللفظ تحذف الحركة وتسكن الياء للتخفيف ، ويقال في إعرابها : فاعل مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل . وإذا قلت :

ـ يدعو الواجبُ إلى العمل .

كان الفعل : يدعو ـ وهو فعل مضارع مرفوع ـ معرباً إعراباً تقديرياً ، لأنه منتهٍ بواو ، وإظهار حركة الرفع عليها ثقيل على اللسان ، ومن أجل ذلك تحذف ، وتقدر ، ولكن لاحظ العبارة الآتية :

ـ ينأى الفتى عن الحِمى في سبيلِ العيش

فالفعل : ينأى ، مضارع ، وحقه أن يكونَ مرفوعاً ، والاسم : الفتى ، فاعل ، وحقه الرفع ، والاسم : الحمى وقع بعد حرف الجر ، وحقه أن يجر ، غير أنك إذا حاولتَ أن تُظهر حركات الإعراب على الألف التي تنتهي بها كل كلمة عجزت عن ذلك ، لأنه يستحيل ظهورها عليها ، ولهذا كان الإعراب تقديرياً ، ويقال فيها : مرفوعة أو مجرورة ، وعلامة رفعها أو جرها الضمة أو الكسرة ، المقدرة على آخرها منع من ظهورها التعذر .

على أن هذا يتوقف على حركتي الرفع والجر ، أما حركة النصب فتظهر على الواو والياء دون أن يشعر اللسان بثقل النطق بالكلمة ، تقول :

ـ إنّ القاضيَ لن يدعُوَ المحاميَ إلى المحكمة .

ففي هذه العبارة ظهرت حركة النصب على الياء والواو ، كما هو ظاهر ، وعلة ذلك أنها خفيفة غير ثقيلة ، والغاية من حذف الحركتين الأخريين هي الجنوح إلى الخفة في النطق .

وعلى هذا يكون الإعراب التقديري في الكلمات المعربة التي تنتهي بألف أو ياء أو واو ، إلا إذا كانت منصوبة ، فعند ذلك يكون إعرابها تقديرياً إذا كانت منتهية بألف ، وغير تقديري إذا كانت منتهية بواو أو ياء .

على أنه يباح في ضرورة الشعر أن تظهر حركتا الرفع والجر على الواو والياء على الرغم من الثقل ، وذلك لإقامة الوزن ، كما في قول جرير :

فيوماً يجارينَ الهوى غيرَ ماضِيٍ ويَوْماً تَرى فيهنَّ غُولاً تَغَوَّلُ

٣ ـ الإعراب المحلي :

أما هنا فلا يقوى العامل على أن يؤثر في الكلمة التي بعده ، لأنها مبنية لا تتأثر بالعوامل ، ولكنها نزلت منزلاً لو نزلت فيه كلمة معربة لأثر فيها العامل السابق لها ، أو المتأخر عنها ، انظر إلى المثال الآتي : إدفعْ عنه الأذى . . فالضمير المتصل بحرف الجر : عن ، مبني على الضمْ ، لم يتأثر بالعامل الجار قبله ، ولو تأثر لوجب أنْ يقال : عنْه . ولكن لو نزل في موضعه اسم معرب مثل : الوطنْ ، لجر متأثراً بالعامل ، فنقول : عن الوطنِ . ولهذا نقول في إعراب الضمير : مبني على الضم في محل جر بحرف الجر .

ويكون الإعراب محلياً فيمايلي :

١ ـ الكلمات المبنية :

وهي الأسماء التي بنيت لمشابهتها الحرف ، مثل أسماء الإشارة والأسماء الموصولة ، وأسماء الاستفهام ، والشرط ، والضمائر ، و . . . . وسنتحدث عنها في قسم خاص ، وقد مثلنا لها في المثال السابق بالضمير المتصل .

ومن الكلمات المبنية الفعل الماضي ، إذ يكون إعرابه محلياً حين يسبق بعامل الجزم ، تقول : إنْ عملَ أخوك ربح . فـ : إنْ ، تجزم فعلين مضارعين معربين ، ولكنها هنا صادفت فعلين ماضيين ، هما : عمل ، وربح ، وكلاهما مبني لا تؤثر فيه العوامل ، ولذلك يكون الإعراب محلياً ، نقول في إعراب الأول : فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم بإن ، لأنه فعل الشرط ، وكذلك نقول في إعراب الآخر : فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم بإن ، جواب الشرط .

ومثله الفعل المضارع حين يبنى لاتصاله بنون النسوة أو بإحدى نوني التوكيد ، تقول : لا تحسبَنَّ العملَ سهلاً . فـ : لا ، ناهية ، وهي تجزم الفعل المضارع المعرب ، إلا أنها هنا صادفت فعلاً مضارعاً مبنياً على الفتح ، ولا يتأثر بعملها ، ولهذا نقول في إعرابه : فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية . وكذلك إذا قلت : الطالباتُ يكتبْنَ . تقول في إعراب : يكتبن : فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، في محل رفع ، لتجرده من الناصب والجازم .

٢ ـ الجمل :

وإعراب الجمل محلي أيضاً ، لأن العوامل لاتؤثر فيها تأثيراً لفظياً ، إلا أن بعضها ينزل منازلَ للمفردات المعربة ، تقول : هذا عمل يفيد . فجملة : يفيد ، فعلية في محل رفع ، صفةٌ لـ : عمل . وهكذا بقية الجمل ذات المحل الإعرابي .

٣ ـ المصدر المؤول :

وهو ـ وإن كان من المفردات ـ يشبه الجملة في خفاء أثر العامل فيه ، تقول : أحب أن تنجح . فالفعل أحب متعد ينصب مفعولاً به ، ومفعوله هنا هو المصدر المؤول ، ولكنه لا يقدر أن يؤثر فيه تأثيراً لفظياً ، ولذلك نقول :

والمصدر المؤول من « أن والفعل تنجح » في محل نصب ، مفعول به للفعل : أحب .

٤ ـ الاسم الذي عمل فيه عامل زائد :

كالاسم المجرور بحرف جر زائد ، مثل : لست بذاهب . فالباء حرف جر زائد ، وذاهب : اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر (ليس)[١] .

٤ ـ إعراب المثنى وملحقاته :

المثنى هو الاسم المعرب الذي لحقت بمفرده علامة لفظية يمكن أن يجرد منها ، ليدل بها على اثنين اتفقا لفظاً ومعنىً ، ولتغنيه عن عطف مثله عليه ، مثل : قلمان . فالمفرد : قلم . واللاحقة هي الألف والنون . فبدلاً من أن أقول : عندي قلم وقلم . أقول : عندي قلمان . ويمكن أن يجرد من هذه اللاحقة فيعود إلى مفرده : قلم .

ويلحق به أسماء يقال لها الملحقات بالمثنى فأعربت مثله بالأحرف . وهي متعددة ، فبعضها لا يصلح أن يجرد من علامة التثنية لأنه لا مفرد له ، مثل : اثنان ، واثنتان ، ومنها ما لا يدل على اثنين اتفا لفظاً ومعنى مثل الأبوان ، والأخوان ، والقمران . فالأبوان هما : الأب والأم ، والأخوان ، الأخ والأخت مثلاً ، والقمران : الشمس والقمر . وفئة ثالثة مبنية ، وقد رأينا أن المثنى معرب ، مثل : هذان ، واللذان[٢] .

وهذه الأسماء ـ ما كان منها مثنى أو ملحقاً ـ يعرب بالأحرف لا بالحركات ، فعلامة الرفع الألف ، وعلامة النصب والجر الياء . وتلحق به

(١) بين النحاة في هذا خلاف . فبعضهم يعد القسم الأخير من الإعراب التقديري ، ويعرب : بذاهب ، على الشكل التالي : الباء حرف جر زائد ، وذاهب : خبر ليس منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة العارضة التي جلبتها الباء الزائدة .

(٢) وكذلك (كلا ، كلتا) ملحقتان بالمثنى ، لأن الألف فيهما ليست زائدة ، بل هي كألف (عصا) ، ولكنها تنقلب ياءً إذا أضيف أحدهما إلى ضمير في حالتي النصب والجر ، وإذا أضيفتا إلى اسم ظاهر قدرت الحركات على الألف .

نون تشبه نون التنوين في الاسم المفرد ، وتختلف عنها في بعض الأشياء . تقول : جاء جنديان كبيران . فجنديان : فاعل مرفوع ، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى ، والنون كالتنوين في الاسم المفرد . وتقول : رأيت جنديين كبيرين . فتعرب : جنديين ، على الشكل التالي :

جنديين : مفعول به منصوب ، وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى . والنون كالتنوين في الاسم المفرد .

وكذلك الأمر لو كان مجروراً ، مثل : مررت بجنديين كبيرين . وتقول في الملحقات : هذان هما اللذانِ أعرفهما . وتقول : أحب أبويَّ وأحترمهما .

هذا هو النظام العام ، ولكن كان هناك لغة قديمة يتكلم بها مجموعة من قبائل العرب هي كنانة وبنو الحارث بن كعب ، وبنو العنبر ، والهجيم ، وبطون من ربيعة وهمدان وخثعم ، يحافظ فيها المثنى على الألف والنون في الرفع والنصب والجر ، كقول الشاعر :

تـزوَّدَ منـا بيـن أُذنـاه طعنـةً   دعتْهُ إلىٰ هابي الترابِ عقيمِ

وكان من حق المثنى أن يقال : بين أذنيه . وحملت عليه قراءة قرآنية ، هي : ﴿ إنَّ هذانِ لساحران ﴾ (طه : ٦٣) وحديث نبوي يقول : « لا وِتْران في ليلة » . وقد انقرضت هذه اللغة منذ زمن بعيد .

٥ ـ إعراب جمع المذكر السالم :

وهو الاسم الذي يدل على أكثر من اثنين بزيادة تلحق به ، هي الواو والنون في حالة الرفع . والياء والنون في حالتي النصب والجر . ويجمع عليه ما كان علماً لمذكر عاقل غير مركب وخالياً من علامة التأنيث مثل : محمدون ، وأحمدون . وما كان وصفاً لمذكر عاقلٍ مثل : راكبون ، ومعلمون ، وطيبون . ويشترط في الوصف أن يكون خالياً من تاء التأنيث وصالحاً لها ، ولذلك لا يجمع عليه الوصف (أشقر) لأنه لا يصلح للتاء .

ويلحق به أسماء كثيرة ، منها ما ليس له واحد من لفظه ، مثل : أولو ، وعشرون ، وثلاثون . . . وتسعون . فمفرد (أولو) : ذو . . وليس لألفاظ العقود : عشرون . وأخواتها مفرد . ومنها ما ليس بوصف أو علم ، مثل : أهلون ، وعالَمُون . ومنها ما ليس بمذكر ولا عاقل مثل : أرَضون ، جمع :

أرض . وسنون ، جمع : سنة ، ومئون ، جمع : مئة . ومنها أيضاً : ذوو ، جمع : ذو .

ويرفع هذا الجمع بالواو ، مثل : جاء القادرون على العمل . ودُحِر الباغون . وينصب بالياء ، مثل : دحرنا الباغين . ويجر بالياء أيضاً . مثل : هذا من آثار الباغين . وتقول في الملحقات : لي دونكم أهلون . ولقد ضجت الأرَضون . وقال جرير :

أرى مَرَّ السنينَ أخذنَ مني كما أخذ السِرارُ من الهلالِ(١)

٦ ـ إعراب الأسماء الستة :

هي : أب ، أخ ، حم ، هَنٌ ، فو ، ذو . ولها إعرابان ، فتارةً تعرب بالحروف ، وطوراً تعرب بالحركات . وإليك بيان ذلك :

آ ـ إعرابها بالحروف :

وتعرب بالحرف إذا استوفت ثلاثة شروط ، هي :

١ ـ أن تكون مفردة ، لا مثناة ولا مجموعة .

٢ ـ وأن تكون مضافة إلى غير ياء المتكلم .

٣ ـ وأن تكون غير مصغرة .

في هذه الحال تكون الواو علامة الرفع ، مثل : ما كان أبوكَ سيئاً . وتكون الياء علامة الجر ، مثل : ما كنتُ بذي هوىً في معاملتي للناس . وتكون الألف علامة النصب ، مثل : اغسل فاكَ ، واسترُ هَناك ، واحترم حماك .

ب ـ إعرابها بالحركات وغيرها :

وإذا اختل شرط واحد من الشروط الثلاثة السابقة أعرب بعضها بالحركات : أب ، أخ ، حم ، فم ، مثل : هذا أخٌ لك . وهؤلاء آباؤُنا وأَحْماءُ أقاربنا . وامتلأ فمُ الطفل بالطعام . فـ (أخ) رفع بالضمة لأنه غير مضاف . و(آباءُ ، وأحماءُ) رفعا بالضمة أيضاً لأنهما جمعان . وتقول :

---

(١) قد تعامل (سنين) معاملة جمع التكسير أو الاسم المفرد، فتظهر عليه الحركات، يقال : مرت به سنينٌ قاسية . قال الشاعر :

ألم نَسْقِ الحجيجَ ـ سلي مَعَدّاً ـ سنيناً ما تُعَدُّ لنا حسابا

رأيت أخيَّكَ مسافراً . فتنصبه بالفتحة لأنه مصغر . وتقول : رأيتُ أبي . فتقدر فتحة على الباء ، لأنه أضيف إلى ياء المتكلم .

وأما (هَنُ) ـ وله عدة معانٍ ـ فقد يعرب بالحركات وإن استوفى الشروط الثلاثة ، تقول : هذا هَنُك ، واستر هَنَك ، وهذا من آثار هَنِك . وإعرابه بالحركات أكثر من إعرابه بالحرف .

وأما (ذو) فاسم ملازم للإضافة ، ولكنه إذا ثني لحق بالمثنى ، مثل : حكم بيننا ذوا عدلٍ . ولا أركن إلا لذَوَيْ عدلٍ . ورأيت ذَوَيْ عدلٍ . وإذا جمع عومل معاملة جمع المذكر السالم ، مثل : لا يعرف الفضلَ إلا ذووه . أتيت ذوي حلمٍ فأعجبوني .

٧ ـ إعراب جمع المؤنث السالم :

يقال لهذا الجمع : جمع مؤنث ، من قبيل تغليب الكثير على القليل ، لأن ما يجمع عليه متنوع فمنه المؤنث ، ومنه المذكر ، ويسمى أحياناً : الجمع الذي يلحق مفرده ألف وتاء زائدتان . وذلك مثل : فاطمات ، وخادمات ، ودجاجات ، وعمارات ، وصحراوات ، وحذيفات ، وحمزات ، ومطارات ، وسجلات(١) .

ويلحق به : بنات ، وأخوات ، وعرفات ، وأذرُعات ، وبركات (اسم أسرة) ، وعطيات (اسم امرأة) .

ويعرب هذا الجمع بالحركات ، فيرفع بالضمة . ويجر بالكسرة ، كغيره من أسماء العربية ، تقول : جاءتِ الطالباتُ يسعين إلى المحاضراتِ .

غير أنه يخالف الأسماء الطبيعية في حالة النصب ، إذ تكون علامة نصبه الكسرة لا الفتحة ، تقول : خلقَ الله السماواتِ والأرضَ . وتقول : رأيتُ الطالباتِ يسعين إلى المحاضراتِ .

وهناك نوع آخر من الأسماء سنفرد له باباً خاصاً ، هو الممنوع من الصرف ، لأنه ذو نظام خاص في إعرابه . غير أنه ـ بصورة مجملة ـ عكس جمع المؤنث هذا ، إذ يجر بالفتحة ، وهذا ينصب بالكسرة .

(١) أما (رُفات ، وفُتات ، وحُتات) فجمع تكسير ، لأن التاء أصلية لا زائدة . ومثلها : أصوات ، وأموات وغزاة ، ورُماة .

الممنوع من الصرف

لا يخالف الاسم الممنوع من الصرف النظام الإعرابي فحسب ، بل يخالف الأسماء أيضاً في بعض سِماتها الصرفية ، وذلك أنه :

١ ـ لا يُنون .

٢ ـ وأنه لا تلحقه الكسرة في حال الجر ، بل تكون الفتحة فيه نائبة عن الكسرة ، ويتضح لك هذا في قول الأخطل :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لسائل أمُرَّةُ أمْ أعمامُ مُرَّةَ أظْلَمُ

فالاسم : مرة ، ممنوع من الصرف ، ولهذا رأيته حين وقع مرفوعاً بالابتداء لحقته الضمة ، كما تلحق الأسماء المعربة ، ولكنه لم ينون ، وحين وقع مجروراً بالإضافة لم تلحقه الكسرة كما تلحق غيره من الأسماء في حال الجر ، بل نابت عنها الفتحة لتكون هي العلامة .

وعلى هذا يكون الاسم الممنوع من الصرف يشبه الاسم المصروف ويختلف عنه ، يشبهه في قبوله علامَتَيْ الرفع والنصب ، وهما الضمة والفتحة ، ويختلف عنه في أنه ـ كما رأينا ـ لا يقبل التنوين ولا الكسرة ، تقول : هذه مساجدُ ومدارسُ جميلةٌ . ورأيت مساجدَ ومدارسَ جميلةً ، ومررت بمساجد ومدارسَ جميلةٍ .

غير أن الاسم الممنوع من الصرف يعود إلى حظيرة الأسماء المصروفة ، وذلك بحالين :

١ ـ أولاهما : إذا دخلت عليه « ألْ » العهدية أو الجنسية .

٢ ـ والثانية : إذا وقع مضافاً .

تقول : مررت بالمساجدِ والمدارسِ الجميلة . ومررت بمساجدِ المدينة ومدارسها . فأنت ترى هنا أن الاسم الممنوع من الصرف صُرف بعد أن لحقته (أل) في الجملة الأولى ، وبعد أن أضيف في الجملة الثانية .

ومن الطبيعي أن يجوز في ضرورة الشعر صرف الاسم غير المصروف ، كما ترى في قول امرىء القيس :

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عنيزةٍ فقالت : لك الويلاتُ إنك مُرْجِلي

فقد نون : عنيزة ، وألحق بها الكسرة ، وهذا في لغة الشعر جائز ، ولكنه خطأ في لغة النثر .

ونؤثر هنا أن نقسم الاسم الممنوع من الصرف ثلاثة أقسام : العلم ، والصفة ، وما ليس بعلم ولا صفة .

العلم الممنوع من الصرف

١ ـ العلم المؤنث :

اسم العلم المؤنث قسمان : قسم سمْيت به الأنثى ، مثل : زينب ، ودعد ، وفاطمة ، وليلى ، ويسمى : المؤنث الحقيقي ، وقسم آخر سمي به المذكر ، ولكن لحقت بلفظه علامة التأنيث ، مثل : حمزة ، وطلحة ، وعنترة ، ومعاوية ، ورضوى ـ اسم جبل ـ ويسمى المؤنث اللفظي .

ومهما يكن نوع التأنيث في العلم فإنه علة لمنعه من الصرف ، قال جميل بثينة :

وإني لأرْضى من بثينةَ بالذي لوَ ابْصرَهُ الواشي لقرتْ بلابِلُهْ

لقد مُنِع العلم : بثينة ، من الصرف فلم تلحق به الكسرة ، بل نابت فيه الفتحة عنها ، لأنه مؤنث حقيقي . وقال قيس بن زهير العبسي :

شفيتُ النفسَ من حَمَلِ بنِ بدرٍ وسيفي من حُذَيْفَةَ قد شفاني

قوله : حذيفةَ ممنوع من الصرف ، لأنه مؤنث تأنيثاً لفظياً .

ومن الأسماء ما يقصد به المؤنث حيناً ، والمذكر طوراً ، كأسماء القبائل ، مثل : قريش ، وتميم ، ونمير ، و . . . فقد يراد بها : القبيلة ، وعند ذلك تمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، نحو قول عدي بن الرِقاع :

غلب المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها

وقد يقصد بها الجَد ، وعند ذلك تصرف ، كقول جرير :

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلهُمُ غِضابا

ومما يشبه أسماء القبائل في منعه تارة ، وصرفه تارة أخرى أسماءُ

المواضع والبلدان ، فحيناً يراد منها البقعة أو البلدة أو المحلة ، فيجتمع فيها العلمية والتأنيث ، فتمنع ، وطوراً يراد منها الموضع أو القطر ، فتزول عنها صفة التأنيث ، فتصرف ، انظر قول جرير :

أبحْتَ حِمى تِهامةَ بعدَ نجدٍ ... وما شيءٌ حميتَ بمُسْتباح

فقد منع (تهامة) من الصرف للعلمية والتأنيث ، وكذلك ترى (هَجَرَ) ممنوعة في قول الفرزدق :

مِنهنَّ أيامُ صدقٍ قد عُرِفْتُ بها ... أيامُ فارسَ والأيامُ من هجَرا

وفي المثل العربي القديم : « كمستبضع التمرِ إلى هَجَرَ »[1] .

ومثل ذلك مَنْعُ (وَجْرَةَ) في قول امرىء القيس :

تصد وتُبْدي عن أسيل وتتقي ... بناظرةٍ من وحشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

ولكن تأمل قوله تعالى : ﴿ ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ (التوبة : ٢٥) ، فإنه قد صرف « حنين » على الرغم من أنه اسم موضع ، وعلة ذلك أنه أراد به الوادي الذي بين مكة والطائف ، وبذلك زالت عنه صفة التأنيث ، أما حسان بن ثابت فقد منع الاسم نفسه في قوله :

نصروا نبيهمُ وشدُّوا أزْرَهُ ... بحُنَيْنَ يومَ تواكُلِ الأبطالِ

لأنه أراد به المعركة ، فأنثه فمنعه .

وفي بعض الأحيان يجتمع مع العلمية والتأنيث صفة ثالثة هي العجمة ، مثل : مصر ، وحمص ، ودمشق ، ولندن ، وفي هذه الحال لا يجوز إلا المنع ، سواء أكان الاسم ثلاثياً ساكن الوسط ، أم لم يكن ، تقول : عدت من مصرَ إلى دمشق ، ثم انتقلت إلى حِمْصَ فحلبَ . فلما كانت هذه الأسماء كلها أعجمية لم يجز فيها إلا المنع[2] .

---

(١) المثل في الميداني : ٢/ ١٥٢ برقم ٣٠٨١ .

(٢) جاء في موضع واحد من القرآن الكريم اسم : مصر ، مصروفاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ﴾ (البقرة : ٦١) فذهب فريق من النحويين إلى أن المقصود بها مصر من الأمصار لا مصر بعينها ، وعلى هذا تكون نكرة لا علماً ، وذهب فريق آخر إلى أن المقصود مصر بعينها ، والألف فيها للوقف لا للتنوين ، ورأى فريق ثالث أنها صرفت لأنه أريد بها المكان ، وقاسها آخرون على مثل هند ، ودعد ، مما تسمى به النساء . انظر فيها : =

وإذا كان اسم العلم ثلاثياً ساكن الوسط جاز منعه ، وجاز صرفه ، ولا سيما إذا كان مما تسمى به النساء ، كصرف (هند) في قول قيس بن جروة الطائي :

أيوعدني والرملُ بيني وبينَهُ   تبيَّنْ رويداً ما أمامَةُ من هِنْدِ

ومنع (دعد) وصرفه في قول جرير :

لم تتلفعْ بفضلِ مِئْزرها   دعْدٌ ولم تُغْذَ دعْدُ في العُلَبِ

٢ ـ العلم الأعجمي :

وهو الاسم الذي دخل في لغة العرب من لغة أخرى ، سواء أكانت لغة ساميّة أم غير ساميّة ، ويشترط فيه أن يكون علماً في اللغة المنقول عنها ، مثل : إبراهيم ، يوسف ، دمشق ، بغداد ، تقول : أقمتُ في بغدادَ سنةً درسية ، اتصلت فيها بإبراهيمَ وغيرِه ، ثم عدت إلى دمشقَ لأتابع فيها العمل .

أما إذا لم يكن علماً في اللغة المنقول عنها فلا يمنع ، فلو سميت مذكراً بـ : فِرِنْد ، وهو فارسي غير علم ، صرفته ، وقلت : رأيت فرنداً ، وجاء فرندٌ ، ومررت بفرندٍ . وعلة هذا أن العرب عاملت مثل هذه الكلمات معاملة النكرات ، وصرفتها صرفها .

والأعجمي كالمؤنث إن كان ثلاثياً ساكنَ الوسط ، إذ يجوز صرفه إلا إذا سمي به المؤنث ، كقوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده ﴾ (النساء : ١٦٣) .

العلم الذي على وزن الفعل :

في العربية أوزان خاصة بالأفعال ، لا تأتي عليها الأسماء ، مثل : فعَّل ، وتفاعل ، وافتعل ، ويفتعل ، ويفعلل ، الخ . . .

وفيها أيضاً أوزان تشترك فيها الأفعال والأسماء ، ولكنها في الأفعال أكثر ، وذلك مثل : افْعِل ، وافعُل ، وافْعَل ، فأنت قادر على ذكر أمثلة من الأفعال كثيرة ، مثل اجلس ، واصرف ، واكتب ، وادخل ، واسبح ، واسمع ،

= سيبويه : ٢/ ٢٣ ، ومعاني القرآن للفراء : ١/ ٧٠ ، والبحر المحيط : ١/ ٢٣٤ .

و . . . على حين لا تقدر أن تأتي بالكثير من الأسماء على هذه الأوزان .

وعلى هذا تكون أسماء العلم من هذين الضربين ممنوعة من الصرف ، لأنها جمعت إلى العلمية وزناً يختص به الفعل ، أو يغلب عليه ، انظر قول جرير :

مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خُزْرَ تغلبَ من أبٍ كأبينا

فهو لم يُلْحِق الكسرة باسم العلم (تغلب) لأنه جمع العلمية ووزن الفعل[1] ، ومثله قول جميل :

أبوك حُبابٌ سارقُ الضيفِ بُرْدَهُ وجدي يا حجاجُ فارسُ شَمَّرا[2]

أما إن كان اسم العلم على وزن تتساوى فيه الأفعال والأسماء فلا يمنع من الصرف . فالعلم : حَسَنٌ ، يشبه في الوزن : ضربَ ، وجعفر ، يشبه : دحرج ، وصالح ، يشبه : ناضل ، إلا أن هذه الأوزان لا يغلب فيها الفعل ، ولا يختص بها ، ولذلك لا تمنع من الصرف ، تقول : جاء حسنٌ ومررت بجعفرٍ ، ورأيت صالحاً .

ومن الطبيعي بعد هذا أن تكون الأعلام التي جاءت على أوزان لا يجيء عليها الفعل مصروفة مثل : محمود ، رباح ، سهاد ، بديع ، و . . . انظر إلى قول كثيّر عزة :

سقى الله أمواهاً عرفْتُ مكانها جُراباً ومَلْكوماً وبذَّرَ والغَمْرا

فقوله : جُراباً ، اسم لموضع فيه ماء ، لم يمنع من الصرف لأنه على وزن لا يشترك فيه الفعل البتة ، ومثله : ملكوم ، أما بذَّر : فهو على صيغة خاصة بالفعل ، ولذلك منع من الصرف ، فلم ينون كما نُون الاسمان اللذان سبقاه .

٤ ـ العلم المعدول :

وهناك أسماء علم على وزن (فُعَل) وردت عن العرب ممنوعة من

---

(١) وهناك علة ثالثة فيه ، هي أنه اسم علم مؤنث ، لأنه يعني القبيلة ، وقوله : خزر ، جمع مفرده : أخزر ، وهو الذي في عينيه حول .

(٢) شمرا : مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة ، والألف للإطلاق .

الصرف ، فزعم النحاة أنها معدولة عن (فاعل) ، منها : عمر ، مضر ، قزح ، دلف ، زحل ، زفر ، جشم ، هبل ، جُحى . أي أن (عمر) مثلاً أصله : عامر ، فعدل به عن هذه الصيغة إلى صيغة (فُعَل) فقيل : عمر . ومثله سائر الأسماء المذكورة[1] .

ومما سمع ممنوعاً من الصرف : سَحَرَ ، علماً على وقتٍ معين ، غير معرف بـ (أل) وقد زعم النحاة أنه أريد به التعريف ، وكان حقه أن يعرف بألْ ، فعدلوا عن ذلك وجعلوه معرفة بلا (أل) فهو عندهم معدول عن (السَّحر) ، وإذا أريد به مطلق الوقت بلا تحديد صُرِف ، كقوله تعالى : ﴿ إلا آلَ لوط نجيناهم بسحرٍ ﴾ (القمر : ٣٤) .

ومثل (سحر) غُدْوةُ ، وبكرة ، ورجب ، وصفر ، ويلحق بها عند بعض تميم : أمس .

٥ ـ العلم المركب تركيب مزج :

وإذا ركب العلم تركيب مزج منع من الصرف ، وذلك أن تتركب كلمتان فتتصل الثانية بنهاية الأولى حتى تصيرا كالكلمة الواحدة ، مثل : بعلبك ، حضرموت ، يزدجرد ، قالي قلا . نحو قول قيس بن الملّوح :

ولـــو أن واشٍ بـــاليمـــامـــة دارُهُ وداري بأعلى حضرموت[2] اهتدى ليا

٦ ـ العلم المزيد فيه ألفٌ ونون :

من ذلك : عثمان ، فأصله : عُثْم ، وهو فرخ الثعبان ، ومروان ، وأصله : مَرْوٌ ، وهو الصوان أو نوع من النبات ، وغَطَفان ، وأصله : غَطَف ، وهو قلة هدب العين ، وهذا الضرب من الأعلام ممنوع من الصرف بعد زيادة الألف والنون ، قال لبيد بن ربيعة :

فإن لم تجد من دون عدنانَ والداً ودون مَعَــدٍّ فلتَــزُعْــكَ العــواذلُ

---

(١) ويلحق بها أسماء توكيد تؤكد بها جموع المؤنث ، وهي : جُمَع ، كتع ، بتع ، بصع . إذ عدل بها من جمع المؤنث إلى جمع التكسير . وسمع : أَدَد ، علمَ قبيلةٍ مصروفاً ، فقال النحاة : إنه غير معدول .

(٢) حضرموت : مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الفتحة النائبة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف .

وقالت الخنساء :

وإن تُمسِ في قيس وزيدٍ وعامرٍ ... وغَسّانَ لم تَسمَعْ له الدهرَ لاحيا

فقد منع لبيد (عدنان) من الصرف ، فلم ينونه ولم يلحق به الكسرة ، كما فعل في العلم الآخر : مَعَد ، لأن عدنان مزيد بالألف والنون . وكذلك فعلت الخنساء في : غسان . للعلة نفسها ، وكذلك فعل جرير في منع اسم العلم : عثمان ، في قوله :

يا أم عثمان إن الحب عن عَرَضٍ ... يصبي الحليم ويبكي العين أحيانا

وفي بعض الأسماء ما يشكل ، من ذلك قولهم : عفان ، فإن كانت الألف والنون زائدتين ، فأصله : عفّ ، وعند ذلك يمنع من الصرف ، وإن كانت النون أصلية ، فأصله من العفن ، ولعله مبالغة اسم الفاعل : عافِن ، وهو الذي يُصَعِّدِ في الجبل ، وعلى هذا لا يمنع من الصرف لأن النون أصلية فيه لا زائدة . ومن هذا القبيل : حسان ، فهي إما من : الحَسّ ، وإما من الحُسْنِ ، فعلى الأول ممنوعة من الصرف ، وعلى الثاني مصروفة . وكذلك : حَيّان ، إن كانت من : حَيّ ، فهي ممنوعة وإن كانت من : الحَيْن ، أي : الهلاك ، فهي مصروفة .

الصفة الممنوعة من الصرف

ويمنع من الصفات ما كان على وزن : أفعل ، أو فَعْلان ، أو كان صفة معدولة .

١ ـ الصفة على وزن « أفعل » :

إذا كانت الصفة على وزن : أفعل ، ولا يلحق مؤنثها التاء منعت من الصرف ، هي ومؤنثها كمنع (أشقر) في قول الحارث بن هشام المخزومي :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالُهمْ ... حتى عَلَوْا فرسي بأشقرَ مزبدِ

لأن مؤنثها : شقراء ، لا : أشقرة ، وكمنع (بيضاء) في قول بشر بن أبي خازم :

فقد ألهو إذا ما شئتُ يوماً ... إلى بيضاءَ آنسةٍ لعوبِ

ويستوي في هذا ما كان صفة مشبهة ، كما تقدم ، وما كان اسم تفضيل ، كمنع (أحسن) في قوله تعالى : ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بتحيةٍ فحيوا بأحسنَ منها أو رُدوها ﴾ (النساء : ٨٦) .

أما إذا كان المؤنث منها بالتاء فلا تمنع من الصرف ، نقول : رأيت رجلاً أرملاً ، ومررت برجل أرملٍ ، وعلة ذلك أن مؤنثها : أرملة ، فلحقته التاء . وبهذا يكون المؤنث والمذكر مصروفين قال الشاعر :

لِيَبكِ على مِلْحانَ كلُّ مُدَفَّعٍ وأرملةٍ تزجي مع الليل أرملا[١]

٢ ـ الصفة على وزن « فعلان » :

وإذا كانت الصفة على وزن : فعلان ، ولا تؤنث بالتاء ، منعت من الصرف هي ومؤنثها ، كمنع (ريان) في قول الفرزدق :

إذا شئتُ غَناني من العاجِ قاصفٌ على مِعْصَمٍ ريَّانَ لم يتخددِ[٢]

ومثله منع ظمأى في قول ذي الرمة يصف السراب :

يَجْري فيرقُدُ أحياناً ويطرُدُهُ نكْباءُ ظمأى من القَيْظيَّةِ الهُوجِ[٣]

أما (ضَحْيان) فليس بممنوع من الصرف ، لأن مؤنثه : ضحيانة ، ولذلك صرفه ساعدة بن جؤية الهذلي في قوله :

ولو أن الذي يُتْقى عَلَيْهِ بضحيانٍ أشَمَّ ، به الوعُولُ[٤]

وكذلك يصرف مؤنثه ، كما في قول تأبط شراً :

وقُلَّةٍ كسِنانِ الرمح بارزةٍ ضَحْيانةٍ في شهور الصيفِ مِحْراقِ

ومثله : ندمان وندمانة[٥] .

---

(١) المدفَّع : الذي لم يجد من يُضيفه .

(٢) العاج هنا : الأساور التي تلبسها المغنية من العاج ، ومعصم ريان : ناعم حسن المنظر .

(٣) نكباء ظمأى : يريد بها الريح الجافة الحارة .

(٤) جواب (لو) في أبيات بعد هذا البيت . والضحيان : البارز للشمس .

(٥) هناك صفات أخرى ، معظمها من غريب اللغة ، مثل : حبلان ، لكبير البطن ، وحبلانة ، ودخنان لكثير الدخان ، ودخنانة ، وسيفان ، للطويل ، وسيفانة ، وصوجان ، للقوي ، وصوجانة ، وقشوان ، للهزيل ، وقشوانة ، و . . .

٣ ـ الصفة المعدولة :

وتمنع الصفة من الصرف إذا عدل بها عن مسلك التعبير المألوف الذي تستعمل فيه ، ويكون ذلك في الأعداد ، وفي الصفة « أخَر » .

أما الأعداد فقد سمع من العرب العدل بها من لفظها المعروف إلى أحد الوزنين الآتيين :

١ ـ مَفْعَل : مثل مَوْحد ، ومَثْنى ، ومَثْلث .

٢ ـ فُعال : مثل ثُلاث ورُباع .

والمسموع في اللغة الفصيحة الموثوق بها من واحد حتى أربعة ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساءِ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ ﴾ (النساء : ٣) وفي قول صخر أخي الخنساء :

ولقد قتلتُهُمُ ثُناءَ ومَوْحَداً وتركتُ مُرَّةَ مثلَ أمسِ المُدْبِرِ

فأنت ترى الشاعر منع : ثُناء من الصرف ، لأنه صفة معدولة ، فبدلاً من أن يقول : قتلتهم اثنين اثنين ، قال : ثُناء . ودليل منعه إياه من الصرف أنه لم ينونه ، على أن الضرورة قد ألجأته إلى تنوين (موحد) وهذا ـ كما قلنا من قبل ـ لا يجوز إلا في لغة الشعر .

وقد قاس بعض الشعراء القدماء ، وهو الكميت بن زيد ، على ذلك ما زاد على الأربعة ، فقال :

فلم يستريثوك حتى رميـ ـت فوق الرجالِ خِصالاً عُشارا

وليس هذا القياس بعيداً عن الصواب ، مادام صاحبه من الشعراء الفصحاء[1] ، ولهذا يكون النحاة الذين أجازوا القياس في هذه المسألة على مذهب صحيح .

وأما كلمة (أخَرَ) فهي جمع مفرده (آخر) أو : أخرى ، وهي جمع اسم تفضيل ، فعُدِل بها معنى ، واستعمالاً .

ففي المعنى خلت من معنى التفضيل ، وصارت بمعنى « غير » كقولك : قرأت هذا الكتاب وكتباً أخَرَ ، فـ : أخر ، هنا لا يراد بها المفاضلة ، بل تعني : كتباً غيره .

---

(١) على الرغم من أن الأصمعي كان ينال من فصاحته .

وفي الاستعمال تُنُكِّبَ بها سبيل التعبير المألوف في اسم التفضيل ، وهو أن يلزم الإفراد والتذكير إذا جرد من : أل ، والإضافة ، وأن يذكر بعده المفضل عليه مجروراً بـ : مِن . مثل : أخوك أطولُ منك ، واختاك أطول منك ، وإخوتك وأخواتك أطول منك . ولكن (أخر) خالفت هذا الاستعمال فجاءت جمعاً مع الجمع ، وهي مجردة من (أل) والإضافة .

ما ليس بعلم ولا صفة

وتمنع الأسماء الأخرى غير الأعلام والصفات في حالين :

١ ـ أن تكون فيها ألف التأنيث الممدودة أو المقصورة :

وذلك مثل : صحراء ، وكبرياء ، وخنفساء ، وأصدقاء ، وشعراء ، ومثل : جرحى ، وذكرى ، كقولك : تجاوز بنا الركبُ صحراءَ مخيفةً ، وقولك : نُسبت هذه القصيدة إلى شعراءَ كُثُرٍ .

وسمع من العرب منع : أشياء ، كما في قوله تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤكمْ ﴾ (المائدة : ١٠١) ، فتحدث عنها النحاة أحاديث طويلة ، واختلفوا فيها اختلافاً واسعاً ، فأخضعها بعضهم للأصل الذي نحن فيه ، فزعم أن أصلها : شيئاء ، على وزن : فعلاء ، ثم حصل فيها قلب مكاني ، فتقدمت الهمزة التي هي لام الكلمة ، إلى ما قبل الشين ، التي هي فاؤها ، فصار وزنها : لَفْعاء ، وإنما فعل هذا كله ليبين أن الهمزة فيها زائدة لا أصلية ، وبذلك تَطَّرد القاعدة ، ولا يبدو صرف : أشياء ، غير واضح العلة . والمهم أن هذه الكلمة ممنوعة سماعاً ، ولا حاجة بنا إلى مثل هذا التأويل[1] .

---

(١) هناك كلمة يتوهم بعض الناس فيها فيظنون أنها ممنوعة من الصرف لهذه العلة ، هي كلمة : أسماء ، جمع : اسم ، والحقيقة أنها غير ممنوعة لأن همزتها أصلية ، قال الله تعالى : ﴿ أتجادلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ (الأعراف : ٧١) .

٢ ـ أن تكون على صيغة منتهى الجموع :

وتمنع الأسماء من الصرف إذا كانت جمعاً على صيغة منتهى الجموع ، وهي ما كان بعد ألف الجمع فيها حرفان أو ثلاثة ، مثل : مساجد ، جنادل ، مصابيح ، دواوين ، وهذا الجمع نادر المثال في أوزان الأسماء المفردة ، قالت الخنساء :

ماذا تضمن من جودٍ ومن كرم ومن خلائقَ ما فيهن مُقْتَضَبُ

فأنت ترى كيف لحق التنوين والكسر قولها : جود ، وكرم ، على حين نابت الفتحة مناب الكسرة في قولها : خلائق ، لأنها جمع تكسير على صيغة منتهى الجموع .

شواهد للتدريب

١ ـ قال عروة بن حزام :

خليلي من عُليا هلالِ بنِ عامرٍ بصنعاءَ عوجا اليومَ وانتظراني

ألِمّا على عفراءَ ، إنكما غداً بِشَحْطِ النوى والبَيْنِ معترفانِ

٢ ـ قال ابن الزبرقان :

وإن يكُ من كعبِ بنِ يَشْكُرَ مَنْصِبي فإنَّ أبانا عامرٌ ذو المجاسد

٣ ـ قال يزيد بن الخذاق :

وأردتُ خُطةَ حازمٍ بطلٍ حيرانَ أوْبَقَه الذي يُسدي

٤ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

وكم من فتيةٍ أبناءِ حرب على جُرْدٍ ضوامرَ كالقِداحِ

* * *

الأسماء المبنية

الأسماء المبنية نوعان :

الأول : يبنى بناءً دائماً حيثما كان ، وكيفما وقع .

والثاني : يبنى في موضع ، ويعرب في آخر .

أما النوع الأول فيشمل الضمائر ، والأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة ، وأسماء الشرط والاستفهام ، وأسماء الأفعال والأصوات ، وبعض الظروف ، مثل : إذا ، وإذْ ، ومنذُ ومُذْ ، وحيث ، ولما ، وعَوْضُ ، وقَطُّ ، والآنَ .

وأما النوع الثاني فكأسماء الزمان المبهمة ، وغير ، ومثل ، واسم (لا) النافية للجنس ، والمنادى حين يكون علماً مفرداً أو نكرة مقصودة ، وقبل ، وبعد ، و . . .

وسوف نتناول في البدء النوع الأول ، ثم ننتقل إلى النوع الثاني .

☆ ☆ ☆

الأسماء المبنية بناءً دائماً

١ ـ الضمائر

سميت هذه الكلمات بالضمائر لأن المتكلم يضمر الاسم الذي سبق ذكره ، أو لأنه يضمر اسم المخاطب ، أو يضمر اسمه في حال التكلم ، ويجعل هذه الكلمات كناية عما أضمره ، مثل : يسحب الطاووسُ ذَيْلَهُ مَزْهوّاً . فالهاء في (ذيله) ضمير الطاووس ، وقد أغنت عن إعادة اسمه ، وبهذا يؤمّن الضمير عنصر الاقتصاد اللغوي للمتكلم ، فيخفف من جهده العضلي من دون أن يسيء إلى المعنى .

والضمير نوعان : ضمير منفصل ، مثل : أنا ، نحن ، وأنت ، وهو ، وهي . وضمير متصل كالهاء في : ذيله ، والكاف في : عملك ، و(نا) في : كتابنا . والضمير من الأسماء المبنية لأنه ـ وهو متصل ـ يشبه الحرف في بنيته ، إذ هو لا يزيد على حرف واحد أو حرفين ، وأما الضمير المنفصل فمبني أيضاً لأنه يشبه المتصل في وظائفه الدلالية .

آ ـ الضمير المتصل

سمي هذا الضمير متصلاً لأنه لا يلفظ مستقلاً ، ولابد له من أن يكون متصلاً بعامله ، مثل : أبوك ، وأخونا ، وعمه ، ورآه ، وعلمها ، ودربني . وعامله قد يكون اسماً ، وقد يكون فعلاً ، ـ كما رأيت ـ وقد يكون حرفاً ، مثل : عَنه ، وفينا ، وإليك ، ولعله ، وليتنا ، وإنك .

إعرابه :

ولما كان الضمير من جملة الأسماء كان لابد له من أن يكون له محل من الإعراب ، إلا أنه مبني لا يتأثر لفظه بالعامل النحوي ، ومن هنا يكون إعرابه محلياً ، ويقسم بحسب إعرابه ثلاثة أقسام :

آ ـ ضمائر الرفع :

وهي التي تقع مواقع الفاعل ونائبه، واسم (كان) وأخواتها وهي : التاء، مثل : كتبتُ ، وكنتُ . وتضم إذا كانت للمتكلم ، وتفتح في خطاب المفرد المذكر، وتكسر في خطاب المفردة المؤنثة. ومنها: نون النسوة، وواو الجماعة، وألف الاثنين ، وياء المخاطبة ، مثل : كتبْنَ ، وكانوا ، وضُرِبا ، واكتبي .

ب ـ ضمائر النصب والجر :

وهي : كاف الخطاب ، وهاء الغيبة ، وياء المتكلم ، أما مواقع النصب فهي :

١ ـ مفعول به : إذا اتصلت بفعل تام متعدٍ ، مثل : أعلمتك ، ودرّبتُه ، أو اتصلت باسم فاعل معرف بأل ، مثل : أيها اللائمي ، وأيها الضارِبُهُ .

٢ ـ اسم (إن) وأخواتها ، مثل : إنك ، ولعله ، وليتها ، و . . .

٣ ـ مفعول مطلق : وإذا عاد الضمير إلى مصدر الفعل اللازم أو المتعدي كان مفعولاً مطلقاً ، مثل : هذه توبةٌ لا أتوبها ، وسلوك لا أسلكه ، ومشيةٌ لا أمشيها .

٤ ـ خبر الفعل الناقص : وقد تكون خبراً لفعل ناقص ، كما في قول أبي الأسود :

فإلا تكُنْهُ أو يكنها فإنه   أخوها غذته أمه بلبانها

وتكون في محل جر إذا وقعت في أحد الموضعين التاليين :

١ ـ إذا اتصلت بحرف الجر ، مثل : عنها ، ولكَ ، ومني ، وعليه .

٢ ـ إذا اتصلت بالاسم ، مثل : كتابك ، وبلدكم ، وبحرهم .

جـ ـ ضمير مشترك :

وثمة ضمير واحد يقع في جميع المواقع التاليه ، هو (نا) ، فهو ضمير رفع في مثل : عرفْنا ، وذهبْنا ، ونمنا . وضمير نصب في مثل : يعرفُنا ، ويعلِّمُنا ، ويعطينا . وضمير جر في مثل : فينا وإلينا ، وبيتنا ، وبلدنا .

٢ ـ لواحق الضمائر :

وهناك لواحق يلحقن بالضمير لتدل على معانٍ صرفية ، كالتثنية ، والجمع ، وهي :

آ ـ ما يدل على المثنى :

ولكي يدل الضمير على المثنى يلحق به حرفان ، هما : ميم تسمى ميم العماد ، وألف بعدها تدل على الاثنين ، مثل : نمتما ، وأعلمهما ، وقابلتكما .

ب ـ ما يدل على الجمع :

ولكي يدل على جماعة الذكور العقلاء تلحق به ميم ، مثل : نمتم ، وأعلمهم ، وقابلتكم . وإذا كان الجمع للإناث العاقلات لحقت به نون مشددة مفتوح جزؤها الثاني ، مثل : أقلامكنَّ ، ورؤيتكنَّ ، وهذبكُنَّ . وإذا كان الجمع لما لا يعقل دل عليه ضمير المفردة الغائبة ، مثل : للجماداتِ سِرُّها وجمالُها .

٣ ـ ما يعود إليه ضمير الغيبة :

آ ـ لابد لضمير الغيبة من مرجع يرجع إليه ، تقول : وللربيعِ جماله وسحره ، وللطبيعة فيه أحلامُها ورُؤاها . وتقول : حمل الناسُ أمتعتَهم على عجل ، فنسيت نساؤهم بعض أمتعتهنَّ .

ب ـ وموقع الضمير في التركيب اللغوي بعد مرجعه ، ويقال لهذا التركيب : رُتْبة ، وتتجسد في الشكل التالي :

مرجع الضمير + الضمير .

ولكن من الممكن أن يتقدم على مرجعه في اللفظ ، كأن تقول : لقي أخاهُ صالحٌ . فالهاء في (أخاه) ترجع إلى (صالح) ، وهذا مجرد تقديم لفظي ، ولكن الرتبة لاتزال محافظة على تقديم المرجع ، إذ الأصل : لقي صالح أخاه . لأن رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول به .

ولكن من الخطأ أن يعود الضمير من الفاعل إلى المفعول به ، لأنه في ذلك يرجع إلى متأخر في اللفظ والرتبة ، فلا يقال : لقي بنوه زيداً . بل في هذه الحال يجب تقديم المفعول به : لقي زيداً بنوه . وما جاء من هذه اللغة في الشعر لا يعتد به ، كقول أبي الأسود :

جزى ربُّهُ عني عَدِيَّ بن حاتمٍ جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَلْ

وكان عليه أن يقول : جزى عديَّ بن حاتم ربُّه .

جـ ـ ولابد من التطابق بين الضمير ومرجعه من حيث العدد والجنس ، فالمرجع المذكر المفرد يرجع إليه ضمير مذكر مفرد ، والمرجع المثنى المؤنث يرجع إليه مثيله ، وهكذا . إلا أن هناك أسماء مبهمة مثل : مَنْ ، وما ، الموصولتين أو الشرطيتين ، تصلح لكل ضمير ، مثل : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له ﴾ (فاطر : ٢) لقد عاد الضمير إلى (ما) الشرطية مرة مؤنثاً : لها ، ومرة مذكراً : له .

وإذا كان المثنى مذكراً ومؤنثاً عاد الضمير مذكراً ، مثل : هند وزيد جاءا . وإذا كان جمع تكسير عاد إليه ضمير الجماعة العقلاء ، مثل : إذا الرجال شَتَوا احتاجوا إلى الدفء . ويجوز أن يعود أيضاً ضمير المؤنثة : إذا الرجال شتت . أما إذا كان جمعاً سالماً ، مذكراً أو مؤنثاً . فلابد من التطابق : إذا المعلمون دخلوا الصفوف فحيوهم . وإذا المعلمات دخلن فحيوهن . ويجوز على قلة عود ضمير المفردة الغائبة إلى جمع الإناث إذا كان للتكسير ، مثل : إذا العذارى تلفعتْ بالدخانِ كثر الضيوف .

٤ ـ حذف الضمير العائد :

ويجوز حذف الضمير العائد إذا كان واقعاً موقع المفعول به أو شبهه في موقعين :

صلة الموصول ، وجملة الصفة . تقول : أأنت صاحبُ هذا الكتابِ الذي أرى . أي : أراه . فقد حذف الضمير لأنه عائد إلى اسم موصول ، ولأنه مفعول به . وتقول أيضاً : احذر يوماً لا ينفعُك غناك . أي : لا ينفعك فيه غناك . فقد حذف الضمير لوقوعه في جملة الصفة ، ولأنه مجرور بحرف جر ، فهو يشبه المفعول به ، وتقول أيضاً : سآكل مما تأكل ، وألبس مما تلبس . أي : مما تأكل منه ، ومما تلبس منه .

ب ـ الضمائر المنفصلة

وتسمى هذه الضمائر منفصلة لأنها تلفظ مستقلة ، وتقع بعد (إلا) ، فتقول مثلاً : هي عصاتي ، وهو أخي ، وأنت صديقي . وتقول : لولا هو لضعف موقفنا . وهي قسمان : ضمائر الرفع ، وضمائر النصب .

١ ـ ضمائر الرفع :

وضمائر الرفع متنوعة أيضاً ، فمنها ما يكون للخطاب ، ومنها ما يكون للمتكلم ، ومنها ما يكون للغائب .

أما ضمير المخاطب فهو (أنتَ) ، فإذا خوطب المفرد المذكر فتحت التاء ، وإذا خوطبت المفردة المؤنثة كسرت التاء : أنتِ . ويقال في التثنية : أنتما ، ولجمع الذكور : أنتم ، ولجمع الإناث : أنتُنَّ .

وأصل هذا الضمير هو (أَنَ) فإذا دخلت عليه التاء تسكن النون ، وتقول في إعراب : أنت نبيل ، مايلي :

أنتَ : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ .

نبيل : خبر مرفوع .

وللمتكلم ضميران ، هما : أنا ، للمفرد أو المفردة ، ونحن ، للمثنى والجمع ، ذكوراً أو إناثاً . مثل : أنا طالب . أنا طالبة ، نحن طالبان ، نحن طالبتان ، نحن طلاب ، نحن طالبات .

وللغائب ضميران أيضاً ، هما : هو ، للمفرد ، وهي ، للمفردة ، وتلحق بهما أحرف أخرى في تصريفهما للدلالة على المثنى : مثل : هما طالبان أو طالبتان ، أو على الجمع ، مثل : هم طلاب ، وهُنَّ طالبات .

وإليك جدولاً يلخص هذه الضمائر :

	ضمير الخطاب: أنتَ، أنتِ ، أنتما ، أنتم ، أنتنَّ .
١ـ ضمائر الرفع	ضمير المتكلم : أنا ، نحن .
	ضمير الغيبة : هو ، هي ، هما ، هم ، هُنَّ .

ولهذه الضمائر مواقع إعرابية خاصة ، هي :

١ ـ مبتدأ : وهذا هو الكثير ، مثل : أنا هنا . ونحن قادمان ، وأنتم ذاهبون ، وأنتنَّ كريمات علينا .

٢ ـ فاعل أو نائبه : مثل : ما جاء إلا هو . وما خرج من القاعة إلا نحنُ . وإنما يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي . وما قُتِل في المعركة إلا هو . وإنما يُخشَى من الناس نحن .

٣ ـ توكيد الضمير المتصل أو المستتر : مثل : خرجتَ أنت وعمك .

فأنت : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع ، توكيد للضمير (أنت) .
ويندر أن يقع بعد حرف الجر ، مثل : ما أنا كهو ، ولا أنتم كنحنُ .

٢ ـ ضمير النصب المنفصل :

إنه ضمير واحد : إيّا . ويتصرف بلواحق يتحدد بها المفرد الغائب ، مثل : إياهُ ، والمفردة : إياها ، والمثنى مذكراً أو مؤنثاً : إيَّاهما ، وتقول : إياهم ، وإياهن . وتقول في الخطاب : إياكَ ، وإياكِ ، وإياكما ، وإياكم ، وإياكن . أما مواقعه الإعرابية فمقصورة على مواقع النصب ، ولا سيما المفعول به ، مثل : إياك أحبُّ ، وإياكما رأيتُ . وإياك من الأذى .

جـ ـ الضمائر المستترة

وثمة ضمائر لا تظهر في الشكل الملفوظ من الجملة ، ولكنها تُنوى وتُقَدر في النفس ، وتلحظ من السياق العام ، وهي نوعان : المستترة جوازاً ، والمستترة وجوباً .

١ ـ المستتر جوازاً :

يستتر الضمير جوازاً إذا كان (هو) أو (هي) ، وعرف مرجعه ، مثل الشتاء وَلّى . ففي الفعل (ولى) ضمير مستتر جوازاً تقديره : هو يرجع إلى الشتاء . ومثل : الغماماتُ انجابتْ . في الفعل (انجابت) ضمير مستتر جوازاً تقديره : هي ، يرجع إلى : الغمامات . ويستتر هذان الضميران في الأفعال الماضية والمضارعة ، مثل : أخوك لا ينامُ ولا يدعنا ننام . وهو لا قرأ ولا كتب .

٢ ـ المستتر وجوباً :

ويستتر من الضمائر وجوباً ثلاثة فقط ، هي : أنتَ ، وأنا ، ونحن . أما الأول فيستتر في الفعل المضارع وفي فعل الأمر فقط ، تقول : أنتَ تريحُ بحديثِك . وتقول : قُل وأفهِمْ وأفصِحْ عما في نفسك .

وأما (أنا) و(نحن) فيستتران وجوباً في الفعل المضارع فقط ، مثل : أذهبُ إلى المسبح كل يوم . وننام مبكرين .

وهناك موضع خاص يستتر فيه الضمير (هو) وجوباً ، هو فعل التعجب حين يكون على صيغة (أَفْعَلَ) ، مثل : ما أصعبَ العملَ لتحقيق الرغائب . تقول في إعراب هذا الفعل : أصعبَ : فعل ماض جامد لإنشاء التعجب ، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره (هو) يعود إلى (ما) التعجبية .

وإذا جُعلت : خلا ، عدا ، حاشا ، أفعالاً جامدة ، استتر فيها (هو) وجوباً كذلك . وهذا ما سوف تراه في مبحث : المستثنى .

٢ ـ الأسماء الموصولة

الاسم الموصول من جملة الأسماء المبهمة التي تستخدم كناية عن الاسم ، كالضمير واسم الشرط واسم الإشارة . ولكنه يتصل بجملة يقال لها صلة الموصول . ولهذه الجملة وظيفة مهمة ، لأنها هي التي تحدد المقصود منه وتبينه ، وتجعله معرفةً كالمعرَّف بأل ، أو بالإضافة ، أو بالنداء والقَصْد .

والأسماء الموصولة نوعان : مختص وغير مختص .

١ ـ المختص :

ويقال لهذا النوع مختص لأنه يدل على جنس خاص : مذكرٍ أو مؤنث ، وعلى عدد خاص : مفردٍ أو مثنى أو جمع . وأفراد هذا النوع هي : الذي ، والتي ، وما يتفرع منهما ، مثل : الذي ، اللذان ، اللذَين ، الذين ، الأُلى . والتي ، واللتان ، واللتين ، واللائي ، واللاتي ، واللواتي ، والأُلي . تقول : أنت الصديق الذي أثق به . وأنتما الصديقتان اللتان أثق بهما . وأنتم الأصدقاءُ الذين ، أو الأُلى ، أثق بهم . وأنتنَّ الصديقات اللاتي أثق بهنَّ .

٢ ـ غير المختص :

ويقال له أيضاً : المشترك ، أو العام ، لأنه لا يدل على جنس أو عدد خاص ، وأفراده : مَنْ ، وما ، وذو ، وذا ، وأيُّ ، وأل .

ومنه ما انقرض منذ أزمان ، مثل : ذو ، وأي ، وهو نادر منذ القديم .

أما (مَنْ) فيغلب عليها أن تستعمل للعاقل ، أو العاقلة ، أو العاقلَين أو

العاقلتين ، أو للعقلاء والعاقلات ، تقول : جاء مَنْ نحب حديثه . وجاءت من رافقت أمك في السفر . وجاء من انتصرا في المباراة ، ومن انتصرتا ، ومن انتصروا ، ومن انتصرن .

وقد تستعمل (من) لغير العاقل إذا اختلط بغيره ، كقوله تعالى : ﴿ فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ﴾ (النور : ٤٥) .

وأما (ما) فيغلب أن تكون لغير العاقل ، مثل : هذا ما أريدُهُ ، وإني لأرضى منك بما لا أرضاه من غيرك ، وقد تستخدم للعاقل إذا اختلط بغيره مثل : ﴿ يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ (الجمعة : ١) .

وأما (ذو) فقد كانت تستخدم اسماً موصولاً في اللغة اليمنية كقول سنان الطائي :

فإن الماء ماءُ أبي وجدي وبئري ذو حفرت وذو طويتُ

أي : بئري الذي حفرته والذي طويته .

وتكون (ذا) اسماً موصولاً إذا اتصلت بـ (ما) أو (مَنْ) الاستفهاميتين ، مثل : من ذا رأيت ؟ أسعدٌ أم سعيدٌ ؟ أي : من الذي رأيته . وتقول : ماذا أكلتَ ، أتفاحٌ أم برتقال ؟ أي : ما الذي أكلته .

وتكون (ال) اسماً موصولاً ـ فيما يزعم النحاة ـ إذا اتصلت باسم فاعل أو اسم مفعول يقوم مقام فعله ، مثل : تعِسَ القاتلُ نفسَهُ ، ونجح المحمودُ ذكرُهُ . أي : الذي يقتل نفسه ، والذي يُحمد ذكره . وقد تدخل في الضرورة على جملة أو شبه جملة ، مثل قول الفرزدق :

ما أنت بالحكم التُرضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدلِ

وقول الراجز :

من لايزال شاكراً على المَعَهْ فهو حَرٍ بعيشةٍ ذاتِ سَعَهْ

وأما (أي) فلا داعي للحديث عنها ، لأننا سوف نعود إليها في الأسماء المبنية بناءً تركيبياً .

٣ ـ بناء الأسماء الموصولة وإعرابها :

الاسم الموصول في الأصل مبني لأنه يشبه الحرف ، فكل منهما يحتاج

إلى ما يزيل إبهامه ، فكما أن الحرف لا يظهر معناه إلا بما يتصل من كلمات السياق كذلك لا يظهر معنى الاسم الموصول إلا بصلته .

ويبنى بعض الأسماء الموصولة على السكون ، مثل : الذي ، والتي ، والألى ، ومَنْ ، وما ، و . . . ويبنى بعضها الآخر على الفتح مثل : الذينَ ، أو الضم مثل : أيُّ .

ولكنه قد يعرب أحياناً ، وذلك إذا كان على صورة المثنى ، إذ يلحق بالمثنى ، ـ كما قلنا من قبل ـ وفي هذه الحال يرفع بالألف مثل : جاء الرجلان اللذان تكرمهما . وينصب ويجر بالياء ، مثل : عرفت البطلين اللذين انتصرا ، ومررت باللذين تعرفهما .

٤ ـ صلة الموصول والعائد :

لابد للاسم الموصول من صلة تبين إبهامه ، قد تكون جملة فعلية ، مثل ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا ﴾ (فصلت : ٢٢) ، وقد تكون اسمية كقول جرير :

إن العيونَ التي في طرفها حَوَرٌ   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

ويغلب عليها أن تكون جملة خبرية كما رأيت في الشاهدين السابقين ، وقد تكون إنشائية على ندرة ، كقول الفرزدق :

وإني لرامٍ نظرةً قِبَلَ التي   لعلي وإن شطتْ نواها أزورها

ولابد من وقوعها بعد الاسم الذي تتصل به مباشرة ، أو بعد فاصلٍ عارض ، كالنداء أو القسم ، كقول الفرزدق :

تَعَشَّ فإن عاهَدْتني لا تخونني   نكن مثلَ مَنْ ـ يا ذئبُ ـ يصطحبانِ

ولا بد لها من أن تشتمل على ضمير يرجع إلى الاسم الموصول يقال له العائد ، أو الرابط ، وهو يطابق ما يرجع إليه في الجنس والعدد ، ويكون منفصلاً أو متصلاً أو مستتراً مثل : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ (المؤمنون : ١ ، ٢) ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ﴾ (النساء : ١٦) ﴿ وهو الذي مَدَّ الأرضَ . . . ﴾ (الرعد : ٣) فهو في الآية السابقة ضمير منفصل (هم) ، وفي الثانية متصل ألف الاثنين في يأتيان : (ا) وفي الثالثة مستتر في الفعل (مَدَّ) .

وقد يحذف إذا كان واقعاً موقع المفعول به أو شبهه في صلة الموصول ، وقد مَرّ بنا هذا من قبل في مبحث الضمائر .

٣ ـ أسماء الإشارة

اسم الإشارة من الأسماء المبهمة أيضاً ، فهو يدل على المشار إليه بإشارة حسية ضمن سياقٍ خارجي معيَّن ، إذ لابد من وجود المشار إليه والمتكلم والمخاطب ، وإذا عُزل عن هذا السياق فقد دلالته .

على أنه قد يكون المشار إليه مفهوماً من السياق ، وليس بشيء حسي ، كما ترى في قول أرطاة بن سهية :

تمنَّت وذاكم من سفاهةِ رأيها   لأهجوها لما هجتني محارِبُ

أي : وذاكم المرادُ من سفاهة رأيها . ومثله قول عبد الله بن الزبعرى :

إن للخير وللشر مدى   وكلا ذلك وَجْهٌ وقَبَلْ

أي : وكِلا ما ذكرت من الخير والشر .

وأسماء الإشارة قليلة في اللغة العربية ، وهي : ذا ، ذهِ ، تِه ، ذي ، تي ، تا ، أولاءِ ، هنا ، ثَمَّ . ولكل منها مشار إليه محدد .

١ ـ ذا :

ويشار به إلى المذكر المفرد ، سواء أكان عاقلاً أم كان غير عاقل ، تقول : ذا بحر ، وذا رجل . ويغلب عليه أن يتصل بـ (ها) التي تفيد التنبيه ، فيقال : هذا النهر من أكبر أنهار العالم .

وإذا استعمل للمثنى حذفت ألفه ودخلته علامة التثنية ، وهي في حال الرفع ألف ، وفي حالتي الجر والنصب ياء . مثل : لقيتُ هذين ، ومررت بهذين ، وجاء هذان .

٢ ـ ذهِ ، تهِ ، ذي ، تي ، تا :

يشار بهذه الأسماء كلها إلى المفردة عاقلة كانت أو غير عاقلة ، تقول : ذه بحيرة ، وتِهِ وردة جميلة ، وذي يدي تمتد إليكم ، وتا نجمة تتلألأ .

وتتصل بها أيضاً (ها) التي للتنبيه غالباً ، فتصير : هذه ، هاته ، هذي ، هاتي ، هاتا . ويشار بها أحياناً إلى جمع التكسير ولو كان للعقلاء مثل : ﴿ تلك الرُسُل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ (البقرة : ٢٥٣) . ويشار بها بكثرة إلى جمع ما لا يعقل ، مثل : هذه أيامٌ طيبة نقطف بها ثمار جهودنا .

ويقال في المثنى : تانِ ، في الرفع ، وتَيْنِ ، في النصب والجر ، فتلحق بإعراب المثنى .

٣ ـ أولاءِ :

وهو للجمع المذكر والمؤنث ، عقلاء ، وغير عقلاء ، مثل : أولاءِ أقرباؤك ، وأولاءِ قريباتك ، وأولاءِ كتبُك . وتتصل بـ (ها) التنبيه فتصير : هؤلاءِ . وتتصل بها كاف الخطاب فتصير : أولئك .

٤ ـ هُنا ، ثَمَّ :

يشار بهذين إلى المكان ، فإن كان قريباً أشير إليه بالأول ، وإن كان بعيداً استخدم الثاني . وقد يلحق (ثَم) تاء التأنيث ، فيقال : ثَمةَ عمل جاد . ويعرب كل منهما ظرف مكان . وقد تدخل (ها) التنبيه على الأول : ههنا . ولكن لا تدخل على الثاني .

ويقل استعمال (هنا) خاصة ليشار به إلى الزمان ، كقول الشاعر :

وإذا الأمور تشابهت وتعاظمت فهنـاك يعتـرفـون أيـن المفـزعُ

أي : في ذلك الوقت .

لواحق أسماء الإشارة وسوابقها

لأسماء الإشارة سوابق ولواحق ذات دلالات صرفية ، هي :

١ ـ ها :

ووظيفتها أن تثير تنبيه المخاطب ، ليصغي إلى المتكلم وينظر إلى حيث يشير ، وقد يفصل بينها وبين اسم الإشارة بالضمير ، مثل : ها هو ذا أبي . وها هي ذي أمي ، وها هم الناسُ أولاءِ . وها هُنَّ أولاءِ . كما قد يفصل

بينهما الكاف ، فيقال هكذا ، ويقال أيضاً : ها والله ذا . وها لعمر الله ذا ، فيفصل بينهما بالقسم .

ولكن (ها) التنبيه لا تدخل على (ثَم) ـ كما رأينا ـ ولا على : ذلك ، وتلك ، وكل ما فيه اللام ، ويقل دخولها على ما فيه الكاف ، كما في قول طرفة :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهلُ هذاك الطرافِ الممَّدِ

٢ ـ اللام :

وتدل على بعد المشار إليه غالباً ، مثل : انظر ذلك النجم المتلألىء . ولكنها قد تدخل على ما يشير إلى القريب ، مثل : ما ذلك الذي بيدك . ومثله قول خفاف بن ندبة :

فقلت له والرمح يأطر متنه تـأمل خفـافاً إنني أنـا ذلكـا

ولا تدخل اللام على ما فيه (ها) ، ولا على المثنى من أسماء الإشارة ، وقد تكون مكسورة مثل : ذلِكَ . أو ساكنة : تِلْكَ .

٣ ـ كاف الخطاب :

وتفيد معنى الخطاب ، وغالباً ما تطابق المخاطب ، كقوله تعالى : ﴿ فذانكَ برهانان من ربكَ ﴾ (القصص : ٣٢) ﴿ قال : كذلكِ قال ربكِ ﴾ (مريم : ٢١) ﴿ ذلكم أزكى لكم ﴾ (البقرة : ٢٣٢) ﴿ فذلكنَّ الذي لمتُنَّني فيه ﴾ (يوسف : ٣١) فأنت ترى كيف طابق بين كاف الخطاب والمخاطب مفرداً أو مثنى أو جمعاً . مذكراً أو مؤنثاً . ولكن هذا ليس بواجب فقد يلتزم الإفراد والتذكير ، مثل : ﴿ ذلكَ خير لكم . . . ﴾ (المجادلة : ١٢) ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ (البقرة : ١٤٢) .

ويمتنع دخول الكاف على اسم الإشارة إذا وقع منادى ، أو إذا كان فيه (ها) التنبيه إلا في ضرورة الشعر ، ولا تدخل على : ثَمَّ ، وثمة .

بناء أسماء الإشارة وإعرابها

وأسماء الإشارة تشبه الحرف في الدلالة ، ولذلك تبنى في الأصل ، ولا تكون معربة إلا حين تثنى ، والمبني منها إما أن يبنى على السكون ، مثل :

ذا ، ذي ، تا ، تي ، هنا ، ذِهْ ، تِهْ ، وإما أن يبنى على الفتح ، مثل : ثَمَّ ، وثَمَّةَ . مثل : ﴿ فأينما تكونوا فثَمَّ وجه الله ﴾ (البقرة : ١١٥) وإما أن يبنى على الكسر ، مثل : هؤلاءِ ، أو أولئِك . . . كقول الفرزدق :

أولئِكَ آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

ولكن اسم الإشارة إذا ثني لحق بالمثنى ، وحينئذٍ يرفع بالألف ، وينصب ويجر بالياء ، مثل : جاء هذان المسافرانِ اليومَ . وإن هذين المسافرين ذهبا ، ومثل : ﴿ أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ (القصص : ٢٧) .

☆ ☆ ☆

الأسماء المبنية بناءً عارضاً

أما النوع الثاني من الأسماء المبنية فهو محور الحديث هنا ، فمنه ما يبنَى على الفتح أحياناً ، ومنه ما يبنَى على الضم ، ومنه ما يبنَى على الكسر . وهذه الأسماء لا تبنَى دوماً ـ كما قلنا ـ وإنما يرجع بناؤها إلى ثلاثة أضرب :

١ ـ إما إلى العلاقات اللفظية في بنية التركيب .

٢ ـ وإما إلى الدلالة العرفية التي يصطلح الناس عليها .

٣ ـ وإما إليهما معاً .

وسنفصل الحديث عن كل منها .

ما يبنى على الفتح قياساً

يطرد البناء على الفتح في الأسماء الآتية :

آ ـ المركبة تركيباً مزجياً :

وهي ما تألفت من كلمتين كانتا في الأصل مستقلتين ، كقول عبيد بن الأبرص :

نحمـــي حقيقتَنـــا وبعـ ـضُ القومِ يسقط بَيْنَ بَيْنا

وكقولك : ظهر أحدَ عَشَرَ كوكباً . فأنت ترى قول الشاعر : بين بين ، مبنياً في جزأيه على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية ، وكذلك ترى « أحدَ عشرَ » مبنياً في جزأيه على الفتح في محل رفع ، لأنه فاعل للفعل : ظهر ، وهذا كثير ، كقولك : أعملُ صباحَ مساءَ ، وهو جاري بَيْتَ بَيْتَ .

ومن المركبات ما يبنى جزؤه الأول ، ويعامل جزؤه الآخر معاملة الممنوع من الصرف ، وهو ما كان اسم علم ، تقول : بدت لنا حضرموْتُ ، وهذه بَعْلَبَكُّ .

ب ـ أسماء الزمان المبهمة :

أسماء الزمان المبهمة هي التي لا تحدد وقتاً معيناً ، مثل : يوم ، وعام ، وحين ، و . . فهذه جميعاً تبنى على الفتح إذا أضيفت إلى جملة . ولكن بناءها جائز لا واجب ، ومعنى هذا أنه يجوز فيها الإعراب والبناء ، غير أن كلاً منهما يرجح على صاحبه في موضع دون آخر ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ يرجح البناء إذا كان صدر الجملة المضاف إليها مبنياً ، وذلك إذا كان فعلاً ماضياً كقول النابغة الجَعْدي :

أتَتْ مئةٌ لِعامَ وُلِدْتُ فيهِ وَعشْرٌ بعدَ ذاكَ وحجتانِ

وقول النابغة الذبياني :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِبا وقلتُ : ألمّا تَصْحُ والشيبُ وازعُ

ففي البيت الأول أضيف اسم الزمان المبهم « عام » إلى جملة صدرها مبني لأنه فعل ماض ، وكذلك أضيف في البيت الثاني « حين » إلى جملة : عاتبت المشيب . ومن هنا رجح البناء على الفتح ، فلم يؤثر في كل منهما حرف الجر السابق له ، وظل ملازماً لحركة الفتح لأنها حركة بناء[1] .

٢ ـ ويرجح الإعراب على البناء إذا كان صدر الجملة المضاف إليها معرباً ، كما في قول الفرزدق :

على حينِ لم أتركْ على الأرضِ حيةً ولا نابحاً إلا استسرَّ عَقورُها[2]

وقوله تعالى : ﴿ هذا يومُ ينفعُ الصادقينَ صدقُهم ﴾ (المائدة : ١٢٢)

ففي هذين الشاهدين تجد غير ما وجدته هناك ، فاسما الزمان المبهمان : حين ويوم ، معربان تأثر الأول بحرف الجر « على » فجرّ ، وتأثر الثاني بعامل الرفع ، وهو الابتداء ، فرفع ، لأن كلاً منهما أضيف إلى جملة صدرها فعل مضارع معرب .

---

(١) نقول في إعراب (حين) و(عام) : اسم مبني على الفتح في محل جر بحرف الجر .

(٢) استسر : استخفى . العَقور : كل سبع جارح . يريد أنه لم يدع أحداً من الشعراء إلا جعله يستخفي من مخافته .

ولكن هذا ـ كما قلنا ـ جواز لا وجوب ، أي : أنك تستطيع أن تبنيَ اسم الزمان المبهم في قول الفرزدق وفي الآية القرآنية ، وأن تعربه في قول النابغتين : الذبياني والجعدي ، ولكنك إن فعلت ذلك تركت أرجح المذهبين ، وأفصح اللغتين .

جـ ـ الأسماء المبهمة عامة :

الاسم المبهم كلمة ليس لها دلالة واضحة إذا كانت مفردة ، فلو قلت : هذا الرجل مِثْلٌ . كان تشبيهك غير واضح ، لأن كلمة « مثل » مبهمة لا تدل على معنًى محدد إلا إذا أضفتها إلى شيء ، كأن تقول مثلاً : هذا الرجل مثل أخيك . فكل اسم لا يتضح معناه إلا بما يضاف إليه يكون اسماً مبهماً من قبيل « مثل » .

على أننا هنا لا نخص هذا الضرب من الأسماء بالبحث ، بل نتحدث عن الأسماء المبهمة عامة ، ظروفاً كانت أو غير ظروف ، والفرق بين هذه الفقرة والتي سبقتها هو أن المضاف إليه هنا كلمة مفردة ، لا جملة كما كان هناك فهذه الأسماء إذا أضيفت إلى كلمة مبنية بنيت جوازاً على الفتح ، كما تَرى في قول جرير :

رددنا لشعثاءَ الرسولَ ولا أرى كيَومَئِذٍ شيئاً تُرَدُّ رسائلُهْ

فقوله : يوم ، بني على الفتح ، ولم يتأثر بحرف الجر الكاف ، لأنه أضيف إلى « إذ » وهي مبنية[1] .

على أن البناء هنا ـ كما قلنا ـ ليس واجباً ، فقد جاء في النصوص الفصيحة إعراب بعض هذه الأسماء المبهمة ، على الرغم من استيفائها لشروط البناء ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فإنْ آمنوا بمثلِ ما آمنتم به ، فقد اهتدوا ﴾ (البقرة ١٣٧) فإن « مثل » هنا أضيفت إلى مبني وهو « ما » الموصولة ، ومع هذا أعربت ولم تبنَ على الفتح .

(١) نقول في إعراب (كيومئذٍ) : الكاف حرف جر ، يوم : اسم مبني على الفتح في محل جر بالكاف ، والجار والمجرور معلقان بالفعل (أرَى) . و(إذ) اسم مبني على السكون في محل جر مضاف إليه . وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين (سكون البناء ، وسكون التنوين) .

د ـ اسم « لا » النافية للجنس :

ومما يبنى على الفتح قياساً في لغة العرب اسم « لا » النافية للجنس ، إذا كان مفرداً أي : غير مضاف أو شبيه بالمضاف ، ولم يسبقها عامل من عوامل الجر ، ولم يفصل بينه وبينها فاصل ما ، وذلك كقول تأبط شراً :

لا شيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذرٍ ... وذا جناح بِجَنْبِ الرَّيْدِ خفّاقِ

وإذا كان مثنى أو جمعاً بني على ما ينصب به ، مثل : لا رجلينِ في الدار ، ولا قائمينَ فيها ، ولا قائماتِ هناك[1] .

مايبنَى على الضم قياساً

ويبنَى على الضم قياساً الأسماءُ الآتية :

آ ـ ما قطع من المبهمات عن الإضافة :

هناك أسماء مبهمة الدلالة ، لها في العربية استعمال خاص ، فهي دائماً مضافة ، وبعدها مضاف إليه ، كالكلمات : غير ، وبعد ، وقبل ، وتحت ، وقدام . نقول : غير المغضوب عليهم ، وبعد الظهر ، وقبل العصر ، وتحت الشجرة ، وقدام البيت .

إلا إنه قد يحذف الاسم الذي أضيفت إليه حذفاً لفظياً ، دون أن يزول معناه في التركيب ، وهذا يشبه إضمار الفاعل في الفعل ، ويعني هذا أن المضاف إليه مقدر بعدها ، ومن أجل ذلك تبنَى المبهمات على الضم لتدل على هذه النكتة اللغوية المعنوية ، تأمل قوله تعالى : ﴿ سُنةَ الله في الذين خلَوا من قبلُ ﴾[2] (الأحزاب : ٦٢) فقوله : قبل ، مقطوع عن الإضافة ، والمعنَى : من قبلِ هذا الزمان ، أو من قبلِكم . وكذلك يقال في لغة التجارة :

(١) يَرى بعض النحويين أن يبنى جمع المؤنث السالم على الفتح لا على ما ينصب به وهو الكسر .

(٢) قبلُ : اسم مبني على الضم في محل جر بحرف الجر ، معلق بالفعل (خلوا) .

المطلوبُ من فلانٍ مئةُ ليرة ، ليس غَيْرُ[1] . والتقدير : ليس المطلوبُ منه غيرَ ذلك . ومن هذا قولُهُ تعالى : ﴿ فما يكذبك بعدُ[2] بالدين ﴾ (التين : ٧) وقوله : ﴿ لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ﴾ (الروم : ٤) ، ومنه قول رجل من تميم :

لعنَ الإلهُ تعِلَّةَ بنَ مسافرٍ لَعْناً يُشَنُّ عليهِ من قُدامُ

ومن الواضح البين أن هذه المبهمات إذا لم تقطع عن الإضافة تكون معربة ، كقولك : عرفت هذا قبل ذاك . وكقوله تعالى : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتابَ إلا من بعدِ ما جاءتهم البينة ﴾ (البينة : ٤) .

ب ـ المنادى :

ويبنى المنادى على الضم إذا كان اسمَ علمٍ مفرداً ، أو نكرة مقصودة ، مثل : يا خالدُ ، يا سعيدُ ، يا عليُّ ، يا رجلُ ، يا نائمُ[3] . . .

جـ ـ أي الموصولة :

ومن المبنيات على الضم الاسم الموصول « أي » ، ولكن يشترط في ذلك أن يكون مضافاً إلى ضمير ، ومحذوفاً صدرُ صلته ، كما تَرى في قوله تعالى : ﴿ ثم لننزعَنَّ من كل شيعة أيُّهم[4] أشد على الرحمٰن عِتِياً ﴾ (مريم : ٦٩) . فالتقدير ، لننزعن الذي هو أشد على الرحمٰن .

ومثله قول غسان بن وَعْلة :

إذا ما لقيتَ بني مالكٍ فسلمْ على أيُّهُمْ أفْضَلُ

فأنت تَرى « أي » في الآية لم تنصب متأثرة بالفعل « ننزع » ، ولم تجر

---

(١) غيرُ : اسم مبني على الضم في محل نصب ، خبر (ليس) .

(٢) بعدُ : اسم مبني على الضم في محل نصب ، ظرف زمان ، معلق بالفعل (يكذبك) .

(٣) يا رجل : يا أداة نداء . رجلُ : منادَى مبني على الضم في محل نصب . (وكذلك نقول في جميع الأسماء) .

(٤) أيهم : أيُّ : اسم موصول مبني على الضم في محل نصب مفعول به للفعل (ننزع) والهاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه ، والميم : علامة جمع الذكور العقلاء .

في البيت بحرف الجر « على » ، بل لزمت حركة الضم لأنها حركة بناء لا حركة إعراب .

مايبنى على الكسر قياساً

وفي اللغة أسماء تبنى على الكسر بناء قياسياً ، وذلك ضمن شروط ، إذا استوفتها بنيت ، وإلا كان لها حكم آخر ، وهي :

آ ـ العَلَمُ المختوم بـ : وَيْهِ :

كتلك الأسماء التي كثر استعمالها بعد اختلاط العرب بالفرس خاصة ، مثل : سيبويهِ ، ودُرُسْتُوَيْهِ ، ونِفْطَويهِ[1] .

ب ـ ما كان على وزن فَعالِ :

وتستعمل هذه الصيغة علماً للأنثى ، مثل : حَذامِ ، أو شتماً لها مثل : يا خَباثِ ، ومنه قول الخليفة عمر بن الخطاب للأمةِ التي تقنعت : ألقي عنكِ الخِمارَ يا دَفارِ . أي : يا دَفِرة ، والدفرة المنتنة ، وتستعمل كذلك اسم فعل أمر ، مثل : حذارِ .

والعرب ـ ما عدا بني تميم ـ تبنيها على الكسر ، فتقول : جاءت حَذامِ ، ومن هذا قول الشاعر :

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإن القولَ ما قالتْ حذام

أما تميم فلا تبني على الكسر من هذه الأسماء إلا ما انتهى براء ، أما غير ذلك فتعربه وتجعله ممنوعاً من الصرف ، وعليه قول الفرزدق التميمي :

متى ما تَرِدْ يوماً سَفارِ تَجِدْ بها أديْهِمَ يرمي المستجيزَ المُعَوَّرا[2]

فقد بنى « سفار » على الكسر لأنها تنتهي براء ، وهذا لحن قومه ، أما غير تميم فيبنون على الكسر كل ما كان على وزن : فعالِ ، مهما يكن الحرف

(١) يجيز بعض النحاة وجهاً آخر هو أن تعرب وتعامل معاملة الممنوع من الصرف .

(٢) سفار : اسم بئر . والمستجيز : المستقي . والمعور : المردود عن الماء . وأديهم : أحد بني كعب ، كان يحمي سفار ، ولا يسمح للناس بالاستسقاء .

الأخير ، كما مر بك في الشاهد الشعري السابق ، وكما ترى في قول النمر بن تولب العُكْلي :

تـأبَّـدَ مـن أطـلالِ جَمْـرةَ مـأسَـلُ   فقـد أقفـرتْ منهـا شَـراءِ[1] فيـذبـلُ

إذ بنى « شراء » على الكسر ومحلها الرفع ، لأنها على هذه الصيغة .

جـ ـ بناء أمس :

وتبنى هذه الكلمة على الكسر قياساً إذا أريد بها يوم معين ، ولم تصغر أو تجمع أو تثنَّ أو تضف أو تعرف بأل ، مثل : رأيتك أمسِ ، ومنه قول حاتم الطائي :

هل الدهرُ إلا اليومُ أو أمْسِ[2] أو غَدُ   كـذاكِ الـزمـانُ بيننـا يتـردَّدُ

فالواضح البين أن الشاعر هنا يريد بكلمة « أمسِ » اليومَ الذي سبق يومه الذي هو فيه ، ولذلك بناها على الكسر ، وهي في محل رفع ، لأنها معطوفة على كلمة : اليوم .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ فلما نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ، ومن خِزْيِ يَوْمَئِذٍ . . . ﴾ (هود : ٦٦) .

٢ ـ قال الراعي النميري :

على حينَ ضمَّ الليلُ من كل جانبٍ   جناحَيْـهِ وانقضَّ النجـومُ الطـوالـعُ

٣ ـ جاء كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ .

* * *

(١) شراءِ : اسم مبني على الكسر في محل رفع فاعل للفعل (أقفرت) .

(٢) أمسِ : اسم مبني على الكسر في محل رفع ، معطوف على (اليوم) .

النكرة والمعرفة

١ ـ معنى النكرة والمعرفة :

إذا قلت لصاحبك : ركبتُ سيارةً . فماذا يدور في ذهنه حين يسمع منك هذه الجملة ؟

إنه سيدرك فوراً الغرض المقصود ، ولكن لنتصورْ ماذا يمكن أن يدرك من قولك (سيارة) . هل يذهب ذهنه إلى سيارة خاصة يعرفها ، ويعرف حجمها ولونها ، وجِدَّتها أو قِدمها ؟

الحق أنه سوف يتجمع في ذهنه سماتٌ عامة للسيارة ، لا تنفرد بها سيارة دون أخرى ، مثل : مركبة ، ذات أربع عجلات ، يقودها إنسان ، وفيها مقاعد للراكبين ، ذات سرعة تفوق سرعة الإنسان ، وتتحرك بقوة احتراق النفط ، الخ . . . غير أنه لن ينصرف ذهنه إلى سيارة خاصة يملكها أحمد أو علي أو إبراهيم ، وله بها عهد ومعرفة .

هذا الذي تجمع في ذهن السامع يصدق على كل سيارة مهما كان نوعها أو شكلها ، وهو ما تدل عليه كلمة لغوية واحدة يقال لها : كلمة مبهمة ، أو عامة ، أو : نكرة .

ومن هنا يكون تحديد النكرة كمايلي : هي الكلمة التي لا تدل على شيء معين خاص في العالم الخارجي ، بل يُراد بها فرد من أفراد الجنس العام من دون تحديده للمخاطب .

وانظر الآن في قول القائل : ركبتُ سيارةَ إبراهيم . إن السيارة هنا محددة ، خاصة ، معروفة ، ولذلك تختلف عن « سيارة » التي وردت في الجملة الأولى ، لأنها ذات وجود في العالم الخارجي وذات تميُّز من آلاف السيارات التي في البلد الواحد . وبهذا تكون المعرفة « كلمة تدل على شيء خاص محدد يعرفه المتكلم والمخاطب » .

٢ ـ تفاوت التنكير :

وليست النكرات في درجة واحدة من التنكير ، بل هناك النكرة المحضة ، والنكرة المخصصة ، والنكرة لفظاً ومعنىً ، والنكرة معنىً دون اللفظ ، وإليك تفصيل ذلك .

آ ـ النكرة المحضة :

وهي التي تشبه « سيارة » التي وردت في الجملة الأولى ، وتعرف بأنها غير موصوفة ولا مضافة ، ولا مُحلاة بأل . ولها أمثلة كثيرة في النصوص الفصيحة مثل : ﴿ ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب ﴾ (البقرة : ١٧٩) ومثل : ﴿ ولتجدنَّهم أحرصَ الناسِ على حَياةٍ ﴾ (البقرة : ٩٦) وتقول : زرعتُ في حديقتنا شجرةً ، وزارني طالب ، وتحدث إلينا ضابط ، وسقط في المعركة مقاتل ، ونجح في المباراة فريق .

ب ـ النكرة المخصصة :

وتخصص النكرة إذا وصفت ، فتقول : زارني طالبٌ ذكي ، وتحدث إلينا ضابط خبير ، وسقط في المعركة مقاتل شابٌ ، وإذا أضيفت إلى نكرة مثلها ، مثل : زرعت في حديقتنا شجرةَ ليمونٍ ، وركبتُ سيارةَ ضابطٍ . وزرتُ رجلَ علمٍ .

ومعنى التخصيص تقليلُ شيوع الدلالة ، فَـ « طالبٌ ذكي » أقل شيوعاً في الدلالة من « طالب » ، و« شجرة ليمونٍ » أقل شيوعاً من « شجرة » .

جـ ـ النكرة معنى :

وفي بعض الأحيان تكون الكلمة في ظاهرهَا معرفة ، ولكنها في دلالتها نكرة ، ولهذا النوع شكلان :

ـ فإما أن تكون الكلمة محلاةً بأل الجنسية ، وهي ما سوف نتحدث عنه الآن .

ـ وإما أن تكون علماً للجنس ، وهو ما سوف نتحدث عنه في قسم الأعلام .

١ ـ أما (أل) الجنسية فهي التي تدخل على النكرة من دون أن تكسبه تعريفاً ،

لأنها لا تجعله يدل على شيء مخصوص معين من أفراد جنسه . تأمل الجملة التالية :

الأسدُ ملكُ الوحوش .

إن « الأسد » هنا لا يُراد به أسدٌ خاص يعرفه المتكلم أو السامع ، ولكنه يدل على نوع من المخلوقات ذات صفات خاصة ، ولذلك يتجمع في ذهن المخاطب والمتكلم عند لفظه سمات عامة ، مثل : كائن حي ، ذو شعر يغطي عنقه ، شجاع ، قوي ، مَهيب ، أقوى الوحوش ، الخ . . . ومثل هذه الدلالة رأيتها في « سيارة » التي وردت في الجملة الأولى .

وكثيراً ما تقع (أل) الجنسية في الكلام ، مثل : الذهب أغلى من الفضة ، الإنسان سيد المخلوقات . المرأة كالرجل . الجامعة أوسع من المدرسة .

ولـِ (أل) الجنسية ثلاثة أنواع :

١ ـ ما تفيد استغراق أفراد الجنس كلهم : وهي التي تخلفها (كُلّ) وتحل محلها من دون أن يتغير المعنى ، مثل : ﴿ خلق الإنسانُ ضعيفاً ﴾ (النساء : ٢٨) . فإذا حذفت (أل) ووضعت موضعها (كل) لا يتغير المعنى : خلق كل إنسانٍ ضعيفاً . وتقول : الكائن الحي هالك لا محالة . أي : كل كائن حي هالك . وتقول : الكتابُ أوسع من المجلة .

٢ ـ ما تفيد استغراق خصائص أفراد الجنس : ويراد بها المدح حيناً ، والذم حيناً آخر . تقول : المتنبي هو الشاعر . أي : هو الذي تجمعت فيه سمات الشاعر الكاملة . وتقول : الحجاج هو المستبد . فتذمه .

٣ ـ ما تفيد الدلالة على ماهية الجنس : كما لو قلنا : إن الغزال لا يلبس الثياب . فقولنا (الثياب) لا نريد به استغراق أفراد الجنس ، ولا استغراق خصائص أفراده . بل نريد به الماهية ، فكأننا قلنا : إنه لا يلبس هذا النوع . . ومثله : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (الأنبياء : ٣٠) .

٢ ـ وأما الشكل الثاني من المعرفة لفظاً والنكرة معنىً فهو : عَلَم الجنس . فقد كان العرب يطلقون على الأسد اسماً خاصاً هو : أسامة . ويطلقون على الذئب : ذؤالة . وعلى الثعلب : ثعالة . ولكنهم لا يطلقون هذه الأسماء على أفراد خاصين من الجنس ، ولذلك لا يدل : أسامة ، على أسد معين ،

ولا يدل : ذؤالة ، على ذئب خاص ، ولا يدل : ثعالة ، على ثعلب معروف، بل يدل كل منها على كل فرد من أفراد الجنس المقصود ، وبهذا يكون كل منها نكرة لا معرفة[١] .

٣ ـ نوعا النكرة :

والنكرة ـ من حيث التصريف ـ نوعان : الأول يقبل (أل) العهدية ، ويتحول بها من النكرة إلى المعرفة . (وسوف نتحدث عن أل العهدية في قسم المعرفة) مثل : جئتُ من البيت ، وذهبتُ إلى الجامعة . فـ (البيت) هنا بيت محدد ، يعرفه المتكلم والمخاطب معرفة تامة ، ولا يراد به كل بيت ، ولا جنس البيوت . وكذلك الجامعة .

والنوع الثاني لا تدخله (أل) ولكنه يحل محل اسم تدخله ، أو قل : إنه يتبادَل الموضع مع اسمٍ نكرةٍ يقبل دخول (أل) ، ولأوضح لك هذا بمثال من (ذو) . فهو نكرة ، ولكنه لا يقبل دخول (أل) ، فلا يقال : الذو . ولكنه يتبادل الموضع مع : صاحب . مثل : أخي ذو مالٍ ــ أخي صاحب مال . عمي ذو شركة ــ عمي صاحب شركة . و(صاحب) يقبل (أل) العهدية ، فيقال : الصاحب .

وأفراد هذا النوع كثيرة ، هي : مَنْ ، وما ، (سواء أكانتا اسمي شرط ، أم اسمي استفهام ، أم نكرتين مقصودتين) وكم (الاستفهامية والخبرية) ومتى ، وأين ، وكيف ، وأيان ، وكذا ، وكيت ، وذيت . فإذا قلت : من عندك ؟ حلت (من) محل : أيُّ إنسانٍ . وإذا قلت : ما في يدك ؟ حلت (ما) محل : أي شيءٍ . وهكذا[٢] . ومن هذه الأسماء أسماء الأفعال مثل : صَهْ ، ومَهْ ، وأف ، وأمثالها ، فالأول يحل محل : سكوتاً ، ويحل محل الثاني : انكفافاً ، والآخر : تضجُّرٌ .

وتلحق الجمل بهذه الأسماء لأنها تحل محل النكرات ، مثل : سمعتُ

---

(١) سنعود إلى هذا الاسم في مبحث اسم العلم .

(٢) يرى بعض النحاة أن هذه الكلمات مبهمة الدلالة ، تحل محل النكرة والمعرفة ، فإن حلت محل النكرة كانت مثلها ، وإن حلت محل المعرفة كانت مثلها أيضاً . انظر : أمالي ابن الحاجب : ١٠٢ و٢٨٥ .

بلبلاً يغرّدُ . فالجملة الفعلية (يغرد) حلت محل الصفة : مغرداً . وهي تقبل : ال . وتقول : مَرَّ بنا أخوك يضحك . أي : ضاحكاً . وتقول : الكتاب يفيد . أي : مفيد .

وكذلك أشباه الجمل عند من يجعلها هي الصفة أو الحال أو الخبر ، مثل : زارني رجلٌ من البادية . أي : بدوي . وهذا طائرك بَين الأغصان . أي : متوسطاً الأغصان . وقلمك معي ، أي : كائن حاضر .

٤ ـ معيارا النكرة :

وللنكرة معياران تُعرف بهما ، أولهما معيار صرفي ، وهو قبولها دخول (أل) واكتسابها التعريف بها ، وقد تحدثنا عنه في الفقرة السابقة . والمعيار الثاني نحوي ، وهو أنها تقع في مواقع من الجملة لا تقع فيها المعرفة في الأصل .

من ذلك أن النكرة تُجر بـ (رُبَّ) ولا تجربها المعرفة ، مثل : رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ . ورُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك . ورُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية يوم القيامة .

وكذلك تقع النكرة اسماً لِـ (لا) النافية للجنس ، ولا تقع المعرفة هذا الموقع ، مثل : لا رجلَ في البيت . ولا قلمَ عندي . ولا حاجةَ لي به . ولابُدَّ من هذا . وتقع حالاً ، وهذا موقع خاص بالنكرات ، ولا تقع فيه المعارف إلا في حالات خاصة ، مثل : جئتُ مبكراً . وخرجتُ مطمئناً . وزرتك فرحاً . وكذلك تقع تمييزاً مثل : عندي ليتر حليباً ، ومرّ بنا عشرون جندياً ، وتوصف بنكرة مثلها ، تقول : مر بنا قطيع كبير من الشياه . واشتريت معطفاً جديداً . وتقع النكرة أيضاً مضافةً إضافة معنوية ، مثل : سكنتُ في حُجرةِ أخي . ولكنها هنا تكتسب التعريف من المضاف إليه إن كان معرفة ، وتكتسب التخصيص إن كان نكرة ، مثل : ركبتُ سيارةَ أجرةٍ . ولبست معطفَ صوفٍ .

ويستعصي على هذين المعيارين : الصرفي والنحوي ، بعض النكرات ، مثل : أين ، ومتى ، وأحد ، وديار ، وعريب . وقد قلنا في الفقرة السابقة إن هذه الكلمات تقع موقع ما يقبل (أل) ، وتقول هنا : إنها أيضاً تقع موقع ما ينزل في التركيب بعد (رب) أو (لا) النافية للجنس ، أو موقع المضاف .

٥ ـ نكرات لا معارف لها :

ومعظم النكرات يمكن أن يتولد منها معرفة وذلك بإدخال (أل) العهدية عليها إلا كلمات قليلة لا تكون إلا نكرات ،وهي : أحد ، ديار ، عريب ، غير ، شبه .

أما (أحد) فالمقصود بها تلك الكلمة التي تلازم النفي والتنكير ، وهي ذات الهمزة الأصلية لا المنقلبة عن واو شذوذاً[(١)] . تقول : ما جاء أحد . وما فيها من أحد . وتقول كذلك : مافي البيت ديار . ومافيها عريب . وكلها تعني : إنسان . أي : ما فيها إنسان .

وأما (غير) و(شبه) فاسمان مغرقان في التنكير ، ولذلك لا تدخلهما (أل) ، ولكنهما ملازمان للإضافة ، وإذا أضيفا إلى معرفة لا يكتسبان منها تعريفاً ، تقول : رأيتُ رجلاً غيرَك . ورأيت آخر شِبَه أخيك . فقد جاء كل منهما صفة للنكرة على الرغم من إضافته إلى المعرفة .

☆ ☆ ☆

(١) مثل : أحد ، في مثل قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . إذ الأصل : وَحَدٌ . فقلبت الواو همزة ، وتعني : واحد .

المعرفة

١ ـ المعرفة ووسائل التعريف :

تبيّن لك مما تقدم أن المعرفة عكس النكرة ، فهي الكلمة التي تدل على فرد معين معروفٍ من أفراد الجنس ، مثل : دمشق ، والفرات ، وبيتنا ، والقرآن ، والإنجيل ، والأرض ، وهذا الكتاب ، والذي زارك ، ويا طالبُ .

وسائل التعريف في اللغة العربية متعددة ، وقد يتداخل بعضها في بعض ، وسوف نعرضها هنا عرضاً موجزاً :

آ ـ وسيلة مقامية :

ونعني بالمقام الملابسات الاجتماعية التي تحيط بالحدث الكلامي ، فإذا قلت : هذا ، كان لا بد لك من أن يكون أمامك مخاطب توجهه إلى موضع المشار إليه ، ولا بد أيضاً من وجود شيء حسي تتوجه إليه الإشارة ، وتقصده أنت وتعينه .

وهناك ثلاث من المعارف تعرف بهذه الوسيلة ، هي :

ـ اسم الإشارة : هذا ، هذه ، هذان ، هاتان ، هؤلاء ، الخ . . .

ـ ضميرا المخاطب والمتكلم : فإذا قلت : أنت . أو أنتما ، أو أنتم ، أو أنتُنَّ . كان لا بد من وجود المخاطب الذي يُكْني الضمير عنه . وكذلك إذا قلت : أنا أو نحن . كان لابد من وجودك أو وجودك ووجود من معك ، ومن مخاطَب تتحدث إليه وتكني أمامه عن نفسك .

ـ المنادى : والمقصود هنا من أشكال المنادى ما كان نكرةً مقصودةً بالنداء ، مثل : يا رجلُ . فأنت هنا تنادي رجلاً واحداً محدداً ، ولا تنادي كل رجل . والذي جعل هذا المنادى معرفة هو أنك تقصده دون غيره . وبهذا يتبين لك أن أداة النداء ليست هي أداة التعريف[1] ، كما يرى بعض النحاة ، لأن

(١) ذهب بعضهم إلى أن تعريفها بأل مقدرة يراد بها العهد الحضوري وقد نابت عنها أداة النداء .

الذي يجعل المنادى معرفة هو القصد دون غيره .

ولا بد هنا من التنبيه إلى أن اسم الإشارة قد يشار به إلى شيء غير موجودٍ حساً ، كأن تتحدث عن ملابساتٍ كانت سبباً في تقصيرك أو عدم نجاحك ، وبعد أن تفرغ من بيانها تقول لمحدثك : هذا هو السبب في تقصيري . أي : هذا الذي حدثتك عنه ، وبسطته لك هو سبب تقصيري . ولا شك أن المقام هنا واضح ، وهو حديثك ووعي المخاطب لما قلت ، والإشارة غير الحسية إليه .

ب ـ وسيلة سياقية :

ويُراد بالسياق هنا سياق التركيب اللغوي ، ويعرف به ثلاثٌ أيضاً ، هي :

١ ـ المعرف بالإضافة :

مثل : اشتريتُ دارَ إبراهيمَ . فالمضاف وهو (دار) كان نكرة قبل الإضافة ، تصور أنك قلت لمخاطبك : اشتريتُ داراً . أفكان يعرفها وتتحدد في ذهنه؟ ولكن حين أضافها إلى إبراهيم عرفتها وتأكدت صورتها الخاصة لك . ومثل ذلك : سورُ الجامعةِ ، وغرفةُ الأساتذةِ ، وديارُ مصر ، وبلادُ الشامِ ، وبيتي ، وقلمك ، وسِوارها .

٢ ـ الاسم الموصول :

والاسم الموصول يعرف بصلته ، ولذلك يجب أن تكون معروفة وعلى شهرةٍ للمخاطب ، تقول : عرفتُ الذي زارَك أمسِ . وجاءت التي يَسَّرتْ لك معاملَة سفرِك[1] . وإذا كان الاسم الموصول يعرف بصلته ـ وهذا هو

(١) هذا هو الرأي الصحيح ، وثمة من يرى أن الموصول يعرف بأل ، ومن يرى أنه يعرف بالدلالة . على أن الاسم الموصول قد يقل حظ صلته من التعريف ، ويبدو كأنه يحل محل المحلى بأل الجنسية ، كما في قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فإذا أولته : إن العيون الحُورَ ، من غير أن تقصِد عيوناً خاصة ، كان الاسم الموصول كالمحلى بأل الجنسية ، ويشبه أن يكون هو وموصوفه نكرة مخصصة . أما إذا كان جرير يعني عيني محبوبته الحوراوين فإن (أل) في (العيون) تكون للعهد الذهني ، ويكون الاسم الموصول ذا صلة معروفة .

الصحيح ـ كانت (أل) فيه زائدة[1] ، وبهذا يستوي في التعريف ما دخلته (أل) مثل : الذي ، والتي ، وما لم تدخله مثل : مَنْ ، وما . تقول : عرفتُ مَنْ زارك . وعرفتُ ما أكلته[2] .

٣ ـ ضمير الغائب :

وضمير الغَيبة ـ متصلاً أو منفصلاً ـ يعرَّف بما يعود إليه ، وليس كضميري الخطاب والمتكلم يعرف بالمقام ، وهذا يعني أنه يحتاج إلى سياق كلامي ، مثل : هذا أخي فسلم عليه . فالضمير المتصل في (عليه) يعود إلى (أخي) ولذلك كان معرفة . وتقول أيضاً : هذا صديقي وهو يريد معرفتك . فالضمير (هو) معرفة لأنه يعود إلى معرفة وهو (صديقي) .

ولكن ، هل يُعد ضمير الغيبة نكرة إن عاد إلى نكرة كما في مثل : ابتعتُ مجلةً وقرأتُها ؟

النحاة في هذا على خلاف ، والرأي الصحيح أنه معرفة وإن كان مرجعه نكرة[3] ، لأن المجلة بعد أن اشتُرِيت صارت محددة ومخصصة ، ويقوم الضمير هنا مقام المعرف بأل ، كأنك قلت : اشتريت مجلة وقرأت المجلة . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباحٌ ، المصباح في زجاجةٍ ، الزجاجة كأنها كوكب دري ﴾ (النور : ٣٥) فالاسم المكرر في هذه الآية عرف بأل ، وإن كان نكرة قبل تكرره ، وكذلك الضمير .

جـ ـ وسيلة دلالية :

وهناك نوع واحد من المعارف تعرِّفه دلالته دون قرينةٍ لفظية أو تركيبيةٍ ، هو اسم العلم . فإذا سميتَ ولدك « سعيداً » ، صار هذا الاسم علامة عليه ، فكلما ذكر عُرِف مُسماه ، سواء أكان حاضراً أم لم يكن ، وكذلك يعرف الناس

(١) يرى النحاة أنها زيدت فيها لتحسين اللفظ .

(٢) وقف النحاة أمام إشكال ، هو أن الجملة نكرة ، وصلة الموصول جملة ، فكيف تعرف الاسم الموصول وهي نكرة . انظر : جواهر الأدب : ٣٩٧ .

(٣) يرى بعضهم أنه نكرة ، ويرى آخرون أنه الضمير إذا عاد إلى ما يجب تنكيره كالحال والتمييز كان نكرة ، وإن عاد إلى ما يجوز تنكيره وتعريفه كالفاعل والمفعول كان معرفة . ويرى ابن الحاجب في أماليه أن الضمير الذي يرجع إلى نكرة نكرة . انظر : أمالي ابن الحاجب : ٢١٢ .

مسميات : دمشق ، وحلب ، ودجلة ، وقطر ، ولبنان .

ولكن قد تتعارض الوسيلة الدلالية بالوسيلة المقامية ، كأن يكون في صف واحد أكثر من طالب يسمى « سميراً » ، وأكثر من طالبة تسمى « زينبَ » . في هذه الحال يتغلب عنصر المقام على عنصر الدلالة ، فيتحول العلم إلى ما يشبه اسم الجنس ، وحينئذٍ يحتاج العلم في تعيينه وتعريفه إلى (أل) أو إلى إضافة ، كما في قول الشاعر :

علا زيدُنا يوم النقا رأسَ زيدِكم بأبيضَ ماضي الشفرتين يمانِ

لقد عرف الشاعر « زيداً » بالإضافة ، لأنه لو قال : علا زيدٌ رأسَ زيدٍ . لحصل اللبس ، لاشتراك الاثنين باسم واحد .

وكذلك يحتاج اسم العلم إلى التعريف بأل إذا ثني أو جمع ، تقول : العُمران ، والزينبانِ ، والمحمدون ، والزينبات .

د ـ وسيلة صرفية :

ونعني بها المعرفة التي تنشأ من النكرة بإضافة (أل) العهدية ، أو التي تنوب عن الضمير ، مثل : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ (التوبة : ٤٠) فأل في (الغار) عهدية لأنها تشير إلى غارٍ خاص ، ولا تعني أي غار . ومثل : ﴿ فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (النازعات : ٤١) فأل في (النفس) و(الهوى) و(المأوى) نائبة عن ضمير الغيبة ، والتقدير : ونهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه . أما (أل) في الجنة فهي عهدية .

ولأل العهدية ثلاثة أقسام :

١ ـ للعهد الذهني :

فمنها ما يكون للعهد الذهني ، إذ تدخل على اسم يُعرف مسماه عند المتكلم والمخاطب ، كما لو قلت : عدتُ من الجامعة ، ومررت بالسوق ، ثم انتهيت إلى البيت . فالجامعة والسوق والبيت كلها معهودة ذهنياً ، ويعرف مدلولها من مجرد ذكرها .

٢ ـ للعهد الذكري :

ومنها ما يدخل على اسم يذكر مرتين في الكلام ، ويكون في المرة الثانية معرفاً بها ، كما في مثل : ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون

الرسولَ ﴾ (المزمل : ١٥ و١٦) وقد مر بك قبل قليل قوله : كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري . . وتقول : واصلني من قاطعني فأكرمت المواصِل .

٣ ـ للعهد الحضوري :

وقد تدخل على اسم يحضر مسماه ، مثل : هذا الرجل يحبك . ويا أيها الرجل . ولعلك لاحظت هنا تداخل الوسائل التي يعرف بها الاسم بأل ، صحيح أنها في الأصل صرفية لاعتمادها على لاصقة Prefix هي أل ، إلا أن هناك تداخلاً بينها وبين الوسيلتين : المقامية والسياقية ، فإذا كانت للعهد الذكري فإن السياق ذو أثر واضح في التعريف ، وحين تكون للعهد الحضوري تكون الوسيلة المقامية مؤثرة أيضاً . حتى في (أل) العهدية لا يخلو الأمر من عنصر المقام ، فلو لم يكن المتكلم والمخاطب على علم بالمعهود لما أثرت (أل) تعريفاً .

٢ ـ النكرة لفظاً والمعرفة معنىً :

لقد مر بنا من قبل في مبحث النكرة أن ثمة كلمات لفظها لفظ المعرفة ، ومعناها معنى النكرة ، كالمعرف بأل الجنسية ، وأعلام الأجناس .

وفي هذه الفقرة سوف نذكر أسماء معاكسة لها ، إذ يكون لفظها لفظ النكرة ، ولكنها تدلّ على مسمى محدد خاص . وهي نوع من أنواع علم الجنس ، مثل غُدوة ، وبُكرة ، وسحر . فهذه الأسماء قد تقع في تراكيب تدل فيها على نكرات مثل : القراءة غدوةً خير من القراءة ليلاً . ومثل : أحب أن أسافر سحراً . وكذلك قد تقع في تراكيب خاصة تكون فيها معرفة لأنها تحدد وتخصص مدلولاتها . كما لو قلت : سافرتُ يوم الجمعة غُدْوةً . وجئت يوم السبت بكرةَ . وسهرتُ ليلةَ الأحد حتى سَحَرَ . وواضح مما تقدم أن (غدوة) في الجملة الأولى حددت وقتاً خاصاً هو غدوة يوم الجمعة ، وكذلك دلت : بكرة ، وسحر ، على وقت معلوم ، ولذلك عوملت معاملة الأسماء الممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث .

هذه الأسماء ـ إذاً ـ أعلام لأوقات معينة ، ولكنها تختلف عن أعلام الأشخاص مثل : زيد ، وزينب ، ودمشق . وعن أعلام الأجناس مثل :

أسامة ، وثعالة ، وذؤالة . ولذلك تعد نوعاً من أعلام الأجناس لأنها يمكن أن تطلق على كل غدوة ، وإن كانت تختلف عنها في أنها تحدد مدلولها .

ولما كنا تكلمنا عن بعض هذه المعارف في المبنيات : الضمائر ، واسم الإشارة ، والاسم الموصول ، وتكلمنا هنا عن المعرف بأل العهدية أو بأل النائبة عن الضمير ، وعن المعرف بالإضافة ، وسوف نتكلم في بحوث المنصوبات عن المنادى . كان لزاماً علينا أن نتكلم في فقرة خاصة عن اسم العلم ، وهي الفقرة التالية .

* * *

اسم العلم

١ ـ معناه وأقسامه :

هو الاسم الذي يطلق على مسمى خاص ليكون علامةً يعرف به ، وقد يكون المسمى إنساناً مثل : عصام ، وحازم ، ومنار ، وسمية ، وقد يكون مَلَكاً كجبريل وإسرافيل ، وقد يكون قبيلة أو عشيرة أو شعباً ، مثل : قريش ، وتميم ، وطيء ، ويهود[١] ، وقد يكون بلدة أو نهراً أو بحيرة أو شارعاً ، مثل : حلب ، ودجلة ، وطبرية ، والجيزة . وقد يكون كتاباً أو مجلة أو جريدة ، مثل : الواضح ، والوافي ، والمنتدى ، والجمهورية ، وقد يكون كوكباً أو مدرسة مثل : زحل ، وعطارد ، والمريخ ، والزهرة ، والأمين ، والمأمون ، وعبد الناصر ، وقد يكون حيواناً مثل : العَرادة ، وهو اسم فرس ، ومثله : الأدهم ، وواشق ، وهو اسم كلب .

ويكثر أن يطلق الاسم الواحد على أكثر من مسمى إنساني في البيئة الواحدة ، فالذين يسمون : عمر ، أو : أحمد ، أو : زينب ، كثيرون ، ولكن هذا يندر في غير الآدميين ، كالقنيطرة لبلدتين : إحداهما في سورية والأخرى في المغرب ، وبانياس لبلدة سورية وأخرى في الإمارات العربية .

وينقسم العلم ثلاثة أقسام هي : الاسم ، والكنية ، واللقب .

آ ـ الاسم :

ويقصد بالاسم ما دل على مسماه دلالة وضعية عُرفية ، خالية من معنى آخر فرعي ، كالمدح أو الذم ، وعَرِي لفظه من : أب ، أو أم ، أو ابن ، أو ابنة . وهو نفسه قسمان : مرتجل ، ومنقول .

أما المرتجل فهو ما استعمل علماً فقط ، وليس له استعمال سابق

---

(١) يَهود : تستعمل علماً لشعب ذي ديانة خاصة ، وفي هذه الحال لا تدخل عليها (أل) . وتستعمل أيضاً جمعاً ليهودي ، مثل : روم ورومي . وفي هذه الحال تدخلها (أل) ، لأنها ليست بعلم .

للعلمية ، مثل : سُعاد ، ومَذْحِج ، وأُدَد ، وهما اسمان لقبيلتين عربيتين . وأسامة ، اسم للأسد ، وثعالة وهو اسم للثعلب . وهذا النوع قليل .

وأما المنقول فهو الذي كان يستعمل غير علم ، ثم أطلق على مسمىً للتفاؤل ، أو لإرهاب العدو ، أو للتملُّح .

وتتعدد مصادر المنقول وأنواعه ، فقد يكون منقولاً عن صفة صرفية مثل : فاطمة ، ورانية ، وخالد ، وعادل ، وميمونة ، ومبروكة ، ومحمود ، ومنصور ، وجميلة ورشيدة ، ونبيل وطريف .

وقد يكون منقولاً عن مصدر مثل : فضل ، وهبة ، وصفاء ، وعلاء ، ورجاء .

وقد ينقل عن اسم جنس ، مثل : أسد ، وثور ، وحمزة (وهو الأسد)، وعثمان (وهو فرخ الثعبان) وعنترة (وهي الذبابة الزرقاء) وبثينة (وهي القطعة من الرمل) وطلحة (شجرة) وزينب (وهو شجر طيب الرائحة والمنظر).

وقد ينقل عن جملة مثل : هذا أو الطوفان ، أو : لكي لا تحصدوا في البحر . أو : لمن تقرع الأجراس ، وهذه الأخيرة أسماءٌ لكتب .

ب ـ الكنية :

وهي علم مصدر بأب أو أم أو ابن أو ابنة أو بنت ، ويضيف آخرون : أخ ، وأخت ، وعم ، وعمة ، وخال وخالة . مثل : أبو بكر ، وأبو لهب ، وأبو جهل ، وأم كلثوم ، وابن الزبير ، وبنت الأزور ، وابنة حاتم ، وقد عُرف في النحاة : ابن عصفور ، وابن خروف ، وابن عقيل . ويراد بالكنية أحياناً مدحاً ، مثل : أبو الحسن ، وأبو حفص ، وقد يراد بها ذماً ، مثل : أبو تراب ، وأبو جهل . وقد تغلب على الاسم ، مثل : أبو بكر ، وأبو لهب ، وأبو سفيان ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابن الأحنف ، وأبو الأسود .

وقد تكون الكنية هي الاسم ، كأن يسمي إنسان ولده بمثل هذه الكنى : أبو المجد ، أبو الفتح ، أبو ريشة . أو يسمي ابنته أم كلثوم .

جـ ـ اللقب :

أما اللقب فهو الذي يطلق على المسمى بعد اسم العلم الأول ، وغالباً ما يراد به المدح أو الذم ، مثل : الصدّيق ، والنابغة ، زين العابدين ، والفاروق ، ومثل : الأخطل ، والسفاح ، والأقرع ، والطاغية .

وقد يكون اللقب لمقتضيات الحال الجسدية مثل : الخنساء، والأعشى ، والأعرج ، والضرير . أو لمقتضيات المهنة مثل : النجار والعطار ، والحلاق . أو لمقتضيات النسب إلى البلد مثل : الأنباري، والمصري، والشامي، والحلبي .

٢ ـ علم الشخص :

ويقصد بهذا : ما أطلق على شخص آدمي أو غيره فحدده وعينه ، وكان علامة عليه . وهو ثلاثة أقسام : ما تجوز تحليته بأل ، وما لا تجوز ، وما تجب .

أما القسم الأول فيضم أسماء كثيرة جاءت في النصوص الصحيحة محلاة مرة ، وغير محلاة مرة أخرى ، مثل : حسين ، فيقال : الحسين بن علي ، ويقال أيضاً حسين ، كقول الشاعر :

أأتركُ مُلْكَ الريّ والري منيتي ... أمَ ارجعُ مأثوماً بقتل حُسَيْنِ

ومثله : حسن ، والحسن ، وعباس والعباس ، وفضل والفضل ، ووليد والوليد ، ونضر والنضر ، ونعمان والنعمان .

وأما القسم الذي لا تجوز تحليته بأل فكثير ، مثل : دمشق ، وحلب ، وحمص ، ودبي ، وقطر ، وتونس ، ومصر ، ودجلة ، من أسماء غير الآدميين ، وعمر ، وعمرو ، وحازم ، وميساء ، وزينب ، وعائشة ، وبثينة ، وليلى ، وسلمى ، وهدى ، من أسماء الناس .

وأما ما تجب تحليته بها ، فهو ما سمي باسم محلى بها أصلاً ، مثل : اللات ، والعُزّى ، والكويت ، والأردن ، والمغرب ، والجزائر ، واللاذقية ، والقاهرة ، والإسكندرية . ومثلها : المدينة (يثرب) ، والدَّبَرانُ (لكواكب خمسة ، أو لنجم واحد) والعَيّوقُ (لنجم أحمر يتلو الثريا) ، والنجم (للثريا) ، والثريا[١] .

والعلم الآدمي يمكن أن يعرف بأل إذا ثني أو جمع ، تقول : ذهب العمران ، وحكم عثمان بسنة العمرين . وجاء الأحمدون ، وخرجت العائشات والبثينات . قال الشاعر :

---

(١) هذه الأقسام الثلاثة هي ما تفصح عنه النصوص ، وبعض النحاة يذهب إلى أن الأسماء في قبول (أل) قسمان : قسم تجب فيه ، وقسم تمتنع فيه .

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سُليمٍ والأغرِّ بن حاتم

وفي غير التثنية والجمع تكون (أل) زائدة في العلم ، لأنه معرفة من دونها ، وتكثر زيادتها فيما نقل عن صفة أو مصدر ، لُيلْمَحَ فيه أصلُه ، مثل : العباس ، والحسن ، والفضل والنضر ، والرشيد . وعلى هذا تكون زائدة لازمة فيما وجبت تحليته بها ، وزائدة غير لازمة فيما جازت ولم تجب[1] .

٣ ـ علم الجنس :

ويطلق علم الجنس على ما لا يؤلف من الحيوانات والحشرات ، إذ يطلق على الأسد : أسامة ، وأبو الحارث ، ويطلق على الذئب : ذؤالة ، وأبو جَعْدة ، ويطلق على الثعلب : ثعالة ، وأبو الحصين ، وعلى العقرب : شَبْوة ، وأم عِرْيَط ، ويقال للغراب : ابن دأية ، ويقال : أم حُباحِب ، لدويبَّة تشبه الجندب ، وأم حبين ، لدويبة تشبه الحرباء .

ويطلق أيضاً على ما يؤلف ، فيقال للحصان : أبو المضاء ، ويقال للجمل أبو أيوب ، ويقال للحمار أبو صابر .

ويطلق كذلك على أمور معنوية ، فيقال للغدرِ : كَيْسان ، وللمبرة : بَرّةَ ، وللفجور : فَجار ، قال ضمرة بن جابر :

إذا مادعوا : كيسانَ كانت كهولُهم إلى الغدر أسعى من شبابهم المُرْدِ

وقال النابغة :

إنـا اقتسمنـا خُطَّتَيْنَـا بيننـا فحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فَجارِ

ويقال : غُدوة ، وبُكرة ، وعشية ، وسحر ، لتسمى بها أوقات خاصة .

والفرق بين علم الجنس وعلم الشخص مايلي :

١ ـ علم الشخص يطلق على إنسانٍ أو مكان أو حيوان ، أو كتاب أو مدرسة ، أو . . . ويمكن أن يطلق على أكثر من واحد في البيئة كما رأينا ، ولكن إطلاقه على أكثر من واحد لغيرِ شبه بينهم ، فقد يسمي (زيداً) الشجاع والجبان ، والزنجي والأبيض ، وهذا يعني أن الاشتراك في الاسم هنا لا يرجع

---

(١) قد يكون علم الشخص واقعياً كأن يطلق على الموجود . وقد يكون ذهنياً كأن يسمي إنسان ولده قبل أن يولد . وكاسم القبيلة الذي يشمل الموجود والآتين في المستقبل .

إلى خصائص في الجنس بين المُسَمَّين به .

٢ ـ أما علم الجنس فلا يطلق على فرد دون فرد من الفصيلة الواحدة . بل يطلق على كل واحد منها ، فأسامة ، مثلاً ، يطلق على كل أسد ، وثعالة ، يطلق على كل ثعلب ، وغدوة ، يطلق على كل وقت عند بزوغ الشمس ، سواء أكان غدوة الجمعة أو السبت أو الأحد ، أو . . . .

٣ ـ وعلم الشخص أيضاً يطلق على « شخص » ، أي : ما يَشْخَص للعين بجُرْمِهِ ، أما علم الجنس فيطلق على التصور الذهني لفردٍ من أفراد الجنس ، فإذا قلت : هذا أسامةُ مقبلاً . أردت أن تقول للمخاطب : هذا الذي تعرفه من أفراد الفصيلة الأسدية مقبلاً .

وعلم الجنس ـ لهذا السبب الدلالي ـ يقع في منزلةٍ بين المنزلتين إذا قُرِن إلى اسم العلم واسم الجنس ، أو بين المعرفة والنكرة . فهو في الدلالة نكرة ، وهو في الشكل والسلوك النحوي كالمعرفة ، إذ يقع مبتدأ مثل : ذؤالةُ من أشرس الحيوانات . وغُدوةُ أفضل الأزمنة للدراسة . ويقع الحال منه ، مثل : هذا ثعالةُ مقبلاً . ويوصف بالمعرفة مثل : أسامةُ الهصورُ لا يقوى عليه أحد . وكذلك يمنع من الصرف كما يمنع علم الشخص ، فمنه ما يمنع للعلمية والتأنيث ، كذؤالة وثعالة ، وشبوة ، وبَرّة . ومنه ما يمنع للعلمية وزيادة الألف والنون مثل : كيسان ، وسُبحان[1] . ومنه ما يمنع للعلمية ووزن الفعل مثل : أوبر ، في قولك : بنات أَوْبَرَ ، وهي الكمأة . أما (فَجارِ) فقد بنيت على الكسر مثلما بنيت الأعلام التي تشبهها في الصيغة مثل : حَذامِ ، ورَقاشِ ، وهي كذلك في سلوكها الصرفي كالأعلام الشخصية ، إذ لا تدخلها (أل) .

٤ ـ الشكل اللفظي للعلم وإعرابه :

ولاسم العلم أشكال لفظية متعددة ، ويمكن توزيعها في ثلاثة أشكال ، هي المفرد ، والمركب ، والمحكي .

---

(١) اختُلف في (سبحان) ، فذهب بعضهم إلى أنها علم جنس للتسبيح ، وقيد البيضاوي علميتها للجنس بالقطع عن الإضافة ، وقال الرضي : لا دليل على علميتها لاستعمالها مضافة ، ومنونة أحياناً .

آ ـ العلم المفرد :

وهو ما تألف من لفظ واحد ، مثل : هاشم ، وطارق ، وعمر ، وزحل . . . ولهذا الشكل من الإعراب ما لغيره من أسماء العربية غير الأعلام ، فلا يتحدد إعرابه إلا بالوظيفة التي يشغلها في التركيب ، كأن يكون فاعلاً أو مفعولاً أو مجروراً بحرف أو بمضاف .

ويمنع بعضه من الصرف إذا جمع مع العلمية وزن الفعل ، مثل : يزيد ، ويحيى ، وأحمد ، وتغلب . أو جمع معها زيادة الألف والنون مثل : عثمان ، ومروان ، وكيسان . أو كان معدولاً مثل : عمر ، وزحل ، ومضر . أو أعجمي الأصل مثل : إبراهيم ، ويوسف ، وإسماعيل ، أو كان مؤنثاً مثل : سعاد ، وزينب ، وحمزة ، وأسامة ، وثُعالة .

ويبنى بعضه على الكسر إذا كان علم أنثى على وزن (فَعالِ) مثل : قطام ، وحذام . ورقاشِ ، ووباءِ ، وفجارِ .

ويبنى في النداء على الضم ، فيقال : يا أحمدُ ، ويا هاشمُ ، ويا سعيدُ . إلا إذا كان مبنياً على الكسر في الأصل ، مثل : حذامِ .

ب ـ العلم المركب :

وتكثر الأسماء المركبة تركيباً إضافياً ، مثل العبادلة : عبد الله ، وعبد الرحمٰن ، وعبد السلام . . . ومنها الكنى مثل : أبو ريشة ، وأبو بكر ، وأبو حفص ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأم كلثوم ، ومنها غير ذلك مثل : رأس الخيمة ، وزين العابدين ، وفخر الدين ، وصلاح الدين ، ودير الزور .

وهناك أسماء قليلة مركبة تركيباً وصفياً مثل : مصر الجديدة ، وحلب الجديدة ، والدار البيضاء .

وتركب أسماء أخرى تركيباً مزجياً مثل : سيبويه ، وحمدويه ، ونِفطَوَيْه ، وبعلبك ، وحضرموت ، وبورسعيد ، وكفرنبل ، وبانياس ، ومعد يكرب .

فإذا كانت مركبة تركيباً إضافياً أعرب الجزء الأول بحسب موقعه من الجملة ، وأعرب الثاني مضافاً إليه ، مثل جاءَ عبدُ الله . فعبد : فاعل ، ولفظ الجلالة مضاف إليه . ومثل : يا أبا بكرٍ : فأبا : منادى منصوب وعلامة نصبه

الألف . وبكر : مضاف إليه . وزرتُ رأسَ الخيمةِ . رأس : مفعول به . والخيمةِ : مضاف إليه[1] .

أما المركب المزجي فيبنى على الكسر إذا كان جزؤه الثاني (وَيْهِ) ، مثل : جاء سيبويهِ . فسيبويه : فاعل مبني على الكسر في محل رفع . وتقول : رأيت سيبويهِ . فتلتزم كسر الآخر بناءً . وإن لم يكن منتهياً بـ (ويه) ، كان ممنوعاً من الصرف، ويلتزم جزؤه الأول حركة خاصة به ، مثل : بعلبك ، تقول : هذه بعلبكُّ ، ومررت ببعلبكَّ ، وزرت بعلبكَّ . وتقول : جئت من بورْ سعيدَ ، وأقمت في بانياسَ .

جـ ـ العلم المحكي :

وقد يكون العلم ـ اسماً كان أو لقباً ـ منقولاً عن جملة فعلية مثل : تأبط شراً ، وشاب قرناها ، وبَرَقَ نحرُهُ ، وذَرّى حَباً ، وجاد المولى ، وفتح الله ، أو عن جملة اسمية مثل : هذا أو الطوفان ، أو : ثرثرةٌ فوقَ النيلِ ، وهذه أسماء كتب . وفي هذه الحال يبقى الاسم محافظاً على لفظه المحكي من دون تغيير ، ويكون الإعراب مقدراً عليه تقديراً ، مثل : هذه قصيدةٌ لتأبطَ شراً . ويعرب كمايلي :

لتأبط شراً : اللام حرف جر . وتأبط شراً : اسم مجرور باللام ، وعلامة جره الكسرة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية الأصلية .

وتقول أيضاً : قرأت ثرثرةٌ فوق النيل . وتعرب : ثرثرةٌ فوق النيلِ : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية الأصلية .

٥ ـ ترتيب أقسام العلم في الجملة وإعرابها :

إذا اجتمع علم وكنية ولقب ، فكيف تُرتب في بناء الجملة ؟

آ ـ إذا اجتمع علم ولقب غلب تقديم العلم ، مثل : عمر الفاروق ،

---

(١) درج الناس في هذه الأيام على معاملة بعض الأسماء معاملة المركب المزجي مثل : أبو ماضي ، وأبو ريشة ، وأبو شبكة . فالتزموا الواو مهما كان موقعها من الجملة .

وخالد سيف الله ، وعبد الله السفاح . وهارون الرشيد . إلا إذا كان اللقب مما شاع وغلب على الاسم ، مثل : سيبويه عمرو بن بشْر ، والمسيح عيسى بن مريم .

ب ـ وإذا اجتمع العلم والكنية كان للمتكلم حرية الاختيار ، فقد يقدم العلم ، وقد يقدم الكنية ، تقول : أول الخلفاء العباسيين عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح . ولك أن تقول : أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة ، وأبو الحسن عليٌّ .

جـ ـ وإذا اجتمع اللقب والكنية كان المتكلم بالخيار ، إن شاء قدم اللقب فقال : الصدّيق أبو بكر ، والدؤلي أبو الأسود ، وإن شاء قدم الكنية ـ وهو الأكثر ـ فقال : أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو عبادة البحتري ، وأبو فراس الحمداني ، وأبو مسلم الخراساني ، وأبو العلاء المعري .

أما الإعراب فيكون على الشكل التالي :

١ ـ إذا اجتمع علمان مفردان مثل : أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وطه حسين . أعرب الاسم الأول بحسب وظيفته ، وكان الثاني عطف بيان منه[(١)] ، مثل : أحمدُ شوقيٌّ . وحافظٌ إبراهيمُ . وطه حسينٌ . ويرى بعضهم أن يضاف الأولُ إلى الثاني فيقال : أحمد شوقيٍّ ، وحافظ إبراهيمَ ، وطه حسينٍ . إلا إذا كان الأول محلى بأل ، مثل : الحسن إبراهيم ، ففي هذه لا بد من اعتبار الثاني عطف بيان .

٢ ـ وإذا كانا مركبين مثل : عبدُ الصمد عبدُ الله . كان الثاني عطف بيان للأول .

٣ ـ وإذا كان الأول مركباً والثاني مفرداً ، كان الثاني عطف بيان أيضاً ، مثل : عبد الله أحمد .

٤ ـ وإذا كان الأول مفرداً والثاني مركباً مثل : أحمد عبد الله ، أعرب الثاني بياناً أو مضافاً إليه .

---

(١) يجيز بعضهم أن يكون بدلاً ، وعطف البيان أصح من وجهين ، الأول أن فيه بياناً وتوضيحاً ، والثاني أن إسقاط الأول يؤدي إلى خلل في التسمية .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ (آل عمران : ٤٥) .

٢ ـ قال أوس بن الصامت الأنصاري :

أنا ابن مُزَيْقيا عمرٍو وجَدّي ... أبـوه عـامِـرٌ مـاءُ السمـاءِ

٣ ـ وقال حسان بن ثابت :

وما اهتز عرشُ الله من أجل هالكٍ ... سمعنا به إلا لسَعْدٍ أبي عمرِو

٤ ـ وقال الأخطل :

وقد كان منهم حاجبٌ وابنُ أُمّه ... أبو جندلٍ والزَّيْدُ زَيْدُ المعاركِ

٥ ـ وقال أحد الأعراب :

أقسـم بـالله أبـو حفـصٍ عُمَرْ ... مـا مَسَّهـا مـن نَقَـبٍ ولا دَبَـرْ

٦ ـ وقالت أخت عمرٍو ذي الكلب بن عجلان :

بأن ذا الكلبِ عمراً خيرُهم حَسَباً ... ببطنِ شريانَ يعوي حوله الذيبُ

٧ ـ وقال أبو ذؤيبٍ الهذلي :

عـرفتُ الـديـارَ لَـرَقْـم الـدوا ... ةِ يَزْبُرُها الكاتبُ الحِمْيَري

علـى أَطْـرِقـا بـاليـاتِ الخيـا ... مِ إلا الثمـامَ وإلا العِصـي (١)

٨ ـ وقال شاعر من بني أسد :

كذبتم وبيتِ الله لا تنكحونها ... بني شابَ قَرْناها تُصَرُّ وتُحْلَبُ

٩ ـ وقال آخر :

أَشْلـى سَلـوقيـةً بـاتـتْ وبـات بهـا ... بوحشِ إصْمِتَ في أصلابها أَوَدُ (٢)

١٠ ـ وقال غيره :

إذا مـا قيـل أيُّ النـاسِ شَـرٌّ ... فشـرُّهُـمُ بنـو يتلمّظـانِ

---

(١) أَطْرِقا : اسم علم لبادية .

(٢) إصمت : اسم علم لبادية أيضاً . وأشلى : أغرى . وسلوقية : كلاب .

بُحُوثُ ٱلفِعْلِ وَأشْبَاهِهِ

الفعل العربي والدلالة على الزمان

بعد الاستقراء الطويل الذي قام به النحاة العرب لنصوص اللغة ، وجدوا أن الفعل العربي ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم يدل على الزمان الماضي ، مثل : كتب وقرأ ، وعلم .

٢ ـ وقسمٌ رأوه يدل على الزمن الحاضر حيناً ، والمستقبل حيناً آخر ، مثل : يكتب ، ويقرأ ، ويفهم .

٣ ـ وقسم ثالث رأوه يدل على المستقبل دوماً ، مثل : اكتب ، واقرأ ، وافهم .

على أن استقراءهم لكلام العرب ، وتمرسهم بالفصيح من القول ، جعلهم يشيرون في بعض المواضع إلى أن هذه الدلالة ليست مطلقة ، ولكنها عامة[1] ، هذا والنحاة القدماء لم يهتموا بهذه الدلالة الزمنية اهتماماً تاماً ، لأنهم شغلوا بقضايا الإعراب لحاجة الكَتَبَة والناس إليها بعد فساد السليقة ، وأحسبهم لو اهتموا بها لوصلوا في دراستها إلى ما لا يصل إليه لغوي معاصر ، لقربهم من الفصحاء ، وفهمهم لأساليبهم .

ولنحاول أن نبين في إيجاز بالغ دلالة الفعل العربي على الزمان ، أما فعل الأمر فلا يدل إلا على المستقبل ، ولذلك لن تكون له فِقْرة خاصة به .

وصيغ الفعل في العربية لا تدل على الزمان دلالات دقيقة ، لأن ظرف الزمان فيها يقوم بهذه المهمة قياماً كافياً ، ويحدد أزمنة وقوع الأفعال ، وبعض اللغات تعتمد في هذا على استعمال الأفعال المساعدة وأسماء المفعولين ، كالإنكليزية ، ولها صيغ كثيرة لا تخلو من صعوبة .

آ ـ صيغة « فَعَلَ » ودلالتها :

نعني بهذه الصيغة ما يسمى في المصطلح النحوي (الفعل الماضي) ،

(١) انظر : فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي : ٣١٠ ، وأمالي ابن الشجري : ١/ ٣٠٤ .

لأنها هي أساسه الأصيل ، وتدل على حدث وقع في زمن مضى قبل زمن التكلم .

ولكن هذا الأصل العام لا يستقيم دوماً ، فكثيراً ما تخرج هذه الصيغة عليه ، لتدل على أزمنة أخرى ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ قد تدل على الزمن الحاضر وقت التكلم ، كقول الناس بعضهم لبعض في العقود : بعتك البضاعة ، أو زوجتك ابنتي ، وهي في حقيقة الأمر تدل على النية المعقودة للقيام بالحدث .

٢ ـ وقد تدل على المستقبل كما في جمل الدعاء ، كقولنا : صحبتك السلامة ، وحفظك الله ، وقد تدل عليه في غير الدعاء ، كما في هذه الآية : ﴿ فسوف يلقَوْن غياً ، إلا من تاب وآمن وعمِلَ صالحاً ﴾ (مريم : ٥٩ ـ ٦٠) وتقدير : إلا من يتوب . ومثله قوله : ﴿ ونفخ في الصور فصَعِقَ مَنْ في السماوات ومن في الأرض ﴾ (الزمر : ٦٨) وقوله : ﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه ﴾ (النحل : ١) ومثله قول الطرماح :

وإنـي لآتيكُـمْ تَشَكُّـرَ مـا مضـى ... من البِرِّ واستيجابَ ما كان في غدِ

أي : ما سيكون في غدٍ .

٣ ـ وقد تدل على زمان مبهم غير محدد ، كقولك : كرم فلان ، وعظُم ، وسَود الزنجي ، وعرِج زيد ، وكَحِلتْ عينُهُ ، أو حورت أو عورت . فهذه الأفعال جميعاً إنما تدل على صفات ثابتة غير متحولة ، لم تطرأ ، ولا تزول ، وإنما هي طبائع أو عاهات أو حِلى ، خلقت مع صاحبها ، فكانت من أصل تكوينه النفسي أو الجسدي .

٤ ـ وقد تتجرد من الدلالة الزمنية البتة ، وهذا كثير في الفعل « كان » حين يكون ناقصاً ، كقوله تعالى : ﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (الفتح : ٧ ، ١٩) ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ (الفتح : ١١) ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (الفتح : ١٤) ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ (الفتح : ٢١) ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾ (نوح : ١٠) الخ . . . . فلا يفيد الفعل (كان) هنا غير معنى التوكيد ، ولا يمكن أن يحدد عزة الله ، وحكمته ، وخبرته ، وغفرانه ، في زمن مضى وانتهى . . .

هذا إذا استعملت هذه الصيغة مجردة من أدوات ذاتِ دلالةٍ خاصة ، وإذا

صحبتها هذه الأدوات دلت على الأزمنة التالية :

١ ـ الماضي القريب :

وذلك إذا دخلت عليها « قد » ، فإذا قلت : جاء أخوك ، عبرت بالفعل : جاء ، عن زمن مضى دون تحديد ، قد يكون بعيداً جداً ، وقد يكون قريباً ، ولكنك إذا قلت : قد جاء أخوك ، فإنما تعبر عن حدث وقع في زمن قريب من زمن التكلم .

٢ ـ الماضي البعيد :

وإذا تقدمت عليه « كان » أو إشارة زمنية أخرى ، دل على حدث وقع قبل فعل آخر ، وهذا واضح في الآية الكريمة : ﴿ وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسُرٍ ، تجري بأعيننا ، جزاءً لِمَنْ كان كُفِرَ ﴾ (القمر : ١٣ ـ ١٤) ، ومثله : ﴿ ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويك من قَبْلُ ﴾ (يوسف : ٦) ومثله أيضاً : ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ﴾ (الأحزاب : ١٥) .

٣ ـ الدلالة على المستقبل :

وإذا وقع الفعل الماضي بعد « إذا » و« إن » الشرطيتين ، دل على المستقبل في الجملة فعلُ الشرط وجوابُه معاً ، مثل : إذا ما جاء الشتاء جئتُ إلى بلدك ، ومثل : إن جد أخوك وصل إلى ما يريد .

ب ـ دلالة « يَفْعَلُ » على الزمان :

والفعل المضارع يدل في الغالب على الحاضر أو المستقبل ، ولكنه كقسيمه الماضي يخرج على الشيوع ، وتكون له دلالة زمانية خاصة وذلك كمايلي :

١ ـ قد يدل على حقيقة ثابتة غير محددة بزمان ، كقولنا : إن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب ، إن الله يحيي ويميت ، فهذه الأفعال المضارعة لم تدل على حدث يجري زمن التكلم ، ولا على حدث سيقع بعدها ، بل دلت على حقائق جارية في كل زمان ، مستمرة دائمة ، ومثله : الشمس تنير الأرض ، والبحر يدفيء الجو ، والغيوم تهطل أمطاراً .

وكذلك قد تدل على عادة متبعة ذات قانون ثابت في كل زمان ، كقول

العرب في مثلهم المشهور : قبل الرماء تملأ الكنائن .

٢ ـ وقد يدل على الزمن الماضي إذا صحبته قرينة ، كما في هذه الآية : ﴿ لِمَ تقتلون أنبياءَ الله مِنْ قبلُ ﴾ (البقرة : ٩١) ، ومثله : ﴿ استكبرتم ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون ﴾ (البقرة : ٨٧) والتقدير فيهما : قتلتم ، ومثله : ﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ (البقرة : ١٠٢) أي : ما تلت ، أو ما كانت تتلو ، ومثله قول امريء القيس :

لعَمْري لقومٌ قد نرى أمسِ فيهم ... مرابط للأمهار والعِكَرِ الدُثْرِ[1]

وتلحقه الزوائد من الأفعال الناقصة والأدوات فيؤدي بها دلالات زمنية أخرى ثابتة فيه وذلك كمايلي :

١ ـ أدوات تخلص دلالته للمستقبل :

بعض هذه الأدوات نافية ، وبعضها مثبتة ، فـ « لن » تخلص النفي في الفعل المضارع للمستقبل ، فإذا قلت : لن أكتبَ ، أردت أن الكتابة لن تحدث في المستقبل ، وكذلك : لا ، كقولك أنا لا أبيت في مثل هذا المكان ، وتقول : هذا صحيح لا يرتاب فيه أحد .

أما السين وسوف فللمستقبل المثبت كقولك : سوف أزور دمشق في العام الآتي ، وكذلك « أن » المصدرية ، كقولك : رغبت في أن أراك .

٢ ـ أداتان تخلصانه للماضي :

وهما : لم ، ولما ، أما الأولى فتجعله للماضي مطلقاً ، نحو : لم أذهب إلى الجامعة البارحة ، أما « لما » فيمتد نفيها من الماضي إلى زمن التكلم ، كقولك : لما ينقطعِ السيل . فالسيل مُستمر إلى زمن التكلم .

٣ ـ دلالته على حدث مستمر في الماضي :

وذلك إذا سبق بالفعل « كان » كقولك : كنت أختلف إلى بيت أخي ، وأجد فيه الوداعة والأنس . فاختلافك إلى بيت أخيك كان مستمراً في الماضي ، وكذلك وُجْدانُكَ فيه الوداعة والأنس . ومثله قوله تعالى : ﴿ كانوا لا يتناهَوْنَ عن منكرٍ فعلوه ﴾ (المائدة : ٧٩) .

---

(١) العكر : جماعات الإبل . والدثر : الكثير .

بناء الفعل وإعرابه

ويقسم الفعل من حيث إعرابُه وبناؤه قسمين ، فعل مبني ، كالماضي والأمر ، وفعل معرب في حال ، ومبني في حال أخرى ، وهو المضارع .

١ ـ بناء الفعل الماضي :

يرى بعض النحاة أن أصل بناء الماضي الفتح ، ولكنه قد يعرض له عارض صوتي فيتعذر ظهور الفتح عليه ، مثل : كتبَ ، كتبَا ، كتبَتْ . فهو هنا مبني على فتح ظاهر لعدم وجود العارض . أما في : كتبُوا ، كتبْتُ ، كتبْتَ ، كتبْتِ ، كتبْنَ فقد عرض له ما أزال الفتح إزالة لفظية ، فواو الجماعة في : كتبوا ، لا يلائمها إلا الضم ، ولذلك حلت محل الفتح عرضاً ، وأما : كتبتُ ، وأخواتها فقد سكنت الباء تسكيناً عارضاً ، لا بناءً ، لئلا يتوالى أربعة أحرف متحركة فتثقل على اللسان .

ولم يكتب لهذا الرأي الشيوع ، على الرغم من صحته ومجاراته لروح اللغة ، أما الرأي الذي شاع وانتشر في بناء الفعل الماضي فهو :

١ ـ يبنى على الفتح إذا لم يتصل به شيء ، غير تاء التأنيث وألف الاثنين ، مثل : لعبَ ، لعبَتْ ، لعبَا .

٢ ـ ويبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، مثل : لعِبُوا .

٣ ـ ويبنى على السكون إذا اتصلت به ضمائر الفاعل المتحركة ، لعبْتُ ، وأخواتها .

ولا يكون الإعراب محلياً في الفعل الماضي إلا إذا وقع فعلاً للشرط أو جواباً له ، مثل : إن جئتُ حملت إليكَ كتاباً . تقول في إعرابها :

جئت : حملت : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الفاعل المتحرك ، في محل جزم بـ« إنْ » لأنه فعل الشرط أو لأنه جواب الشرط ، والتاء ضمير متصل الخ . . . .

٢ ـ بناء فعل الأمر :

القاعدة الأساسية هي أن فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه ، وذلك على الشكل التالي :

ـ الفعل (يكتب) يجزم بالسكون ، والأمر منه يبنى على السكون .

ـ يرمي ، ويدعو ، وينْهَى ، تجزم بحذف حرف العلة ، وأفعال الأمر تبنى على حذف حرف العلة ، مثل : لم يرمِ ، لم يدعُ ، لم يَنْهَ . ارمِ ، ادعُ ، إنْهَ .

ـ الفعل : يكتبون ، يجزم ، وتكون علامة الجزم فيه حذف النون ، فيبنى الأمر منه على حذف النون ، لم يكتبوا ، اكتبوا .

ـ المضارع : يكتبَنَّ ، مبني على الفتح ، والأمر منه مبني على الفتح أيضاً : اكتبَنَّ .

٣ ـ بناء الفعل المضارع :

أما الفعل المضارع فلا يبنى إلا في حالين :

١ ـ إذا اتصلت به إحدى نوني التوكيد اتصالاً مباشراً ، بني على الفتح ، مثل : لا تلعبَنَّ ، لا تجهلنَّ . وفي هذه الحال يكون إعرابه محلياً ، نقول مثلاً في إعراب : لا تكتبنَّ : لا : ناهية جازمة ، تكتبن : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ « لا » الناهية ، والنون حرف توكيد لا محل لها من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

أما إذا كان اتصال النون به غير مباشر ، كأن تقوم بينهما واو الجماعة ، أو ياء المؤنثة المخاطبة ، مثل : لا تكتمُنَّ الله ما في نفوسكم . أو : لا تكتمِنَّ الله ما في نفسكِ . فإن الفعل في هذه الحال معرب لا مبني ، ولكن يحذف الضميران لالتقاء الساكنين[١] .

(١) وإذا كان معرباً مرفوعاً مثل : هل تعملن ، تحذف نون الأفعال الخمسة لئلا يتوالى الأمثال . تقول في إعراب : لا تكتُمنَّ . لا : ناهية جازمة ، تكتمن : فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وواو =

٢ ـ وإذا اتصلت به نون النسوة بني على السكون ، مثل : يقرأْن ويكتبْن . وكذلك يكون إعرابه في هذه الحال محلياً ، تقول : النساء يكتبنَ . وإعرابه : يكتبْن : فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، في محل رفع لتجرده عن الناصب والجازم . ونون النسوة الخ .

٤ ـ إعراب الفعل المضارع :

سمي هذا الفعل مضارعاً لأنه ضارعَ الاسمَ ، أي : شابهه ، ويذكر النحاة وجوهاً كثيرة للشبه يمكن تصنيفها في نوعين :

آ ـ شبه معنوي :

فالفعل المضارع والاسم يتخصصان بعد أن يكونا شائعين ، تقول مثلاً : رجل ، بالتنكير والشياع ، ثم تخصص فتقول : رأيتُ الرجلَ . وتقول في الفعل المضارع : يكتبُ ، فالدلالة هنا شائعة بين الحاضر والمستقبل ، وتقول : لم يكتب ، فتخصص الدلالة في الزمن الماضي ، وتقول : سوف يكتب ، ولن يكتب ، ولا يكتب ، فتخصص دلالته بالمستقبل .

ب ـ شبه لفظي :

وذلك أن اللام المزحلقة تدخل على كليهما ، تقول : إن فلاناً لكاتب ، كما تقول : إن فلاناً ليكتب . ثم إن الفعل المضارع يشبه في اللفظ اسم الفاعل من حيث الايقاعُ اللفظي ، فقولك : يضرب ، يشبه : ضارب ، من حيث الحركات والسكنات .

هذا الشبه جعل الفعل المضارع معرباً كالأسماء ، ومعنى هذا أن العوامل تؤثر فيه ، وله حالات ثلاث ، هي :

١ ـ الرفع : إذا لم يسبق بناصب أو جازم ، مثل : يكتب ، يكتبون ، يرمي . فالأول علامة الرفع فيه الضمة الظاهرة ، أما الثاني فعلامة رفعه ثبوت

= الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع ، فاعل . والنون حرف توكيد لا محل له من الإعراب . وتقول في إعراب : هل تعلمُنْ : فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وقد حذفت لئلا تتوالى ثلاث نونات ، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير ، الخ . . .

النون ، والأخير علامة الرفع فيه الضمة المقدرة على الياء للثقل .

٢ ـ النصب : إذا سبقه حرف من حروف النصب ، وهي : أن ، لن ، كي ، إذن . مثل : لن أكتب ، ولن يكتبوا ، فالأول منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والثاني علامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة .

٣ ـ الجزم : إذا سبقه حرف من الجوازم ، وهي : لم ، لما ، لام الأمر ، لا الناهية ، وأدوات الشرط ، والطلب . مثل : لم يكتب ، ولم يكتبوا ، ولم يرم . الأول علامة جزمه السكون الظاهر والثاني حذف النون ، والثالث حذف حرف العلة .

* * *

اللازم والمتعدي من الأفعال

الأفعال من حيث العمل نوعان ، نوع يكتفي بفاعله ، ولا يتعداه إلى مفعول به ، وآخر لا يكتفي بالفاعل ، ويتعداه إلى مفعول واحد ، أو مفعولين ، أو ثلاثة .

والنوعان كلاهما سواء في نصب المفعولات الأخرى ، وفي نصب الحال كما يظهر لك في هذين المثالين :

١ ـ ذهبتُ البارحةَ إلى البيت إيثاراً للراحة ، معتمداً على ما أملكه في بيتي من وسائلها ، فالفعل : ذهبت ، لازم ، لم ينصب في المثال مفعولاً به ، ولكنه نصب مفعولاً فيه ، وهو : البارحة ، ومفعولاً له ، هو : إيثاراً ، وحالاً ، هي : معتمداً . وهو قادر لو غيرنا الجملة على أن ينصب غير ذلك من المنصوبات ما خلا المفعولَ به .

٢ ـ كتبت الوظيفة البارحة إيثاراً للنجاح معتمداً على العمل والدأب . الفعل : كتبت ، هنا متعدٍ نصب ما نصبه الفعل السابق ، وزاد عليه في نصبه مفعولاً به ، هو : الوظيفة .

وعلى هذا يكون الفعل اللازم هو الذي لا ينصب مفعولاً به ، أما المتعدي فهو ما نصب مفعولاً به واحداً ، أو اثنين ، أو ثلاثة .

١ ـ الفعل اللازم

يكون الفعل لازماً إذا اجتمعت له الصفات الآتية :

آ ـ أن يكون من باب : فَعُل يَفْعُل ، وهو الذي يدل على سجية وغريزة ، مثل : كَرُمَ الرجلُ ، وعَظُم الأمرُ ، وقَصُر الثوبُ .

ب ـ أن يكون من باب : فعِل يفعَل ، وهو الذي يدل على لون ، أو عيب ظاهر ، أو حِلية ظاهرة ، أو حال لها ثبوت طويل ، مثل : خَضِرت

الأرضُ ، وعَوِرت عينُ فلان ، أو كحلت ، وَسمِن الغلامُ ، وفرِح الولد ، ووسِخ بدنُه .

جـ ـ ما دل على مطاوعة فعل متعد لواحد ، مثل : انكسر الزجاج ، واجتمع الناس ، وتباعد الأقرباء .

د ـ ما كان على وزن : افعلَّ ، مثل : اغبرتِ الشوارعُ ، أو افعلَلَّ ، مثل : اقشعر بدنه ، أو : افعنلل ، مثل : احرنجمت الإبِلُ ، (أي : اجتمعت) .

***

الفعل اللازم إذاً لا يقوى على أن يوصل أثرَه إلى المفعول به مباشرة ، بل توصله إليه واسطة تقوم بينه وبينه ، هي حرف الجر ، تقول : ذهبت إلى المدرسة . ولا تقول : ذهبت المدرسةَ . وتقول : اضطررت إلى العملِ ، ولا تقول : اضطررت العملَ .

على أن حرف الجر يسقط أحياناً بعد الفعل اللازم ، وذلك على ضربين :

١ ـ سقوطه سماعاً :

فقد يسقط حرف الجر في بعض التراكيب ، كما ترى في قول جرير :

تمرون الديارَ ولم تَعوجوا كلامُكم عليّ إذاً حرَامُ

فالأصل : تمرون بالديار ، ولكن سقطت الباء ، ومثله قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومَه سبعين رجلاً ﴾ (الأعراف : ١٥٥) ، والأصل فيه : اختار من قومه سبعين رجلاً . وفي هذه الحال ينصب ما بعد الفعل اللازم ، كما هو واضح في الشاهدين ، أما نصبه فعلى نزع الخافض ، لا على أنه مفعول به .

وهذا الضرب من سقوط حرف الجر سماعي لا يقاس عليه ، إذ جاء في نصوص فصيحة محدودة وليس بمطلق .

٢ ـ سقوطه قياساً :

ويجوز في القياس أن يسقط حرف الجر إذا كان مجروره مصدراً مؤولاً من « أنْ » أو « أنَّ » ، تقول : اضطررت أن أعملَ ، والأصل : اضطررت إلى

أن أعمل . وتقول : عجبت أنك شاعر ، والأصل : عجبت من أنك شاعر . ويكون محل المصدر المؤول هنا جراً بحرف الجر المحذوف(١) .

وههنا ظاهرة أخرى تلحق بهذا ، فمادام الاسم المجرور يلحقه أثر الفعل بوساطة حرف الجر ، فلماذا لا يكون هو ومجروره في محل نصب ؟

لقد ذهب إلى هذا نحوي كبير في القرن الرابع للهجرة(٢) ، فأجاز أن يعطف على الجار والمجرور بالنصب ، وتمثل بقوله : مررت بك وزيداً ، ونزلت عليه وجعفراً .

إلا أن هذا المذهب غير مسلم به ، ولم يُسمع في الكلام الفصيح مثلُهُ ، وإنما هو محض قياسٍ ذهني حُمِلتْ عليه اللغة ، أضف إلى ذلك أن بعض النحويين يرده ، ويقصر العطف بالنصب على محل المجرور بحرف جر زائد(٣) .

٢ ـ الفعل المتعدي

تنقسم الأفعال المتعدية بحسب تعديها إلى ثلاثة أقسام ، فمنها ما ينصب مفعولاً به واحداً ، ومنها ما ينصب مفعولين ، ومنها ما ينصب ثلاثة .

آ ـ ما يتعدى إلى مفعول واحد :

يصعب حصر الأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد ، وعلامتها أن تقبل ضميراً متصلاً للغيبة أو للمخاطب أو للمتكلم ، مثل : ضرب ، متعد ، لأنه يقبل ضمير الغيبة ، فيقال : ضربه ، وضمير المخاطب : ضربك ، ومثله كسر ، وفهم ، وقرأ ، وكتب . ويشترط في هذا الضمير ألا يكونَ ضميرَ المصدر ، مثل : انهزم العدو انهزاماً لم ينهزمه من قبلُ . ولا ضمير الظرف مثل : رمضانَ صُمْتُهُ .

---

(١) يرى بعضهم أنه في محل نصب على نزع الخافض ، وما ذهبنا إليه أقرب إلى الصحة .

(٢) هو ابن جني في كتابه الخصائص : ١/ ١٠٢ .

(٣) انظر : مغني اللبيب (دمشق) ٥٢٦ (أقسام العطف) .

ب ـ ما يتعدى إلى مفعولين :

وهذا نوعان : أولهما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً ، كالأفعال : أعطى ، ومنح ، وألبس ، وكسا ، وسأل ، مثل : أعطيت الرجل ليرة ، وكسوت الفقير ثوباً . وثانيهما ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، وهو يشمل أفعال القلوب ، وأفعال التحويل .

فما أفعال القلوب ؟

قيل : لها ذلك لأن معانيها نفسية ، إلا أنها تختلف من حيث الدلالة المعنوية ، فمنها ما يدل على اليقين ، وهي : وجد ، درى ، ألفى ، تَعَلَّمْ (بمعنى : اعْلم) فهذه الأفعال تدل على معنى الاعتقاد ، والتثبت من الأمر ، نحو : وجدت عملي سهلاً . ونحو قول خِداش بن زهير :

رأيــتُ الله أكبــرَ كــل شــيءٍ　　　محــاولــةً وأكثــرهــم جنــوداً

وقول زياد بن سيار :

تعلمْ شفاءَ النفسِ قَهْرَ عدوِّها　　　فبالغ بلطف في التحَيُّلِ والمكر

ومنها ما يدل على الرجحان كالأفعال : جعل ، حجا ، عدَّ ، زعم ، هَبْ . كقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكةَ الذين هم عبادُ الرحمٰن إناثاً ﴾ (الزخرف : ١٩) ، وقول تميم بن أبيٍّ بن مقبل :

قد كنت أحجو أبا عمروٍ أخا ثِقَةٍ　　　حتـى ألمـت بنـا يـومـاً ملمـات

ومثل : أعُدُّكَ أخي ، وهبني أخاك .

ومنها ما يدل على اليقين حيناً ، والرجحان حيناً آخر ، مثل : رأى ، علم ، إلا أن اليقين أغلبُ فيهما ، وقد تحدثنا عن « رأى » ، وأثبتنا لها شاهداً دلت فيه على اليقين ، أما ما دلت فيه على الظن الراجح ، فكقوله تعالى : ﴿ إنهم يرونه بعيداً ونَراهُ قريباً ﴾ (المعارج : ٧) .

ومن هذه الأفعال : ظن ، وحسب ، وخال ، إلا أن دلالتها على الظن والرجحان أكثر من دلالتها على اليقين ، كقوله تعالى : ﴿ وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين ﴾ (هود : ٢٧) ، وكقول زفر بن الحارث الكلابي :

وكنـا حسبنـا كـلَّ بيضـاءَ شحمـةً　　　عشيــةَ لاقينــا جُـذامَ وحِمْيَـرا

ومما دلت على اليقين قول القطامي :

وحَسِبْتُنـا نَـزَعُ الكتيبـةَ غُـدْوَةً فيُغَيِّفـونَ وَنـرْجِـعُ السَّـرعَـانـا[1]

على أن هذه الأفعال تتغير معانيها بحسب السياق ، فالفعل (علم) قد يأتي بمعنى (عرف) ، ويأتي الفعل : ظن ، بمعنى : اتهم . وحجا ، بمعنى : قصد ، وحينئذ لا تنصب إلا مفعولاً واحداً ، مثل : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ (النحل : ٧٨) أي : لا تعرفون شيئاً ، ونحو : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ (التكوير : ٢٤) أي : بمُتّهم . ونحو : حجوت الجامعة ، إذا قصدتَها .

أما أفعال التحويل فهي : صَيّر ، وما في معناه ، مثل : جعل ، ورد ، وترك ، واتخذ . مثل : ﴿ وجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (الفرقان : ٢٣) ، أي : صيرناه . ونحو : ﴿ وتركنا بعضَهم يومئذٍ يموجُ في بعض ﴾ (الكهف : ٩٩) ، ونحو ﴿ واتخذَ الله إبراهيمَ خليلاً ﴾ (النساء : ١٢٥) ، ومنه قول هبيرة بن عبد مناف :

فإن تَنجُ منها يا حَزيمُ بنَ طارقٍ فقد تركتْ ما خلف ظهركَ بَلْقَعا[2]

ويجوز في هذه الأفعال جميعاً حذف المفعُولين ، أو حذف أحدهما ، إذا دل على ذلك دليل ، فما حذف فيه أحدهما قول عنترة :

ولقـد نـزلـتِ فـلا تظنـي غيـرَهُ منـي بمنـزلـة المُحـبِّ المُكْـرَمِ

أي : فلا تظني غيرَهُ حاصلاً ، ومما حُذف فيه المفعولان قوله تعالى : ﴿ أين شركائيَ الذينِ كنتم تزْعمون ﴾ (القصص : ٧٤) ، أي : تزعمونهم شركاءَ لي .

ومما يذكر في هذا الباب أن الفعل « تقول » ، قد يأتي بمعنى : تظن ، فينصب مفعولين ، ويشترط فيه :

١ ـ أن يكون مضارعاً .

٢ ـ مسنداً إلى المخاطب .

٣ ـ متصلاً باستفهام .

---

(١) نزع : نكف ، يغيفون : ينهزمون ، السرعان : أوائل الخيل .

(٢) فاعل تركت : ضمير مستتر يرجع إلى الفرس . والبلقع : الأجرد ، أي : صيرت ما تملكه هباء .

وهذه الشروط الثلاثة مستوفاة في قول عمرو بن معد يكرب :

علامَ تقولُ الرمحَ يثقلُ عاتقي　　إذا أنا لم أَطْعُنْ إذا الخيلُ كرتِ

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

أمـا الـرحيـلُ فـدون بعـدِ غـدٍ　　فمتـى تقـولُ الـدار تجمَعُنـا[1]

جـ ـ ما يتعدى إلى ثلاثة مفعولات :

وهي الأفعال : أرى ، وأعلم وأنبأ ، وما تضمن معانيها ، مثل أخبرَ ، وخبَّر ، ونبّأ ، كقوله تعالى : ﴿ كذلك يُريهمُ الله أعمالهم حسراتٍ عليهم ﴾ (البقرة : ١٦٧) وغالباً ما يكون المفعول الأول في : أنبأ ونبأ وخبر ، نائباً عن الفاعل ، كقول النابغة الذبياني :

أُنبِئْتُ نُعْماً على الهجرانِ عاتبةً　　سَقْياً ورَعْياً لذاكَ العاتبِ الزاري

وقول العوام بن عقبة :

وخُبِّرْتُ سوداءَ الغميم مريضةً　　فأقبلتُ من أهلي بمصرَ أعودُها

كما قد يأتي الفعل مبنياً للمعلوم ، ويكون مفعوله الأول اسماً ظاهراً ، ثم يسد المصدر المؤول مسد المفعولين الآخرين ، كقول عبد الله بن مسلم :

يُخبِّـرُ النـاسَ أن الأجْـرَ هِمتُـهُ　　وما أتى طالباً للأجرِ محتسبا

د ـ تنزيل المتعدي منزلةَ اللازم :

وقد يُنَزَّلُ الفعل المتعدي منزلةَ الفعلِ اللازم ، لغرض معنوي ، هو ألا يكون لذكر المفعول قيمة ، بل قد يكون ذكره أو تقديره مضعفاً للمعنَى ، كقوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩) فحذف المفعول هنا يجعل المعنَى ذا تعميم ، فإذا قدرتَ له مفعولاً نقلته إلى التخصيص ، إذ المعنَى المراد : هل يستوي مَنْ لديهم علم ، ومن ليس لديهم علم . وبهذا يكون المهم حصولَ الفعلِ ووقوعَه ، لا تعلقَه بمفعول ، ومثله قول أبي كبير الهُذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي　　أمات وأحيا والذي أمره الأمر

وهذا كثير في اللغة العربية .

---

(١) يقال إن قبيلة سُليم كانت تُجري فعل القول مجرى الظن من دون هذه الشروط .

شواهد للتدريب

١ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

غضِبَتْ أن نظَرتُ نحوَ نساءٍ ليس يعرفنَني مررْنَ الطريقا

٢ ـ قال عبد المطلب بن عبد الله المخزومي :

وما زرتُ ليلى أن تكونَ حبيبةً إليَّ ، ولا دينٍ بها أنا طالبُهْ

٣ ـ قال الأعشى :

وأنبئتُ قيساً ـ ولم أبلُهُ كما زعموا ـ خيرَ أهلِ اليَمَنْ

* * *

جزم الفعل المضارع

رأينا فيما سبق أن الفعل المضارع معرب لمضارعته الاسم ، ومشابهته له في الاستعمال ، ووقوعه موقعه ، إذ يجتمع هو واسم الزمان في الدلالة الزمانية ، ولحاق الزوائد الدالة على معانٍ ، تقول : سعيد يكتب ، وسعيد كاتب ، والقاضي يحكم ، والقاضي حاكم ، وإن الرجل ليصدق ، وإن الرجل لصادق .

ورأينا أيضاً أن له حالاتٍ ثلاثاً في الإعراب ، الرفع ، والنصب ، والجزم ، وقد تحدثنا عن الرفع ، فقلنا : يرفع إذا لم يتقدمه حرف جازم أو حرف ناصب ، وسنتحدث الآن عن جزمه ، ثم عن نصبه .

١ ـ جوازم المضارع

ينجزم الفعل المضارع بنوعين من الأدوات ، فبعضها لا يحمل معنى الشرط ، ولا يجزم إلا فعلاً مضارعاً واحداً ، وبعضها الآخر فيه معنى الشرط ويجزم فعلين مضارعين .

١ ـ ما يجزم فعلاً واحداً :

الأدوات التي تجزم فعلاً مضارعاً واحداً هي : لم ، ولما ، ولام الأمر ، ولا الناهية . فهي تجزمه لفظاً أو محلاً ، فالأول مثل : لم يكتب ، ولم يكتبوا ، ولم يَرْمِ . والثاني : لا ترمِيَنَّ ، وقد عرفنا هذا في البحث السابق .

أما « لم » فهي حرف نفي وجزم وقلب ، لأنها تفيد النفي ، وتعمل في المضارع جزماً ، ولأنها تقلب دلالته الزمانية فتخلصه للماضي ، فقولك : لم أكن هنا البارحة ، مثل : ما كنت هنا البارحة .

وتختلف عنها « لما » في أن نفيها متصل بالحال ، ويتوقع حصول منفيها وينتظر ، كقولنا : لما يأتِ خالد . فخالد لم يأتِ في الماضي ، ولم يأتِ زمن

التكلم ، إلا أننا ننتظر مجيئه ، ونتوقع حصوله .

ولام الأمر ، لا يزيد معناها على طلب إحداث أمر ما ، تقول : ليذهب سعيد ، ولْيَأتِ خالد ، والاستعمال العام لها أن يؤمر بها الغائب ، كما مر ، وقليلاً ما يأمر بها المتكلم نفسه عن طريق المجاز ، كما في هذه الآية : ﴿ واتَّبِعوا سُبُلَنا ، ولْنَحْمِلْ خطاياكم ﴾ (العنكبوت : ١٢) ومثله في القلة أن يؤمر بها المخاطب ، من ذلك قراءة النبي وكبار صحابته : ﴿ فبذلك فلتفرحوا ، هو خير مما يجمعون ﴾[١] (يونس : ٥٨) ، وقد استطاع بعض النحاة أن يجمع لهذه الظاهرة بعض الشواهد من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ، وبعض الأبيات الشعرية[٢] .

وقد تكون هذه اللام للدعاء لا للأمر ، كقولنا : لِيحفظْك الله ، لتصحبْك السلامة . كما تكون للتهديد ، كقوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وَلْيتمتعوا فسوف يعلمون ﴾ (العنكبوت : ٦٦) وهذا يحدده السياق العام .

وهذه اللام مكسورة ، إلا إذا سبقت بالواو أو الفاء ، مثل : لِيكتب ، وَلْيكتب . وهذا حدث صوتي كان العرب يتخففون فيه من توالي الحركات .

ولا ، الناهية ، تحمل معنى مضاداً لِلام الأمر ، إذ يطلب بها ترك أمر مّا ، وتقتضي جزم المضارع ، واستقباله ، سواء أكان المطلوب منه ذلك مخاطباً أم متكلماً ، فالأول كثير جداً ، كقولك لا تكتب ، ولا تقرأ ، أما الغائب فنهيه مجازي ، يراد منه نهي المخاطب بطريقة غير مباشرة ، كقول الأخطل مخاطباً بني أمية :

بني أميةَ إني ناصحٌ لكم ... فلا يَبِيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ[٣]

كأنه قال : فلا تجعَلُنَّهُ يبيت فيكم آمناً .

وقد يكون نهي الغائب صريحاً ، كقوله تعالى : ﴿ لا يتخذِ المؤمنون الكافرين أولياء ﴾ (آل عمران : ٢٨) وقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا ... فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

---

(١) أما قراءتنا اليوم : فليفرحوا .

(٢) هي في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري . المسألة : ٧٢ ص ٢٧٣ وما بعدها .

(٣) يريد : زفر بن الحارث الكلابي .

ومثله نهي الإنسان نفسه ، تقول : لا أرينَّك هنا ، فالنهي في الجملة لا يوجه إلى المتكلم حقاً ، ولكنه يوجه إلى المخاطب في أسلوب مجازي يدل على سمة العربية في الأداء ، فكأنك تقول : لا تكن سبباً في رؤيتي لك هنا ، أي : لا تأت إلى هنا فيكون ذلك سبباً في رؤيتي لك .

وكثيراً ما تكون « لا » الجازمة هذه للدعاء ، ولها شواهد لا تحصى في آيات القرآن الكريم من نحو : ﴿ ربنا لا تؤاخِذْنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصْراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ (البقرة : ٢٨٦) ﴿ ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذْ هديتنا ﴾ (آل عمران : ٨) .

٢ ـ ما يجزم فعلين :

وثمة أداة تجزم فعلين مضارعين وهي « إنْ » التي تفيد معنى الشرط ، ويلحق بها أدوات أخرى ليس لها في الجزم أصالتها وقدرتها ، لأن « إن » الشرطية لا تفارق معنى الشرط كيفما استعملت ، أما الأدوات اللواحق بها فتكون للاستفهام تارة ، والشرط تارة أخرى ، وبعضها ظروف ، وهذه الأدوات هي : إذما ، مَنْ ، ما ، مهما ، متى ، أيان ، أينما ، حيثما ، أنَّى ، كيفما ، أي .

وتفصيل ذلك كمايلي :

١ ـ إن ، إذما :

هما حرفان جازمان شرطيان ، لا محل لهما من الإعراب ، كغيرهما من الحروف .

٢ ـ من ، ما ، مهما :

وهذه أسماء مبهمة ، تكون في معظم استعمالاتها في محل رفع مبتدأ ، مثل : من يعمل بجد يصل إلى ما يتمنى . وقد تكون مفعولاً به مقدماً ، وذلك إذا كان فعل الشرط متعدياً ولم يأت مفعوله بعده ، كقوله تعالى : ﴿ ما[1] نسخ

(١) ما اسم شرط جازم ، يجزم فعلين مضارعين ، هما فعل الشرط وفعل الجواب ، مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم . (ومثلها : « ما » في الآية التالية ، « ومن » في قول زهير) .

من آية أو نُنسِها نأتِ بخير منها ﴾ (البقرة : ١٠٦) وقوله : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ (البقرة : ١١٠) ، وكقول زهير :

رأيتُ المنايا خَبْطَ عشواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ ، وَمَنْ تُخطِيءْ يعمَّرْ فيهرمِ

وقد تكون في محل جر بالإضافة ، مثل : كتابَ مَنْ تقرأ أقرأ . وحين تكون مبتدأ يكون خبرها جملة فعل الشرط ، وهذا أيسر الآراء وأفضلها .

٣ ـ متَى ، أيان :

هما ظرفا زمان محلهما النصب ، تضمنا معنًى « إن » الشرطية ، فحملا عليها ، كقول بشر بن أبي خازم :

وينصرنا قوم غضاب عليكمُ متَى نَدْعُهم يوماً إلى النصر يركبوا

٤ ـ أين (أينما) حيثما ، أنَّى :

وهذه ظروف مكان تضمنت معنًى «إن» فجزمت مثلها فعلين مضارعين.

وهذه الظروف الخمسة تعلق بفعل جواب الشرط ، ويَرى فريق من النحاة أن تعلق بفعل الشرط ، وهو قول جيد .

٥ ـ كيفما :

هي دوماً حال من فاعل فعل الشرط .

٦ ـ أيّ :

تعرب هذه الأداة بحسب ما تضاف إليه ، وهي معربة ، وتعرب بحسب موقعها من الجملة ، كما في الأمثلة الآتية :

ـ أيُّ كتابٍ تقرأهُ تستفدْ منه .	مبتدأ ، لأن فعل الشرط نَصَبَ مفعولاً به ، وهو الضمير المتصل به .
ـ أيَّ كتابٍ تقرأ تستفد منه .	مفعول به مقدم لأن فعل الشرط لم يُشْغل بمفعول به بعده .
ـ أيَّ وقتٍ تأتِ تجدْني .	ظرف زمان يتعلق بفعْل الشرط (تأتِ) .
ـ أيَّ جهةٍ تَسِرْ أسِرْ .	ظرف مكان يتعلق بفعل الشرط (تَسِرْ) .
ـ أيَّ كتابةٍ تكتبْ تعجبْني .	مفعول مطلق لأنها أضيفت إلى مصدرِ فعلِ الشرط .
ـ في أي نحوٍ يميلوا دينه يَمِلِ .	مجرورة بحرف الجر ، ويتعلقان بفعل الشرط .

٢ ـ جملتا الشرط والجواب

١ ـ جملة الشرط :

آ ـ يُشترط في جملة الشرط أن يكون فعلها خبرياً ، متصرفاً ، غير مقترن بـ : قد ، أو : لن ، أو : ما ، أو التسويف .

ب ـ على أنه لا يُشترط فيه أن يكون مضارعاً مجزوماً ، فكثيراً ما يأتي ماضياً ، وفي هذه الحال يكون جزمه محلياً ، مثل : إن عُدْتُمْ عُدْنا .

جـ ـ قد يحذف فعل الشرط ويفسره فعل مذكور بعده ، كقوله تعالى : ﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه ﴾ (التوبة : ٦) ، وقد يحذف لدلالة السياق عليه ، كقول الأحوص :

فَطلِّقْهـا فلسـتَ لهـا بكُـفْءٍ وإلا يَعْـلُ مَفْـرِقَـكَ الحُسـامُ

أي : وإلا تطلقها يعل .

٢ ـ جملة جواب الشرط :

آ ـ الأصل في جملة الجواب أن يكون فعلها خبرياً متصرفاً كفعل الشرط ، سواء أكان مضارعاً مجزوماً لفظاً ، أم ماضياً مجزوماً محلاً .

ب ـ وإذا لم يكن على هذه الصورة وجب ربطه بالفاء ، أو بـ : (إذا) الفجائية ، كما في هذه الأمثلة :

١ ـ إن تعمل فأنت رابح .	جملة الجواب اسمية فوجب ربطها بالفاء .
٢ ـ إن تجده فسلم عليه .	جملة الجواب طلبية فوجب ربطها بالفاء .
٣ ـ إن أفقده فلست بجازع عليه .	جملة الجواب فعلها جامد فوجب ربطها بالفاء .
٤ ـ ﴿ إن يسرق فقد سَرق أخ له من قبل ﴾ .	جملة الجواب مصدرة بـ : قد ، فوجب ربطها بالفاء .

٥ ـ إن تضربه فما تأتي بمنكر . جملة الجواب مصدرة بـ : ما ، فوجب ربطها . .

٦ ـ من يعمل فلن يضيع عمله . جملة الجواب مصدرة بـ : لن ، فوجب ربطها . . .

٧ ـ من يقرأ فسوف يرى نتيجة قراءته . جملة الجواب مصدرة بالتسويف فوجب ربطها .

٨ـ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ . جملة الجواب مصدرة بـ : كأنما فوجب الربط .

٩ ـ إن ينجح الآن فربما ينجح غداً . جملة الجواب مصدرة بـ : ربما ، فوجب الربط .

١٠ ـ ويقترن جواب الشرط بالفاء إذا كانت جملته شرطاً جديداً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإن كان كبر عليك إعراضُهم ، فإن استطعت أن تبتغيَ نَفَقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيَهم بآية . . . ﴾ (الأنعام : ٣٥) .

***

وقد يحذف صدر جملة الجواب ، وتدخل الفاء على ما بقي منها : كقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فأمتعُهُ قليلاً ﴾ (البقرة : ١٢٦) ، أي : فأنا أمتعه . وقوله : ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾ (الجن : ١٤) أي : فهو لا يخاف .

وقد تحذف الفاء من جملة الجواب مع استيفائها الشروط لضرورة الشعر ، كما ترى في قول عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت :

من يفعلِ الحسناتِ الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلانِ

والتقدير : فالله يشكرها .

جـ ـ وقد يحذف جواب الشرط إذا دل عليه دليل ، كقولك لصديقك : إن استطعت أن تزورني . أو : إن رأيت أن تسافر معي . أي : فافعل .

ويغني عن جواب الشرط شيئان ، فيحذف لدلالة السياق عليه :

آ ـ إذا تقدم على أداة الشرط ما فيه معنى الجواب ، مثل : ستنجح إن درست .

ب ـ جواب القسم ، وذلك إذا اجتمع هو والشرط في العبارة ، مثل قول النابغة :

لئن كنتَ قد بُلغْتَ عني وِشايةً　　لمُبْلِغُكَ الواشي أغش وأكذبُ

فقوله : لمبلغك أغش . جواب القسم ، أغنى عن ذكر جواب الشرط .

ومثله قول ابن الزبير لمعاوية في مروان بن الحكم : « ولئن مُلِّكَ أعنة خيلٍ تنقاد له ليركبَنَّ منك طبقاً تخافه » وقوله بعد هلاك أخيه مُصْعَب : « ولئن هلك مصعب ، إن في آلِ الزبير منه خلفاً » . ففي القول الأول أغنى جواب القسم (ليركبن) عن جواب الشرط ، ولهذا لحقته نون التوكيد ، وفي الثاني أتى قوله : إن في آل الزبير منه لخلفاً . جواباً للقسم ، ولهذا لم تقترن جملته بالفاء ، ولو كان جواباً للشرط لوجب الاقتران ، لأنها جملة اسمية .

د ـ قد يحذف الشرط والجواب معاً ، مثل : الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والتقدير : إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر . ومثل ذلك قول عامر بن الطفيل :

فإنْ سلماً بني حربٍ فسلمٌ　　وإن حرباً فقد شُفيَ الغليلُ

٣ ـ فعلا الشرط والجواب :

لاحظنا في الأمثلة والشواهد السابقة أن جملة الشرط قد يكون فعها مضارعاً ، وقد يكون ماضياً ، وكذلك جملة الجواب .

على أن ثمة تركيباً قليل الاستعمال في لغة العرب ، وهو أن يكون فعل الشرط مضارعاً مجزوماً لفظاً ، وفعل الجواب ماضياً مجزوماً محلاً ، كقول نهشل بن ضمرة :

ومدركُ التَّبْلِ في الأعداءِ يطلبه　　وما يشأ عندَهَمْ من تَبْلِهم منعا[(١)]

ومثله قول أعشى قيس :

وما يُرِدْ من جميعٍ بَعدُ فرَّقَهُ　　وما يُرِدْ بعدُ من ذي فرقةٍ جمعا

وفي الأحاديث النبوية المروية ما يحمل هذه الظاهرة ، كقوله ﷺ : « من يَقُمْ ليلةَ القَدْرِ غُفِرَ له » وقول عائشة : « إن أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامَك رَقّ » .

---

(١) التبل : الثأر .

وتركيب الجملة الشرطية يؤثر في إعرابهما أحياناً ، فالأصل أن تكون الأداة الجازمة عاملة في فعلي الشرط والجواب ، كما مر بنا في الشواهد والأمثلة ، إلا أن هناك لغة قليلة جاء فيها فعل الشرط ماضياً ، ولم يجزم المضارع الذي هو فعل الجواب ، كقول زهير بن أبي سلمى :

وإن أتـاه خليـلٌ يـومَ مَسْغَبَـةٍ ... يقولُ : لا غائِبٌ مالي ولا حَرِمُ

ولكن اللغة الفصيحة الصحيحة هي جزم الجواب في مثل هذا التركيب ، لأن معظم ما نجده من النصوص القديمة يحمل هذه الظاهرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ كان يريد حَرْث الآخرة نَزِدْ له في حرثه ﴾ (الشورى : ٢٠) وقوله : ﴿ مَن كان يريد الحياةَ الدنيا وزينتها نُوفِّ إليْهِمْ أعمالهم فيها ﴾ (هود : ١٥) ومن لغة الشعر قول الفرزدق :

دست رسولاً بأن القوم إن قَدَروا ... عليكْ يَشْفوا صدوراً ذاتَ توغيرِ

٣ ـ الجزم بالطلب

قد يفهم معنى الشرط من سياق الكلام ، وإن كان خالياً من أداة الشرط ، ويظهر لك هذا في نوعين من الكلام :

١ ـ طلبي .

٢ ـ ما يشبه الطلبي .

أما الأول فما كان أمراً أو نهياً أو حضاً أو استفهاماً أو تمنياً أو عرضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أرسله معنا غداً يرتعْ ويلعب ﴾ (يوسف : ١٢) ، فالفعل : يرتع وقع بعد الأمر ، وفي السياق معنى الشرط ، فكأنه قال : إن ترسله معنا غداً يرتع ويلعب . وتقول : لا تؤذِ الناس يحبوك . والمعنى : إلاَّ تؤذِ الناسَ يحبوك . ومن ذلك هذه الجمل : هلا سألته يُجِبْكَ . أين بيتُكَ أزُرْك . ليته عندنا يحدثْنا . ألا تنزلُ عندنا تُصِبْ خيراً .

على أن هذا يكثر مع الأمر خاصة ، وشواهده الفصيحة فوق أن يحاط بها ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يَخْلُ لكم وجه أبيكم ﴾ (يوسف : ٩) وقوله : ﴿ قاتلوهم يعذبْهم الله ﴾ (التوبة : ١٤) وقوله : ﴿ فاتبعوني يحبِبْكم الله ﴾ (آل عمران : ٣١) ، وقول الأحنف بن

قيس : « يا بني تميم تحابوا تجتمعْ كلمتكم ، وتباذلوا تعتدلْ أموالكم » .

وما ورد مع غير الأمر قليل جداً في شواهد اللغة الفصيحة ، كقول عنترة :

هلا سألتِ الخيلَ يا بنةَ مالكٍ　　إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
يُخْبِرْكِ من شهد الوقيعة أنني　　أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ

فقد جزم الفعل (يخبرك) لأنه جواب الطلب ، وهو التحضيض : هلاَّ سألت .

وواضح من هذه الشواهد أن معنى الشرط يجب أن يكون ظاهراً في العبارة ، وإلا فإن الجزم غير واقع ، تقول مثلاً : قل شعراً تصفُ به المعركة . فأنت هنا لا تشترط ، إذ ليس قول الشعر شرطاً لوصف المعركة ، ولذلك رفع الفعل المضارع : تصفُ .

أما الكلام الذي يشبه الطلبي فهو الذي يكون في ظاهره خبراً لا إنشاء ، ولكن معناه معنى الإنشاء ، كقولهم : « اتقى الله امرؤٌ ، وفعل خيراً ، يُثَبْ عليه » فالفعل : اتقى ، في ظاهره خبري ، أما معناه فإنشائي ، فكأنه قال : ليتقِ الله امرؤٌ ، وَليفعلْ خيراً يثب عليه .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ﴾ (الأنفال : ١٩) .

٢ ـ ﴿ وما تفعلوا من خير فلن تكفروه ﴾ (آل عمران : ١١٥) .

٣ ـ قال العباس بن مرداس :

إذْ ما أتيت على الرسولِ فقل له　　حقاً عليك إذا اطمأنَّ المجلسُ

٤ ـ قال لبيد بن ربيعة :

فأصبحتَ أنَّى تأتِها تلتبسْ بها　　كِلا مركبيها تحتَ رجلِكَ شاجرُ

٥ ـ قال جرير :

إمـا ثـويـتَ مقيمـاً فـوقَ رابيـة　　فقـد مضـت لـك أيـام لهـا غُـرَرُ

نصب الفعل المضارع

ينصب الفعل المضارع لفظاً أو تقديراً بواحدة من أدوات أربع ، هي : أن ، وكي ، ولن ، وإذن . نحو : لن يذهب الحر ، وأميل إلى أن تغادري المدينة ، ويجب أن نبذل ما نستطيع كي يبقى العِلْم في مأمن من الابتذال . فعلامة النصب في : يذهب ، ظاهرة ، وهي الفتحة ، والعلامة في تغادري ، حذف النون ، أما في الفعل : يبقى ، فعلامة النصب مقدرة على الألف ، لأنها يتعذر ظهورها نطقاً .

١ ـ الكلام على أدوات النصب

١ ـ أن :

هي أهم الأدوات الناصبة[1] ، وتبدو أهميتها في قدرتها على نصب المضارع ظاهرة ومضمرة ولذلك يسميها النحاة أم الباب .

وهي حرف مصدري يسبك منه ومن الفعل بعده مصدر ذو محل إعرابي ، قد يكون رفعاً ، مثل : ﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) فالمصدر هنا فاعل والتقدير : ألم يأنِ لهم خشوعُ قلوبهم . ومثله قول العرب : « أن تسمعَ بالمُعَيْدي خير من أن تراه » أي : سماعك ، فهو هنا مبتدأ ، وقد يكون المحل نصباً ، كقوله تعالى : ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ (المائدة : ٥٢) أي : نخشى إصابة دائرة إيانا . وقد يكون جراً ، مثل : أميل إلى أن أذهب . أي : إلى الذهاب .

---

(١) يزعم بعض النحاة أنها قد تجزم المضارع ويحتجون بقول امرىء القيس :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا ... تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب

ونقلوا ذلك عن بني صباح من ضبة ، وزعم آخرون أنه قد يرفع المضارع بعدها واحتجوا بقراءة ابن محيصن ﴿ لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة ﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

وتدل (أن) على المستقبل ، ولذلك تشير إلى أن الفعل بعدها لم يثبت ، ولم يقع ، وعلى هذا لا تجدها مسبوقة بأفعال تدل على اليقين ، لئلا يتناقض القول ، وأكثر ما تقع بعد أفعال تدل على الرجاء ، والخوف ، والرغبة ، وما شابهها ، كما مر في الأمثلة المتقدمة ، وقد تقع ـ وهذا قليل ـ بعد أفعال الظن والرجحان حين ترجع إلى معاني الخوف والرجاء ، كقوله تعالى : ﴿ أحسبَ الناس أن يتركوا ﴾ (العنكبوت : ٢) ، وقوله : ﴿ تَظُنُّ أن يُفْعَلَ بها فاقرة ﴾ (القيامة : ٢٥) ، وقوله : ﴿وحسبوا ألا تكونَ فتنة ﴾ (المائدة : ٧١) .

وقد تقع في أول الكلام غير مسبوقة بشيء ، كالمثل المشهور : أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وأن تصوموا خيرٌ لكم ﴾ (البقرة : ١٨٤) وقوله : ﴿ وأن تعفوا أقربُ للتقوى ﴾ (البقرة : ٢٣٧) .

٢ ـ كي :

وهذا حرف مصدري أيضاً ، ينصب الفعل المضارع ، ويخلصه للمستقبل ، ويكون المصدر المؤول منه ومن الفعل بعده في محل جر باللام ، ظاهرة أو مقدرة ، مثل : جئت لكي أراك . والتقدير : جئت لرؤيتك . وكذلك يكون التقدير إذا قلت : جئت كي أراك .

٣ ـ لن :

هي حرف نفي ونصب واستقبال ، وقد مر بنا الحديث عنه في أزمنة الفعل ، ومن شواهده ﴿ فلن أكلم اليومَ إنسيا ﴾ (مريم : ٢٦) ، ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾ (البقرة : ٩٥) .

٤ ـ إذن :

هي حرف جواب وجزاء واستقبال ، ولكنها ليست أصلية في نصب المضارع ، ومن أجل ذلك لا تقوى على نصب المضارع إلا بشروط ثلاثة :

١ ـ أن تكون في صدر الجملة . وهذا يعني أنها لا تسبق بمبتدأ يطلب ما بعدها خبراً له ، أو بأداة شرط ؛ أو بقسم ، يطلب ما بعدها جواباً له ،

وهكذا ، ولا يعني أنها يجب أن تقع في بداية كلام جديد غير مسبوق بشيء ، وهذا يوضحه لك مايلي من أمثلة :

١ ـ سأزورك . إذن أفرحَ بلقائِك .

فالكلام هنا محاورة بين اثنين ، قال الأول : سأزورك ، فأجابه الثاني : إذن أفرحَ بلقائك . وبهذا وقعت « إذن » في صدر الجملة ، ولم تسبق بشيء يطلب ما بعدها جُزْءاً منه .

٢ ـ لئن عدت إلي إذاً لا أستاءُ من عودتك .

« إذن » هنا لم تعمل ، لأنها سبقت بقسم : « لئن عدت » وهو يطلب ما بعدها جواباً له ، ومن أجل ذلك رفع المضارع ولم ينصب .

٣ ـ إن تتخلَّ عن العمل ، فأنت إذاً لا تشعرُ بالتبعة .

وكذلك لم تعمل هنا ، لأنها سبقت بمبتدأ ، وما بعدها خبره .

٢ ـ والشرط الثاني لعمل إذن هو أن يكون الفعل بعدها للمستقبل ، وهذا واضح في الأمثلة السابقة .

٣ ـ أما الشرط الثالث فهو ألا يَفْصِلَ بينها وبين الفعل المضارع إلا مايلي :

ـ القسم : مثل : إذن والله أفرحَ بلقائك .
ـ النداء : مثل : إذن يا خالدُ أفرحَ بلقائك .
ـ لا : مثل : إذن لا أخرجَ من البيت[١] .

٢ ـ نصب المضارع بـ « أن » مضمرة

قلنا : إن « أنْ » أم أدوات النصب ، وتفوقهن بأنها تنصب المضارع ظاهرة ومضمرة ، وقد استوفينا الحديث عنها فيما سبق ، والكلام هنا على الأدوات التي تضمر بعدها (أن) ، وتنصب المضارع ، غير أن إضمارها جائز مرة ، وواجب مرة أخرى .

(١) وزاد أحدهم جواز الفصل بشبه الجملة ، أي : بالظرف ، والجار والمجرور . وإذا لم ينصب الفعل المضارع بعدها أعربت : حرف جواب وجزاء . وكتبت بالتنوين لا بالنون .

آ ـ نصبه بـ « أن » مضمرة جوازاً :

ـ بعد لام التعليل :

وتسمى أحياناً لام (كي) ، ولام العاقبة ، كقولك : دخلت الحانوت لأشتري ما يلزمني . فاللام هنا لام التعليل أو لام كي ، لأنها تعلل الحدث الذي سبقها ، وقد أضمرت بعدها (أنْ) جوازاً ، ولنا أن نظهرها إذا شئنا ، كما تجد في قوله تعالى : ﴿ وأمِرْتُ لأنْ أكونَ أولَ المسلمين ﴾ (الزمر : ١٢) ، إلا أن هذا نادر جداً ، حتى إن بعض النحويين ظن أنه لم يأتِ في القرآن[١] ، هذا إذا كان الفعل غيرَ مقرون بـ « لا » النافية أو الزائدة ، أما إذا قرن بها فمن الواجب إظهار (أن) لدواعٍ صوتية ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكونَ للناسِ عليكمُ حُجَّة ﴾ (البقرةً : ١٥٠) ، وفي قوله : ﴿ لئلا يعلم أهلُ الكتابِ ﴾ (الحديد : ٢٩) فـ « لا » في الآية الأولى نافية ، وهي في الثانية زائدة .

أما قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً ﴾ (القصص : ٨) فاللام فيه ليست للتعليل ، لأن آل فرعون لم يلتقطوه من أجل أن يكون لهم عدواً ، ولكنه صار كذلك بعد التقاطهم إياه ونتيجة له ، وهذه تسمى لام العاقبة ، ومثلها قولك : دخل البيت ليرى ثعباناً هائلاً ، أي : رأى الثعبان بعد دخوله البيت .

ولام التعليل ، أو العاقبة ، حرف جر ، ومجروره هو المصدر المؤول الذي يسبك من (أن) والفعل الذي بعدها ، ويتعلق الجار والمجرور بالفعل الذي يعلله ، ونحو : جئت لأراكَ . فاللام حرف جر وتعليل ، والمصدر المؤول في محل جر باللام ، يتعلق بالفعل : جئت. وجملة « أراك » صلة موصول حرفي لا محل لها من الإعراب .

بعد أحرف العطف :

وهي الواو والفاء وثم وأو ، وذلك إذا وقع الفعل المضارع بعدها ، وكان العطف على اسم جامدٍ غير مشتق ، وغالباً ما يكون مصدراً صريحاً ، وقد يكون غير ذلك ، كقول ميسون :

---

(١) هو ابن يعيش ، انظر شرح المفصل : ٧/ ٢٨ .

وَلُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني أَحَبُّ إليَّ من لُبْسِ الشفوفِ

فالفعل : تقر ، وقع بعد حرف العطف ، وهو الواو ، وعطف على اسم جامد هو المصدر : لبس . ولذلك انتصب بأن مضمرة جوازاً ، أما المعطوف فهو المصدر المؤول منها ومن الفعل ، والتقدير : ولبس عباءة وقُرةُ عيني أحب إلي[1] . . .

ومثله قول أنس بن مُدْركة الخَثعمي :

إني وقتلي سُلَيْكاً ثم أعْقِلَهُ كالثورِ يُضْرَبُ لمَّا عافَتِ البَقَرُ

فكأنه قال : قتلي سليكاً ثم عقلي إياه . ومثله أيضاً قول الشاعر :

لولا توقعُ معترٍّ فأرْضِيَهُ ما كنتُ أوثرُ إترابا على تَرَبِ[2]

أي : لولا توقع معتر فإرضاؤه . ومنه قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسلَ رسولاً ﴾ (الشورى : ٥١) ، فالفعل : يرسل ، منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد (أو) لأن المصدر المؤول بعدها معطوف على المصدر الصريح : وحياً .

في هذه الشواهد كان المعطوف عليه اسماً جامداً ، هو المصدر الصريح ، وفي بعض الأحيان نجد المعطوف عليه غير مصدر ، كما ترى في قول الشاعر :

ولولا رجالٌ من رِزامٍ أعزَّةٌ وآلُ سبيعٍ ، أو أسوءَكَ عَلْقَماً

فالفعل : أسوءك ، منصوب بأن مضمرة ، والمعطوف عليه هو : رجال ، والتقدير : ولولا رجال والإساءة إليك ، لفعلت كذا وكذا .

والاستتار هنا جائز ـ كما قلنا ـ لا واجب ، فقد ظهرت (أن) في بعض النصوص ، على غرار ما تجد في قول أبي ذؤيب :

وقال ماشيهِمُ سِيَّانِ سيْرُكمُ وأن تقيموا[3] به واغبَرَّتِ السُّوحُ

(١) وتقر : الواو عاطفة ، تقر : فعل مضارع منصوب بـ « أن » مضمرة جوازاً تقديره : وأن تقر . والمصدر المؤول معطوف على « لبس » ، محله الرفع . وجملة (تقر . . .) صلة موصول حرفي لا محل لها من الإعراب .

(٢) المعتر : الفقير الذي يطلب المعروف . والإتراب : مصدر للفعل : أترب ، أي : استغنى ، والترب : العوز والفقر .

(٣) المصدر المؤول من « أن » وما بعدها في محل رفع ، معطوف على المصدر =

وفي قول جرير :

أباهلَ ما أحببتُ قتلَ ابنِ مسلمٍ   ولا أن تَروعوا قومكمْ بالمظالمِ

ب ـ نصبه بـ (أن) مضمرة وجوباً :

تضمر (أن) وجوباً بعد خمسة أحرف ، اثنان منها جاران ، هما : لام الجحود ، وحتى ، وثلاثة عاطفة ، هي : فاء السببية ، وواو المعية ، وأو .

١ ـ بعد لام الجحود :

هي حرف جر ، مجرورهُ المصدر المؤول الذي يسبك من (أن) المضمرة وجوباً والفعلِ بعدها ، ويسبق بفعل كون منفي بـ : « ما »، أو «لم»، مثل : ما كنت لأكذِبَ ، ولم يكن سعيد ليخون . والجار والمجرور يعلقان بخبر الفعل الناقص ، والجملة صلة موصول حرفي ، كما مر بنا في لام التعليل .

٢ ـ حتى :

و« حتى » في هذا الموضع حرف جر ، ومجرورها المصدر المؤول ، وتتعلق بالفعل الذي تكون غاية له ، ولها هنا أحد معان ثلاثة :

ـ إلى أن : نحو قوله تعالى : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى ﴾ (طه : ٩١) .

ـ إلا أنْ : كما ترى في قول الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحةً   حتى تجودَ[1] وما لديك قليل

أي : إلا أن تجود.

ـ التعليل : نحو قوله تعالى : ﴿ لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ﴾ (البقرة : ٢١٧) ، أي : ليردوكم .

ويشترط في الفعل المضارع بعدها أن يكون للمستقبل ، كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة ، وإذا فقد هذه الدلالة رفع ولم ينصب ، نحو قول حسان بن ثابت :

= « سيركم » . أي : سيانِ سيركم وإقامتكم . وماشيهم : صاحب الماشية .

(١) حتَّى : حرف غاية وجر . تجود : فعل مضارع منصوب بـ « أن » مضمرة وجوباً بعد « حتَّى » ، والجار والمجرور معلقان بـ « سماحة » أو بمعنَى النفي في « ليس » . وجملة (تجود) صلة موصول حرفي لا محل لها .

يُغْشوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم   لا يسألون عن السوادِ المقبلِ

فالفعل : تهر ، إنما يعبر عن عادة ألفها كلاب هؤلاء الكرماء ، وليس حدثاً طارئاً سيقع في المستقبل ، ولهذا رفع ، ولم تنصبه (أن) مضمرةً وجوباً . ومثله قول ذي الرمة :

لمن طلل عافٍ بوهبينَ راوَحَتْ   به الهُوجُ حتى ما تبينُ دواثِرُهْ

فقوله : تبين ، لم ينصب بأن مضمرة ، لأن الطلل الذي راوحته هوج الرياح بدا للشاعر في زمن التكلم خافيةً دواثره ، وإذاً ، فالفعل المضارع « تبين » لا يدل على المستقبل ، بل على الحال ، ولهذا كانت « حتى » حرف ابتداء ، وليست حرف جر .

على أنه قد يكون الفعل دالاً على المستقبل إذا قُرِنَ إلى حدث مذكور ، لا إلى زمن التكلم ، كما في قوله تعالى : ﴿ مستهم البأساء والضراء وزُلْزِلوا حتى يقولَ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله . . . ﴾ (البقرة : ٢١٤) . فالفعل : يقول ، وقع بعد حصول البأساء والضراء والزلزلة ، ولكنه لم يقع بعد زمن التكلم ، أو في زمنه . وفي هذه الحال يجوز رفع المضارع ، ونصبه .

٣ ـ بعد فاء السببية :

فاء السببية حرف عطف ، تعطف المصدر المؤول الذي يسبك من (أنْ) المضمرة والفعل بعدها ، على مصدر منتزع من الفعل الذي قبلها ، نحو : ﴿ ولا تَطْغَوْا فيه فَيَحُلَّ عليكم غضبي ﴾ (طه : ٨١) ، وتقدير الكلام : لا يكن منكم طغيانٌ فحلُّ غضبٍ مني .

وفاء السببية تدخل على جواب الطلب الذي تحدثنا عنه في الجوازم ، فتنصبه ، وإذا حذفت جزم الفعل ، لاحظ الأمثلة الآتية :

ـ لا تتكاسَلْ فتنجحَ	لا تتكاسلْ تنجح	إلا تتكاسلْ تنجحْ .
ـ ليته هنا فيحدثَنا	ليته هنا يحدثْنا	إن يكن هنا يحدثْنا .
ـ هل تدرس فتنجحَ	هل تدرسُ تنجحْ	إن تدرسْ تنجحْ .

وهكذا بقية أنواع الطلب ، كالأمر والحض والعرض ، إلى جانب ما مثلنا به من ضروب الطلب الأخرى ، كالنهي والتمني والاستفهام .

ويزيد هنا النفي مع الجملة الخبرية ، كقول الفرزدق :

مـا أنـت مـن قيـسٍ فتنبـحَ دونَهـا ولا من تميمٍ في الرؤوس الأعاظم

وكقوله تعالى : « لا يُقْضى عليهم فيموتوا » (فاطر : ٣٦) .

وإذا خلا الكلام من معنى الشرط والطلب ـ كما وضحنا ـ كانت الفاء استئنافية[1] ، والمضارع بعدها مرفوعاً على الاستئناف ، كقول جميل بثينة :

أَلَـمْ تسـألِ الـربـعَ القـواءَ فينطـقُ وهل تخبرنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ[2]

فالفعل : ينطق ، هنا مرفوع ، لأن الشاعر ، لا يجعل نطق الربع متوقفاً على السؤال ، ولا نستطيع أن نجعل العبارة شرطاً وجواباً ، أو طلباً وجواب طلب ، أي : لا يمكن أن نصوغ الجملة على الشكل الآتي :

إن تسأله ينطقْ . اسألْه ينطقْ .

ولو فعلنا هذا لخرجنا بالكلام عن المعنى الذي يريده الشاعر ، فهو يحث نفسه على سؤال الربع ، ولكنه صاغ الكلام بجملة استفهامية ، ثم أخبر نفسه بأن الربع مما ينطق ويتكلم ، ففي بقاياه ما يوحي بالحديث الذي تريد .

وعلى هذا قرئت الآية : ﴿ يا ليتني كنت معهم فأفوزُ فوزاً عظيماً ﴾ (النساء : ٧٣) بنصب الفعل : أفوز ، ورفعه ، ولكلٍ معنى مختلف ، أما قراءة الرفع فتجعل الفوز معطوفاً على (الكون) معهم ، فكأنه قال : يا ليتني كنت معهم ، ويا ليتني أفوز فوزاً عظيماً . أما قراءة النصب فإنها تجعل الفوز متوقفاً على كون المتكلم معهم ، ويمكن أن تصاغ على الشكل الشرطي الآتي : إن أكن معهم أفُزْ .

٤ ـ بعد واو المعية :

وهذه أيضاً حرف عطف ، كفاء السببية ، ويشترط فيها ما اشترط في مثيلتها من تقدم جملة طلبية أو منفية عليها ، ولكنها تختلف عنها من حيث المعنى ، فإذا قلت : لا تدرسْ وتستمعَ إلى المذياع . فأنت لا تطلب من المخاطب هنا أن يكف عن الدرس ، أو أن يكف عن الاستماع ، وإنما تطلب منه ألا يقوم بالعملين في وقت واحد ، وكذلك لو قلت : لا تأكلِ السمك وتشربَ اللبنَ . فأنت لا تنهاه عن أكل السمك ولا عن شرب اللبن ، ولكنك

---

(١) وقد تكون عاطفة كما سنرى بعد قليل في الآية : ليتني كنت معهم . . .

(٢) السملق : الأرض التي لا تنبت شيئاً ، أو المستوية الخالية .

تنهاه عن الجمع بينهما في وقت واحد ، ومثل هذا قول الأخطل :

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتيَ[1] مثله   عـار عليـك إذا فعلـتَ عظيـم

٥ ـ بعد أو :

هي حرف عطف كأختيها السابقتين ، وهي مثلهما تعطف المصدر المؤول على مصدر منتزع من الفعل السابق ، أما معناها فقد يكون (إلى أن) ، أو : حتى ، كقول الشاعر :

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدركَ المُنى   فمـا انقـادتِ الآمـالُ إلا لصـابـرِ

وقد يكون : إلا أن ، كقول يزيد بن الخذاق :

لـن تجمعـوا ودي ومَعْتَبَتـي   أو يُجْمَعَ السيفـانِ فـي غِمْـدِ

وقول زياد الأعجم :

وكنـتُ إذا غمـزتُ قنـاةَ قـومٍ   كسرتُ كعوبَها أو تستقيما[2]

إضمار « أن » في غير هذه المواضع

قد تضمر (أن) من غير أن تكون مسبوقة بحرف عطف ، أو حرف جر ، وفي هذه الحال يرفع الفعل المضارع ، كما في الأمثلة الآتية :

مره أن يحفرَ البئر .   مره يحفرُ البئرَ .

خذه قبل أن يأخذك .   خذه قبل يأخذُك .

أن تسمعَ بالمعيدي خير من أن تراه   تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .

ومن الفصيح الذي يؤيد هذا ماجاء في قول طرفة بن العبد :

ألا أيهـذا الـلائمي أحضُـرُ الـوغـى   وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلِدي

برفع : أحضر ، لسقوط (أن) قبلها . ووجهت الآية القرآنية الآتية مثل هذا التوجيه : ﴿ قل أفغيرَ الله تأمرونِّي أعبدُ أيها الجاهلون ﴾ (الزمر : ٦٤) .

---

(١) الواو واو المعية حرف عطف . تأتي : فعل مضارع منصوب بـ « أن » مضمرة وجوباً بعد الواو . والمصدر المؤول معطوف على مصدر الفعل السابق (تنهَى) ، أي : لا يكن منك نهي عن شيء وإتيان مثله .

(٢) كذا روى النحويون البيت ، بنصب : تستقيم ، وهو من قصيدة مضمومة الروي ، يكثر فيها الإقواء ، انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٧١/٢ .

أي : تأمرونّي بأن أعبدَ . ثم حذفت : أن ، فرفع الفعل بعدها .

على أنه روي بيت طرفة بنصب : أحضر ، وكذلك روي المثل العربي بنصب : تسمع ، بَيْدَ أن الرواية الصحيحة الثابتة هي الرفع .

شواهد للتدريب

١ ـ قال امرؤ القيس :

سريت بهم حتى تكلَّ مطيُّهم ... وحتى الجيادُ ما يقدن بأرسانِ

٢ ـ قال النابغة الذبياني :

أتاك بقولٍ لم أكنْ لأقولَهُ ... ولو كُبلتْ في ساعديَّ المجامعُ

٣ ـ قال الأبيرد اليربوعي :

فتىً لا يَعُدُّ الرِسْلَ يقضي ذِمامه ... إذا نزل الأضياف أو تُنْحَرَ الجُزْرُ

٤ ـ قال أبو محجن الثقفي :

ولا تدفنني بالفلاةِ فإنني ... أخاف إذا ما متُّ أنْ لا أذوقُها

* * *

الأفعال الناقصة

معظم الأفعال تشتق من جذور اسمية ، قد تكون مصادر ، وقد تكون أسماءً لحسيات ، وتحملُ معنَى هذه الجذور ، كما يتضح لك في الجدول الآتي :

الجذر		الفعل		المثال		المعنَى
تراب	—	ترِبَ	—	تربت يداك	—	لصقتا بالتراب
نجاح	—	نجحَ	—	نجح سمير	—	حقق النجاح
الصبح	—	أصبحَ	—	أصبح الناس	—	دخلوا في الصبح

ولكن بعض هذه الأفعال يتطور مدلوله لكثرة الاستعمال ، أو لملابساتٍ من الحياة والمجتمع ، وحينئذٍ يصير له استعمالان ، يؤدي كل منهما معنى خاصاً . ولتوضيح ذلك سندرس ثلاثة من الأفعال فقط لتكون نموذجاً عن أفعالٍ أخرى مثلها :

١ ـ الفعل « كان » مأخوذ من الجذر اللغوي « الكون » ، ويعني الوجود أو الحصول ، فهو يستعمل بهذا المعنَى الأصيل له ، فيقال : كأن شيئاً لم يكن . أي : لم يحصل . وهي في هذا الاستعمال تدل على الحدث وعلى الزمان ، كأي فعلٍ من أفعال اللغة العربية التامة .

ولما كان هذا الفعل لازماً ولا حاجة به إلى مفعول به أمكن أن يتم المعنَى في التركيب الذي لا يحتوي غير الفعل وفاعله ، تقول : كان النصرُ . أي : حصل . ومنه قول الشاعر يهجو :

وتفتح ـ لا كانت ـ فماً لو رأيتَه   تـوهمتَـه بـابـاً مـن النـار يفتـح

فقوله : «لا كانت » دعاء عليها ، ويعني : لا وُجِدَت . أو : لا خلقت . وفاعله ضمير مستتر تقديره : هي ، ومن هذا أيضاً قول عبد الله بن أبي عيينة :

ما لا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ   أبداً ، وما هو كائنٌ سيكونُ

ولكن هذا الفعل يستعمل استعمالاً آخر ، من دون أن يكون له معنى

جذره ، وهو الحصول أو الوجود ، كقولك :

كان سميرٌ صديقاً طيباً .

فهو هنا لا يفيد ما أفاده هناك ، بل اقتصرت دلالته على تحديد الزمان الماضي ، فأصل العبارة : « سمير صديق طيب » وهي جملة اسمية تامة الدلالة ، تدل على استقرار الصداقة في زمن عام ، فلما أريد تحديد الصداقة بالزمن الماضي جيء بالفعل « كان » لهذا الغرض ، فكأن « كان » أداة تلحق الجملة الاسمية لتقوم بوظيفة خاصة هي تحديد الزمان .

وفي هذه الحال لابد للفعل « كان » من شيئين : أولهما ما كان مبتدأ ، وثانيهما ما كان خبراً ، ولا يمكن أن يتم المعنَى منه ومن مرفوعه ، لأنه لم يعد صالحاً لأن يصير أحدَ طرفي الإسناد ، وهو كما قلنا يدخل على جملة اسمية جاهزة ، كما توضح لك كتابة الجملة السابقة على هذه الصورة :

كان + [سمير صديقاً طيباً]

٢ ـ والفعل « أصبح » مشتق من « الصبح » ، ومعناه معروف ، فإذا دل على معنَى جذره كان فعلاً تاماً ، كما رأينا في الجدول السابق ، وحينئذٍ يتم المعنَى منه ومن مرفوعه ، لأنه يكون طرفاً في الإسناد . ولكن إذا قلنا :

أصبح (سمير صديقاً لي)

تحول معناه إلى معنىً لا علاقة له بجذره ، لأنه يدل على معنَى الفعل « صار » ، ولا يمكن في هذه الحال أن يتألف منه ومن مرفوعه كلام تام .

٣ ـ والفعل « بَرِح » مأخوذ من « البرَاح » ، ويعني المغادرة ، كما ترَى في قول أبي ذؤيب :

فتلك التي لا يبرحُ القلبَ حبُّها ... ولا ذكرها ما أَرْزَمَتْ أم حائِلِ

فهو يعني : لا يغادر القلبَ حبُّها . ولكن إذا قلنا :

ما برح [سمير صديقاً طيباً]

عنينا شيئاً آخر ، هو استمرار صداقته الطيبة .

فإذا استعملت هذه الأفعال بمعاني جذورها كانت تامة ، وحين يصير لها في الاستعمال معانٍ أخرى كالدلالة على مجرد الزمان ، أو كالتحول ، والاستمرار ، تكون ناقصة .

وهذه الأفعال أربعة أقسام ، يؤلف كل قسم منها مجموعة خاصة تجمع

بين أفعالها خصائص معينة مشتركة، ثم تجتمع هذه الوحدات الأربع في سمات عامة كانت هي السبب في أن سماها القدماء أفعالاً ناقصة، فما هذه المجموعات؟

آ ـ « كان » وأخواتها

أفعال هذه الزمرة هي :

١ ـ كان ، صار ، أصبح ، أضحَى أمسَى ، بات ، ظل ، ليس .

٢ ـ مازال ، مابرح ، ماانفك .

٣ ـ مادام .

وهي نفسها ـ كما رأيت في توزيعها ـ ثلاث مجموعات ، يختلف بعضها عن بعض . فالمجموعة الأولى لا تحتاج إلى أداة نفي تلازمها كالمجموعة الثانية ، ولا إلى « ما » المصدرية كالفعل « دام » الذي يشكل بمفرده الوحدة الثالثة .

وبِنى المجموعة الأولى يسيرة لا تحتاج إلى مزيد من التوضيح ، أما الوحدة الثانية فلابد من شرحها .

قلنا : إنها تحتاج إلى أداة نفي تسبقها وتلازمها ، ولكن لا يشترط في هذا أداة خاصة ، فقد تكون « ما » النافية ، مثل : مابرح الشتاء قاسياً . وقد يكون غيرها ، كما توضح لك الأمثلة التالية :

ـ لايزال الشتاء قاسياً .

ـ لست تبرح ميالاً إلى العمل الجاد .

ـ الشتاء غير زائلٍ قاسياً .

وقد ينوب الدعاء ، والنهي ، مناب النفي في بعض التراكيب ، مثل :

ـ لازال خيرُك وافراً .

ـ لاتبرحْ مكباً على عملك .

فـ « لا » قبل « زال » أدت معنَى الدعاء ، في التركيب الأول ، وفي التركيب الثاني أدت معنَى النهي .

وفي بعض المواضع حذفت « لا » النافية لفظاً ، وبقي معناها ، ولاسيما بعد القسم ، كما نَرى في قول امريء القيس :

فقلتُ : يمينُ الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي : لا أبرحُ . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ تالله تفتأ تذكر يوسفَ ﴾ (يوسف : ٨٥) أي : لاتفتأ .

ومما حذفت منه من غير أن تقع بعد القسم قول خداش بن زهير :

وأبرحُ ما أدامَ الله قومي بحمد الله منتطقاً مجيدا

وتعرب هذه الأفعال كما يلي :

ما : نافية لا عمل لها .

زال : فعل ماض ناقص ، الخ . . .

ويظن بعض المعربين أن « مازال » كله فعل ناقص ، وهذا غير صحيح لأن المركبات لا تشكل كلمة واحدة إلا حين يفقد كل من جزأيها معناه الأصلي ، كما في « لولا » فأصلها : « لو » الامتناعية ، و« لا » النافية ، فلما . ركبتا فقد كل من الجزأين مدلوله السابق . أما « مازال » وأخواتها فإن « ما » لم تفقد معنَى النفي . أضف إلى ذلك أن « ما » قد تتحول إلى « لا » أو « لست » أو « غير » فهل يمكن أن يقال مثلاً إن « لستَ تبرحُ » كلها فعل ناقص واحد ؟ شيء ثالث هو أن النفي قد يتحول إلى نهي ، كما في قولنا : « لا تبرحْ مكباً على عملك » . فلو كانت « لا » جزءاً من الفعل لما كان هنا مسوِّغ لجزمه . وجزمه دليل على أن « لا » لاتزال محافظة على خصائصها الذاتية ، من حيث الدلالة والعمل .

وننتقل إلى الوحدة الثالثة وهي التي تتألف من فعل واحد هو « دام » . ولكنه لا يكون فعلاً ناقصاً إلا إذا لَصِقت به « ما » المصدرية الدالة على الزمان . كما ترَى في قول المتوكل الليثي :

فلست بزائلٍ مادمتُ حياً مُسِرّاً من تذكّرها هياما

وإعراب « مادمت » على الشكل التالي :

ما : مصدرية زمانية .

دمت : فعل ماض ناقص مبني على السكون . والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع ، اسم « دام » .

والمصدر المؤول من « ما » والفعل « دام » في محل نصب ، نائب عن ظرف الزمان ، معلق باسم الفاعل : زائل .

خصائص « كان » :

وتختص « كان » من دون أخواتها بسمات خاصة ، هي :

١ ـ أنها إذا تحولت إلى الفعل المضارع وجزمت جاز حذف نونها إذا وليها حرف متحرك ، وازن بين الجملتين :

ـ لم يكنْ أَخوك حذراً .

ـ لم يَكُ أَخوك حذراً .

ولا يراد من هذا الحذف إلا خفة النطق،ويعرب الفعل على هذه الصورة:

يَكُ : فعل مضارع ناقص ، مجزوم وعلامة جزمه السكون الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف .

٢ ـ وتزاد غالباً بلفظ الماضي بعد أداة التعجب « ما » مثل : ما كان أجملَ السماءَ ، وما كان أبهج أنوارَها . وقد تزيد بين شيئين متلازمين مثل : لم يوجد كان أعدلُ من عمر . وإن من أفضل الناس كان أخاك .

٣ ـ حذفها مع أحد معموليها :

وغالباً ما يكون الاسم هو المحذوف ، وذلك بعد « لو » و « إن » ، مثل : التمس ولو خاتماً من حديد ، أي : ولو كان الملتمس خاتماً من حديد ، ومثل : الناس مَجْزِيُّون بأعمالهم ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشر ، أي : إن كانت أعمالهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كانت شراً فجزاؤهم شر ، ويجوز أن تقول : إن خيرٌ فخيراً ، وإن شرٌ فشراً ، أي : إن كان فيها خير ، فإنهم يجزون خيراً . . . .

٤ ـ حذفها مع معموليها كليهما :

يقال : اقرأ هذا إمّا لا ، والأصل : اقرأ هذا إن كنت لا تقرأ غيرَهُ .

أفعال تامة تستعمل ناقصة :

وهناك أفعال تامة تستعمل في بعض الأحيان ناقصة ، وذلك إذا تحولت من المعنى الذي وضعت له ، إلى معنى الفعل الناقص : صار ، كقولك : عاد الدرسُ سهلاً ، فالفعل : عاد ، لا يعني الرجوع ، بل اتخذ معنى الفعل

الناقص الذي ذكرناه ، ومثله قول قيس بن رفاعة :

لتَرْجِعُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنةً لَهْوَ المقيمِ ، ولَهْوَ المدلجِ الساري

فلم يكونوا أحاديث ملعنة من قبل حتى يرجعوا إلى ما كانوا عليه ، ولكنه عنى أنهم سيصبحون كذلك ، وبهذا يكون الفعل « ترجعن » ناقصاً لا تاماً .

ب ـ أفعال المقاربة

دلالتها :

تدل على قرب وقوع خبرها ، وهي : كاد ، وأوشك ، وكرب ، مثل : كاد المطر يهطلُ . فالمطر لم يهطل ، ولكن هطوله بات قريباً متوقعاً ، وكذلك : أوشك المطر أن يهطل ، وكرب المطر يهطل .

٢ ـ خبرها :

خبر هذه الأفعال يختلف عن خبر (كان) وأخواتها ، فهو لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع مسند إلى ضمير يعود إلى اسمها ، كما في المثال السابق .

ويغلب أن يقترن المضارع بـ « أنْ »[١] ، في خبر (أوشك) ، مثل : أوشك المطر أن يهطل . ولا يقترن في خبر « كاد » و« كرب » إلا في ضرورة الشعر ، ويراه بعضهم قليلاً شاذاً ، وأكثر منه شذوذاً أن يأتيَ الخبر اسماً صريحاً ، كقول تأبط شراً :

فأبْتُ إلى فَهْمٍ وما كِدْتُ آئباً وكم مثلها فارقتها وهي تَصْفِرُ[٢]

(١) المصدر المؤول مفرد لا جملة ، ولذلك وقع النحاة في حيرة أمام هذا التركيب ، فذهب بعضهم إلى أنها ليست (أن) المصدرية التي تؤول مع الفعل بمصدر ، لئلا يكون الخبر مفرداً ، ولئلا يخبر بالمعنى عن اسم ذات ، فـ (أن) عندهم حرف ناصب يجعل زمن المضارع للمستقبل ، وقبل آخرون أن تكون مصدرية ، وقدروا مضافاً محذوفاً قبل المصدر المؤول ، مثل : أوشك المطر أن يهطل . أوشك المطر ذا هطول ، وفي العربية غير هذه من المحيرات .

(٢) رواية الحماسة : ولم أكُ آيباً . (المرزوقي : ١/ ٨٣) ....=

جـ ـ أفعال الرجاء

١ ـ دلالتها :

تدل هذه الأفعال على رجاء وقوع الخبر ، وهي : عسى ، وحرى ، واخلولق ، وهي أفعال جامدة ، ماضية اللفظ ، إلا أنها تدل على المستقبل في سياقها ، كقولك : عسى الله بعد النأي أن يقربنا . فالرجاء كان وقت التكلم ، والتقريب سيحدث في المستقبل(١) .

٢ ـ أخبارها :

إنها كأخبار أفعال المقاربة ، ولكن يقترن المضارع فيها بأن وجوباً بعد : حرى ، واخلولق وغالباً بعد (عسى) ، مثل : حرى المطر أن يهطل ، واخلولق ، الغيم أن ينكشف . و﴿ عسى الله أن يرحمكم ﴾ (الإسراء : ٨) ، هذا هو الفصيح المستقرى من لغة العرب ، إلا أنهم نقلوا ما يخالف ذلك ، كقول بعض العرب : عسى الغوير أبؤساً ، إذ جاء الخبر مفرداً ، فعدوا ذلك شاذاً(٢) .

د ـ أفعال الشروع

١ ـ دلالتها :

هي أفعال كثيرة تدل على الشروع في الفعل والبدء به ، أشهرها :

= . والرواية الي أثبتناها أرجح في المعنى .

(١) ذهب بعض النحاة إلى أن (عسى) حرف لجمودها ، ودلالتها ، فهي عندهم لا تختلف عن : لعل ، ويرد آخرون بأن الضمائر تلحقها كما تلحق الأفعال مثل: عسيتم ، ويرجح كثير منهم كونها حرفاً إذا وليها ضمير نصب ، كقول الشاعر:

فقلت عساها نارُ كأسٍ وعلها ... تشكى فآتي نحوها فأزورُها

(٢) قد تأتي (عسى واخلولق) تامتين ، وذلك إذا وليهما مصدر مؤول ، كقوله : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (البقرة : ٢١٦) والمصدر المؤول فاعل .

شرع ، وأنشأ ، وأخذ ، وهَبَّ ، وجعلَ ، وطفِق ، وقام ، وانبرى ، و . . . الخ .

وهي في الأصل أفعال تامة ذات معان خاصة ، يختلف بعضها عن بعض ، ولكنها تركت معانيها الخاصة ، وصارت ذات دلالة معنوية واحدة هي الشروع والبدء ، مثل : أخذ البحر يُزْبِد ، فطفق البحارة يعودون إلى الساحل .

٢ ـ أخبارها :

هي كأخبار أفعال المقاربة والرجاء ، ولكنها لا تقترن بـ « أنْ » البتة ، كقوله تعالى : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ (الأعراف : ٢٢) . ومثل ذلك قول عمرو بن أحمر الباهلي :

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يثقلني ثوبي ، فأنهضُ نهضَ الشاربِ الثَّمِلِ

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا موسى ﴾ (طه : ٩١) .

٢ ـ ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم ﴾ (يونس : ٢) .

٣ ـ قال أبو الأسود الدؤلي :

فإلاّ يكنْها أو تكنه فإنه أخوها غَذَتْه أمُّهُ بلبانها

٤ ـ قال النابغة الذبياني :

فإن أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَه وإن تَكُ ذا عُتْبى فمِثْلُك يعتب

٥ ـ قال أحد الأعراب :

عسى الله بعدَ النأي أن يصقب النوى ويُجْمَعَ شملٌ بعدها وسُرورُ

* * *

أحرف تعمل عمل الأفعال الناقصة

هذا الجزء لا بد منه في بحث الأفعال الناقصة ، لأنه متمم له ، على الرغم من أنه لا يتعلق بالفعل عامة . فهناك أربعة أحرف تعمل عمل الفعل الناقص « ليس » ، هي : ما ، وإنْ ، ولا ، ولاتَ . ودونك تفصيل الحديث عن كل منها .

١ ـ ما

تشبه « ما » ليس ، في المعنى ، فهي مثلها من حيث النفيُ ، ومن حيث الدلالةُ على الحال ، والكثير الشائع في استعمالها أن تقع الباء الجارة زائدةً في الخبر الذي يليها ، إذا لم ينتقض نفيها بـ « إلا » ، كقوله تعالى : ﴿ وما صاحِبُكم بمجنون ﴾ (التكوير : ٢٢) ، وقوله : ﴿ وما ربك بظلامٍ للعبيد ﴾ (فصلت : ٤٦) . وكقول امرىء القيس :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

وفي تراكيب قليلة جداً سقطت الباء من الخبر ، فاختلفت في إعرابه لهجات العرب ، إذ رفعه سكان نجد[1] ، ونصبه سكان الحجاز ، فمن اللهجة الأولى قول أشجع السُلَمي :

وما أنا من رُزْءٍ وإن جَلَّ جازعٌ[2] ولا بسرورٍ بعدَ موتِكَ فارحُ

وقول الآخر ، وهو مما رواه النحويون الثقات :

لشتانَ ما أنوي وينوي بنو أبي جميعاً فما هذانِ مستويانِ

ومن اللهجة الحجازية قوله تعالى : ﴿ وقلنَ حاشَ لله ، ما هذا بشراً ﴾

(١) وقيل : تهامة أيضاً . انظر القرطبي : ٢٧٩/١٧ .

(٢) ما أنا جازعٌ :
ـ ما : نافية لا عمل لها .
ـ أنا : ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .
ـ جازع : خبر المبتدأ ، مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

(يوسف : ٣١) وقوله: ﴿ ما هُنَّ أمهاتِهِمْ ﴾ (المجادلة : ٢) ، وقول الشاعر :

أبنـاؤهـا متكنفـون أبـاهُـمُ حَنِقو الصدورِ وما هم أولادَها(١)

وقول عمار الكلبي :

ما كل قولي مشروحاً لكم ، فخذوا ما تعرفون ، وما لم تعرفوا فدعوا

أما اللغة النجدية فليس فيها شيء يحتاج إلى تفصيل ، ولا تدخل في بحث الأفعال الناقصة ، ولذلك تحدث النحاة عن اللغة الحجازية ، واستقروها ، فوجدوا أن « ما » فيها تعمل عمل « ليس »(٢) ، ولكنها لم تبلغ مبلغها من القوة ، ومن أجل هذا لابد لها من شروط تستوفيها الجملة الاسمية بعدها حتى تتمكن من العمل ، فما هي ؟

١ ـ ألا يتقدم الخبر على الاسم :

كما رأيت في الآيتين السابقتين ، أما إذا تقدم الخبر وتأخر الاسم ، فإن « ما » لا تقوى على العمل ، كقولك : ما بخيلٌ أخوك(٣) ، وماصعبٌ عملك . وما مسيءٌ مَنْ أعتبَ .

٢ ـ والشرط الثاني ألا ينتقض نفيها بـ « إلا » :

وذلك واضح في الأمثلة المتقدمة التي عملت فيها ، وإذا انتقض نفيها بطل عملها ، كما هو واضح في قوله تعالى : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ﴾ (آل عمران : ١٤٤) ، وقوله : ﴿ ما أنتم إلا بشرٌ مثلُنا ﴾ (يس : ١٥) .

٣ ـ والشرط الثالث ألا تقع بعدها « إن » الزائدة خاصة :

---

(١) الضمير في (أبناؤها) يرجع إلى الكتيبة . والأب هنا : القائد .

(٢) هذا مذهب البصريين ، أما الكوفيون فيرون أن الخبر نصب على إسقاط الباء الجارة . انظر معاني القرآن للفراء : ٢/ ٤٢ .

(٣) ما : نافية لا عمل لها . بخيل : خبر مقدم . أخوك : مبتدأ مؤخر مرفوع . وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة . والكاف : ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر . مضاف إليه .

دون غيرها من الزوائد ، فإذا وقعت بطل عملها ، كما ترى في قول لشاعر :

بنـي غُـدانـة مـا إن أنتـم ذهـبٌ ولا صريفٌ ولكن أنتم الخزفُ

واختلف النحويون في عمل « ما » حين يكون الخبر بعدها مجروراً بالباء الزائدة ، وهو الغالبُ عليه ، كما قلنا ، فذهب بعضهم ، كأبي علي الفارسي ، والزمخشري ، إلى أنها في هذه الحال عاملة عمل « ليس » وجوباً ، لأن الباء ـ في زعمهما ـ لا تزاد في خبر (ما) المهملة ، وذهب آخرون إلى أن زيادة الباء في الخبر جائزة بعد (ما) المهملة ، والعاملة .

وما ذهب إليه الفريق الأول ليس بشيء ، وعلة ذلك أن الباء تزاد في الخبر المنفي لا الخبر المنصوب ، ويوضح لك مايلي هذه الظاهرة :

١ ـ نجد الباء في النصوص المنقولة عن لغة نجد ـ وهي التي لا تُعمل « ما » ـ زائدةً في الخبر ، كقول الفرزدق التميمي :

لعمـرك مـا مَعْـنٌ بتـاركِ حقِـه ولامنسـيءٌ مَعْـنٌ ولا متيسـر

٢ ـ ونجد الباء كذلك زائدةً في خبر (ما) التي بطل عملها ، كزيادتها في الخبر المتقدم على الاسم ، نحو قول الشاعر :

أمـا والله أنْ لـو كنـتَ حـراً ومـا بـالحـرِ أنـت ولا العتيـقِ

وكزيادتها بعد (ما) التي زيدت بعدها (إنْ) ، كما في قول المتنخل الهذلي :

لعَمْـرُكَ مـا إن أبـو مـالـكٍ بِـــواهٍ ولا بضعيـــفٍ قُـــواه

٣ ـ وأقوى من هذه الأدلة أن الباء تزيد في الخبر المنفي ، بعد أداةٍ غيرِ عاملة بإجماع النحويين ، كالأداة « هل » حين تتضمن معنى النفي ، وهذا واضح في قول الفرزدق :

يقول إذا اقلولى عليها وأقردت ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم[1]

من هذا كله يتبين لنا أن الباء لا تجزم بعمل « ما » لأنها تزاد ـ كما قلنا ـ في الخبر المنفي لا في الخبر المنصوب .

---

(١) الضمير المستتر في « يقول » يرجع إلى الرجل الكليبي ، واقلولى : علا ظهر الأتان . أقردت : لصقت بالأرض .

٢ ـ « إنْ » النافية

الاستعمال الكثير لهذا الحرف أن يأتي منتقضاً نفيه بـ « إلا » ، كقوله تعالى : « إن هذا إلا مَلَكٌ كريم » (يوسف : ٣١) ، وقوله : ﴿ إن أنتم إلا بشرٌ مثلُنا ﴾ (إبراهيم : ١٠) ، ولكن جاءت في تراكيبَ قليلة من دون أن ينتقض نفيها ، فعملت عملَ « ليس » ، لأنها تشبهها في نفي الحال على غرار ما وجدنا في « ما » .

ولابد لها من أن تستوفيَ شرطين من الشروط الثلاثة التي مرت بنا في بحث « ما » حتى تقوى على العمل ، هما :

١ ـ ألا يتقدم الاسم على الخبر .

٢ ـ ألا ينتقض نفيُها بـ « إلا » .

وكلاهما مستوفى في قول الشاعر :

إنِ المرءُ ميْتاً[1] بانقضاءِ حياتِهِ ولكنْ بأنْ يُبْغى عليه فيُخْذلا

وفي قول العرب : إنْ ذلك نافعَك ولا ضارَّك ، وإنْ أحد خيراً من أحد إلا بالعافية .

٣ ـ « لا » النافية

وهذا حرف ثالث يعمل عمل « ليس » ولكن بقلة وندرة بالغتين ، ولم يسمع إلا في الشعر ، على حينَ سمع عمل الحرفين السابقين في الشعر والنثر ، وقد يرجع ذلك إلى أن شَبهَ « لا » بـ « ليس » ضعيف ، لأنها للنفي مطلقاً ، وليست لنفي الحال فحسب ، ولم يسمع عملها في الخبر صراحةً إلا في بيت واحدٍ لشاعر غير معروف ، هو قوله :

(١) إن : نافية تعمل عمل (ليس) . المرء : اسمها المرفوع . ميتاً : خبرها المنصوب . وحين لا تعمل كما في : إن هذا إلا ملكٌ . يقال : إن : نافية لا عمل لها . هذا : ها للتنبيه ، وذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ . إلا : أداة حصر . ملك : خبر مرفوع .

تَعَزَّ فلا شيءٌ على الأرضِ باقيا ولا وَزَرٌ مما قضى الله واقيا

ولكنهم قدروا خبراً منصوباً في قول سعد بن مالك :

مَـنْ صَـدَّ عـن نيـرانِهـا فـأنـا ابـنُ قيـسٍ لا بـراحُ

ولابدَّ من استيفائها ثلاثةَ شروط حتى يصح عملها على قلته ، هي :

١ ـ ألا ينتقضَ نفيها بـ « إلا » .

٢ ـ ألا يختل ترتيب الاسم والخبر بعدها .

٣ ـ أن يكون اسمها وخبرها نكرتين ، وهذا لم يُشترط في عمل « ما » و« إن » ، كما رأيت . إلا أنهم سمعوا ما يخالف هذا الشرط ، كقول النابغة الجعدي :

وحلتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغياً سِوَاها ، ولا عن حبها متراخيا

ولهذا نزعت طائفة من النحويين إلى إلغاء شرط التنكير ، لأنهم رأوا تساويَ المسموع في تعريف الاسم وتنكيره ، أما القياس الذي عاذ به دعاة الشرط الثالث فلا يكفي وحده في بناء قواعد اللغة .

٤ ـ « لات » النافية

وهذا حرف رابع قل استعماله في اللغة القديمة ، ولعله انقرض في اللغة الحديثة ، وقد اختلف النحاة في طبيعته ، واشترطوا فيه ما لم يشترطوا في الأحرف السابقة ، إذ لا بد أن يكون اسمه وخبره من أسماء الأحيان ، نحو : حين ، وساعة ، وأوان ، كقوله تعالى : ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ فنادَوْا ولاتَ حينَ مَنَاص ﴾ (ص : ٣) ، وكقول محمد بن عيسَى التميمي ، أو المهلهل بن مالك الكِنَاني :

ندمَ البغاةُ ولاتَ ساعةَ مندمٍ والبغيُ مرتـعُ مبتغيـهِ وخيـمُ

أي : وليس الحينُ حينَ مناصٍ ، وليست الساعةُ ساعةَ مندم .

* * *

فعلا التعجب

التعجب هو أن يظهر المتكلمُ استعظامه لشيء فتن به وأعجبه ، ولا يعبّر عنه بكلماتٍ لغوية فقط ، بل يرفقها بحركاته ، وتقاطيعه ، ونظراته ، وانخفاض صوته أو ارتفاعه ، وطريقة نبره للحروف حتى يفهم السامع ، وينقل إليه ما يحسُّ به من استعظام .

وعلى هذا كانت عباراته كثيرة ومتنوعة ، فأحياناً تنتقل الصيغة الاستفهامية إلى التعجب بلهجة المتكلم ، من ذلك قول الأعشى :

بانت لتحزُننا عفاره يا جارتا ، ما أنت جارَه !

ومثله قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ ، (البقرة : ٢٨) ، وأحياناً أخرى تنتقل الجملة الإخبارية إلى التعجب ، كقول العرب : لله دَرُّه[1] ! ولله أنت !

إلا أن العربية تحوي صيغتين قياسيتين تستعملان في التعجب ، إلى جانب ما ذكرناه من عبارات سماعية ، دلَّ على معنى التعجب فيها السياق ، وهما :

١ ـ ما أفعله ، مثل : ما أعظمَ البحرَ ، وما أجمله .

٢ ـ أفعل به ، مثل : أعظِمْ بالبحر واجمِلْ به .

١ ـ شروط صياغتهما

ويصاغ هذان الفعلان من الأفعال على أن تجتمع فيها الشروط التالية :

١ ـ أن تكون ثلاثية :

فمن الفعل « كَرُم » تقول : ما أكرمَ فلاناً ، أو أكرمْ به . ومن عَظُمَ :

(١) لله : اللام حرف جر . ولفظ الجلالة اسم مجرور باللام . والجار والمجرور معلقان بخبرمقدم محذوف . دره : مبتدأ مؤخر . والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه .

ما أعظمه ، أو أعظم به . أما الفعل : دحرج ، فلا يصاغ منه فعلا التعجب ، لأنه ليس بثلاثي . ويستوي هنا الرباعي المجرد ، والثلاثي المزيد فيه ، فلا يصاغ التعجب من : اقشعرّ ، وانطلق ، واستغفر ، و . . . .

٢ ـ أن تكون متصرفة :

كالفعل : كَرُم ، فهو في المضارع : يكرم ، وفي الأمر : أكرِمْ ، ومثله : عظم يعظم أعظم ، أما الفعل : ليس ، فلا يأتي منه التعجب ، لأنه جامد ، لا يأتي منه المضارع والأمر ، ومثله نِعْمَ ، وبِئسَ ، وعَسى .

٣ ـ أن تكون تامة :

أي : ليست من الأفعال الناقصة ، فلا يصاغ فعلا التعجب من : كان ، وأصبح ، وظل ، وكاد ، وأوشك ، و . . . .

٤ ـ أن تكون مثبتة :

فلا يبنيان من الأفعال المنفية ، مثل : ما كرم فلان . لأن النفي لا يبين في الصيغتين التعجبيتين ، إذا صيغتا من الفعل صياغة مباشرة .

٥ ـ أن تكون مبنية للمعلوم :

فالأفعال : ضُرب ، تُوفي ، عُلِم ، مبنية للمجهول ، ولذلك لا يصاغ منها فعلا التعجب .

٦ ـ أن تكون معانيها قابلة للتفاوت :

فالفعل « مات » لا تفاوت فيه ، ومثله « فني » ، فلا يصاغ منهما فعلا التعجب . أما الفعل : كرم ، فقابل للتفاوت ، فهناك كريم ، ومن هو أكرم منه ، ومثله : عظم ، وحَسُنَ ، وعلم ، و . . .

٧ ـ ألا تكون الصفة منها على وزن أفْعَل :

فلا تجوز صياغتهما من الفعل « عرج » لأننا إذا أردنا أن نصف إنساناً بالعرج قلنا : أعرج ، ومثله : عمي ، لأن الوصف منه : أعمى ، وحَوِر ، لأن الوصف : أحور . أما الفعل : كَرُمَ ، فالصفة منه : كريم ، ليست على وزن أفعل ، ولذلك جاز أن نقول : ما أكرمَه ، وأكرم به ، ولم يجز أن نقول : ما أعماه وأعمِ به ، وما أعرجه وأعرج به .

٢ ـ التعجب مما خالف الشروط

على أن اللغة العربية تستعمل للتوصل إلى التعجب مما خالف الشروط أسلوباً آخر يؤدي المعنى المطلوب ، وذلك كمايلي :

١ ـ إذا كان الفعل غير ثلاثي ، أو كان الوصف منه على وزن « أفعل » نأتي بمصدره ، وننصبه بعد صيغة تعجب نصوغها من فعل تمت له الشروط ، وغالباً ما تكون إحدى هذه الصيغ : ما أشد ، ما أكثر ، ما أعظم . فالفعل دحرج ، مثلاً ، رباعي مجرد ، وللتعجب منه نقول : ما أكثر دحرجتَه . والفعل : عرِج ، الوصف منه على « أعرج » نقول في التعجب منه : ما أشدَّ عَرَجَ فلانٍ . وهكذا نفعل في : انطلق ، عمي ، استغفر ، حَمِر . .

٢ ـ وإذا كان الفعل منفياً ، أو ناقصاً ، أو مبنياً للمجهول ، تُسلك معه الطريقة نفسها ، إلا أن المصدر هنا يجب أن يكون مؤولاً لا صريحاً ، مثل : ما أصعب ألا يأتي فلان ، ما أجمل أن يكونَ سعيد بيننا ، وما أكثرَ ما يُضربُ المؤذي .

٣ ـ أما إذا كان الفعل جامداً ، أو غير قابل للتفاوت ، فلا يتعجب منه البتة .

٣ ـ صيغة : ما أفْعَلَهُ

تتألف هذه الصيغة من ثلاث كلمات ، هي :

١ ـ ما : وهي أداة التعجب ، وتعرب : نكرة تامة بمعنى شيء ، مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ .

٢ ـ أفْعَلَ : وهو فعل ماض جامد لإنشاء التعجب ، وفاعله يستتر فيه وجوباً ، وتقديره « هو » على غير القياس المعروف ، وجملته الفعلية في محل رفع ، خبر المبتدأ « ما » .

وسمع تصغيره لأنه أشبه الأسماء بجموده ، قال الشاعر :

يا ما أميلحَ غِزلاناً شدَنَّ لنا ... من هؤلياءِ بين الضالِ والسَّلمِ

٣ ـ الاسم المنصوب : وهو مفعول به لفعل التعجب ، مثل : ما أكرم فلاناً . وقد يكون مصدراً مؤولاً مثل : ما أجمل أن نلتقي ، وتأويله : ما أجمل التقاءنا ، وقد يحذف للعلم به ، كقول امريء القيس :

أرى أم عمرٍو دمعها قد تحدَّرا ... بكاءً على عمرٍو وما كان أصبرا

أي : ما أصبرها .

٤ ـ صيغة : أفعِلْ به

تتألف هذه من :

١ ـ أفْعِلْ : وهي فعل ماض جامد جاء على صيغة فعل الأمر .

٢ ـ الباء : وهي حرف جر زائد .

٣ ـ والمجرور بها : وهو اسم أو ضمير ، ويكون جره لفظاً فقط ، أما محله فالرفع ، على أنه فاعل لفعل التعجب ، كقول ذي الرمة :

سَرَت تخبط الظلماءَ من جانبيْ قَساً[1] فأحبِبْ بها من خابط الليلِ زائرِ

ففعل التعجب فيه « أحبب » ، و« بها » الباء زائدة ، و« ها » في محل رفع ، فاعل لفعل التعجب . وقد جاءت كما ترى ضميراً متصلاً من ضمائر النصب والجر ، لأنها معمولة لحرف الجر الزائد ، وقد نابت عن ضميرٍ من ضمائر الرفع . وإذا قلت : أكرم بفلان . أدى قولك معنى : ما أكرم فلاناً . على أن الفاعل المجرور بالباء الزائدة يجوز حذفه إذا عطف عامله على نظيرٍ له ، كما في قوله تعالى : ﴿ أسمع بهم وأبْصر ﴾ (مريم : ٣٨) أي : وأبصر بهم ، وجاء محذوفاً في الشعر من غير أن يكون عامله معطوفاً على نظيره ، فعدَّه النحاة شاذاً ، كما في قول عروة بن الورد :

فــذلــك إن يلــقَ المنيــةَ يلقَهــا ... حميداً ، وإن يستغْنِ يوماً فأجْدِرِ

وتقديره : فأجدر به .

---

(١) قساً : اسم موضع .

٥ ـ أحكام فعلي التعجب

١ ـ يشترط أن يكون المتعجب منه معرفة ، أو نكرة مختصة ، نحو : ما أكرم سعيداً ، وأكرم بسعيدٍ ، وما أحسنَ رجلاً ينفعُ غيره . وأحسن برجل ينفع غيره . ولا يجوز أن تقول : ما أعظم رجلاً ، وأعظم برجلٍ .

٢ ـ لا يتقدم معمول فعل التعجب عليه ، فلا يقال : سعيداً ما أكرمَ ، وبسعيد أكرِمْ .

٣ ـ لا يجوز أن يفصل بين العامل والمعمول في صيغتي التعجب بغير شبه الجملة التي تتعلق بفعل التعجب نفسه ، كقولك : ما أقبح بالرجلِ أن يكذبَ ، ومنه قول أوس بن حجر :

أقيم بدار الحزمِ مادام حَزْمُها ... وأحْرِ إذا حالتْ بأنْ أتحوّلا

٤ ـ لا يجوز تصرف فعلي التعجب ، لأنهما جامدان ، وعلة الجمود تضمنهما معنى حرف التعجب .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار ﴾ . (البقرة : ١٧٥) .

٢ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

« لله دَرُّ بني سُلَيم ، ما أحسن في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللزبات عطاءها ، وأثبت في المكرمات بقاءها » .

٣ ـ قال شُقران مولى سلامان :

أولئك قومي بارك الله فيهمُ ... على كل حال ما أعف وأكرما

* * *

أفعال المدح والذم

هي أفعال جامدة لا تكون إلا بصيغة الماضي ، يستعملها العربي إذا أراد أن يمدح شيئاً أو يذمه ، وهي : نِعْمَ ، وبِئسَ و وحَبَّ ، من قولنا : حبذا . وإذا دخلت « لا » النافية على الفعل الأخير كان للذم .

١ ـ نعم وبئس

تتألف جملة المدح أو الذم التي يدخل فيها هذان الفعلان من عناصر ثلاثة ، هي : الفعل ، والفاعل ، والمخصوص بالمدح أو بالذم ، نحو : بئس العملُ عملك . ونِعم الرجلُ أنت . فالعمل والرجل فاعلان ، وعملك ، مخصوص بالذم ، وأنت مخصوص بالمدح ، ولنتحدث الآن عن كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة .

آ ـ الفعل :

اشتق الفعل : نعم ، من النِعمة ، وبئس ، من البؤس ، وكانا في الأصل : نَعِم يَنْعَمُ ، وبِئِس يَبْأسُ . إلا أنهما نقلا من هذا المعنى إلى مجرد المدح أو الذم فضارعا بذلك الحروف ، فجمدا وتغير لفظهما ، فسكنت العين والهمزة بعد كسر ، فصارا : نِعْم ، وبِئْس . ويُستعملان متصرفين ، فلا يكونان للمدح أو الذم ، فيقال : نَعِم فلان ينعم ، وانعَمْ بما قسم لك ، وبئس فلان يبأس . ويقال : ابأس .

والفعلان كلاهما لا يدلان على الزمان والحدث ، إذا كانا لإنشاء المدح والذم ، ولكنهما سُميا ماضيين لثلاثة أدلة ، الأول : أنهما على صيغة الماضي ، والثاني : أنهما مبنيان على الفتح مثله ، والثالث : أنهما يقبلان تاء التأنيث ، كما في الحديث : « من توضأ يومَ الجمعةِ فبِها ونِعْمَتْ »[1] .

---

(١) يدعي جمهور المتأخرين من النحاة أن الفراء يذهب إلى أن : نعم وبئس ، اسمان ، لا فعلان ، وهذا وَهَمٌ سرى إليهم من عدم قراءتهم كتبه ، ونقلهم =

ب ـ الفاعل :

وفاعل هذين الفعلين له صفاتٍ خاصة لا تُشترط في فاعل الفعل الطبيعي ، وهذه الشروط هي :

١ ـ يجب أن يكون مُحلى بـ « أل » الجنسية ، مثل : نعم الرجلُ أنت . فقولنا : الرجل ، ليس معرفة ، لأننا لم نقصد به رجلاً معيناً ، فكأننا قلنا : أنت ممدوح من جنس الرجال . وكذلك لو قلنا : نعم التلميذ خالدٌ . وتحدث النحاة عن إتباع هذا الفاعل ، أيجوز وصفه وتوكيده والبدل منه وعطف البيان ؟ فاتفقوا على منع توكيده توكيداً معنوياً ، وعلى جواز توكيده توكيداً لفظياً . فلا يقال : نعم الرجل نفسه زيد ، ويقال نعم الرجل الرجل زيد . لأن « أل » الجنسية تفيد مجموع الجنس ، فإذا قلت ، نفسه ، خالفت معنى الجمع المقصود ، وإذا قلت : أنفسهم أو كلهم ، خالفت اللفظ الذي جاء بصيغة المفرد . أما البدل وعطف البيان فأجازهما بعضهم بشرط أن يكونا معرفين بأل أو مضافين إلى ما عرف بها ، واختلفوا في الصفة ، فمنع بعضهم أن يوصف الفاعل ، وأجازه آخرون ، واحتجوا بقول يزيد بن قنافة العدوي :

لعمري ، وما عمري عليٍّ بهين لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتمُ

وبقول زهير :

نعم الفتى المريُّ أنت إذا هُم حضروا لدى الحجرات نارَ الموقدِ

٢ ـ أو أن يكون مضافاً إلى اسم محلى بأل الجنسية ، كقوله تعالى : ﴿ ولنعم دارُ المتقين ﴾ (النحل : ٣٠) ﴿ فلبئس مَثوى المتكبرين ﴾ (النحل : ٣٩) .

٣ ـ أو أن يكون مضافاً إلى ما أضيف إلى معرف بها كقول أبي طالب :

فِنعمَ ابنُ أختِ القومِ غير مكذَّبٍ زهيرٌ ، حُساماً مفرداً من حمائِلِ[1]

= بعضهم عن بعض ، فقد صرح غير مرة بأنهما فعلان في كتابه : معاني القرآن ، انظر إذا شئت : ١/٥٦ ـ ٥٧ ، و٢/١٤١ ـ ١٤٢ .

(١) وجاء في قصيدة لكثيّر بن عبد الله المعروف بابن الغريرة ، أو لغيره ممن يحتج به لقدم عهده ، في مقتل عثمان بن عفان :

فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم وصاحبُ الركب عثمانُ بنُ عفانا=

٤ ـ ويجوز أن يُضمر ويُفَسر بتمييز ، كقوله تعالى : ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾ (الكهف : ٥٠) ومنه قول زهير :

نعم امرأً هَرِمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ إلا وكـان لمـرتـاعٍ لهـا وزَرا

وقد يجتمع الفاعل والتمييز ، كما في قول جرير :

تـزوَّدْ مثـلَ زادِ أبيـك فينـا فنعـم الـزادُ زادُ أبيـكَ زادا

وسُمع قولهم في النثر : نعم القتيلُ قتيلاً أصلح بين بكر وتغلب .

٥ ـ وقد يكون التفسير بـ « ما » ، وهي نكرة بمعنى شيء ، في موضع نصب لأنها تمييز ، كقوله تعالى : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنِعِمّا هي ﴾ (البقرة : ٢٧١) والتقدير : فنِعْمَ شيئاً هي[1] . وقد يحذف بعدها المخصوص ، كقوله : ﴿ نِعِمّا يعظكم به ﴾ (النساء : ٥٨) والتقدير : نِعْمَ شيئاً ما يعظكم به .

جـ ـ المخصوص بالمدح أو الذم :

وهو الممدوح أو المذموم ، كقولنا : نعم الرجلُ زهيرٌ ، فزهير هو الممدوح ، ومثل : بئس العمل هذا ، فاسم الإشارة هو المذموم .

ولك في إعرابه أحد وجهين ، الأول : مبتدأ ، وجملة المدح أو الذم خبره ، والثاني : خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره : الممدوح زهير ، أو المذموم هذا . ورجح ابن الشجري في أماليه الوجه الأول ، لكثرة حذفه في الكلام ، وحذف المفرد أسهل من حذف الجملة ، والواقع أنه لم يرد في معظم آيات القرآن المخصوص بالمدح أو الذم .

٢ ـ ما يلحق بنعم وبئس

ويلحق بهذين الفعلين الفعل : ساءَ ، فيفيد الذم ، ويكون فاعله في هذه الحال كفاعليهما ، والمخصوص فيه كمخصوصيهما ، نقول : ساء الرجلُ خالدٌ . وساء رجلاً خالدٌ .

وكذلك يمكن أن يُحوَّل كل فعل ثلاثي صالح للتعجب إلى صيغة :

= فأضيف فاعل « نعم » إلى نكرة .

(١) يعربها بعضهم فاعلاً ، ويقدرها بالشيء .

فَعُلَ ، فيكون ملحقاً بهما ، وتطبق عليه أحكامهما ، مثل : عظُمَ الرجلُ زيدٌ ، وخَبُثَ الإنسانُ خالدٌ . ونقول : عظُمَ رجلاً زيد ، وخُبث إنساناً خالدٌ .

٣ ـ حبذا

وهذا فعل يستعمل للمدح ، إلا إذا دخلت عليه « لا » النافية ، فحينئذٍ يتحول إلى معنى الذم ، قالت أم شملة المنقري :

ألا حبذا أهلُ المَلا ، غير أنه   إذ ذكِرَتْ مَيٌّ ، فلا حبذا هيا

ففي الشطر الأول مدحت أهلَ الملا ، وفي الشطر الثاني ذمت مَيّاً .

وتتألف جملة هذا الفعل من : الفعل « حَبَّ » ، والفاعل « ذا » ، والمخصوص بالمدح أو بالذم(١) . والمخصوص مبتدأ مؤخر ، خبره جملة المدح أو الذم قبله .

وذا فيه اسم إشارة ، يلازم الإفراد والتذكير مهما يكن المخصوص ، عدداً وجنساً ، تقول : حبذا هندٌ وحبذا الطالبات ، وحبذا الطلاب ، وحبذا الطالبان .

وقد يأتي في جملة المدح أو الذم اسم منصوب ، مثل : حبذا الصبرُ شيمةً ، فيعرب تمييزاً(٢) .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ والملائكةُ يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبى الدار ﴾ (الرعد : ٢٣ ـ ٢٤) .

٢ ـ قال زهير بن أبي سلمى :

يميناً لنعمَ السيدان وُجِدْتُما   على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ

---

(١) ذهب المبرد وتلميذه ابن السراج والسيرافي إلى أن : حبذا ، كلها اسم واحد مرفوع على الابتداء وما بعده خبره .

(٢) يرى بعض النحويين أنه إذا كان مشتقاً أعرب حالاً .

٣ ـ قال زياد بن حمل أو غيره :

لا حبذا أنت يا صنعاءُ من بلدٍ ولا شعوبُ هوىً مني ولا نُقُمُ[١]

* * *

(١) شَعوب ونقم : موضعان في اليمن .

أسماء الأفعال

هي أسماء سميت بها الأفعال ، فدلت على معانيها ، وشابهت بعضها ـ كالأمر والماضي ـ في أنها تعمل في غيرها ، ولا يعمل غيرها فيها .

وهي مع ذلك أسماء ، لأنها تحمل بعض علامات الاسم ، فمنها ما ينون ، كتنوين « أف » في قوله تعالى : ﴿ فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما ﴾ (الاسراء : ٢٣) ، وتنوين « واهاً » في قول الراجز[١] :

واهاً لسلمى ثم واهاً واها   هي المنى لو أننا نلناها

ومنها ما يصغر ، كتصغير « رويد » في قول المعطل الهذلي :

رويدَ علياً ، جُدَّ ما ثديُ أمِّهمْ   إلينا ، ولكنْ ودُّهم متماينُ[٢]

ومنها ما تدخله « أل » ، كقولهم : النجاءَكَ ، أي : انجُ .

١ ـ أنواعها

١ ـ اسم الفعل المرتجل :

وهو الذي استعمل في أصل وضعه اسم فعل ، ولم ينقل عن شيء آخر ، مثل : آه ، وأف ، فهذان مثلاً لا يستعملان إلا اسمين لفعلين مضارعين هما : أتوجع ، وأتضجر ، أما قولهم : دونَكَ ، حين يكون بمعنى : خذ ، فمنقول ـ كما سيمر بنا ـ عن ظرف مكان .

وأسماء الأفعال المرتجلة ثلاثة أصناف ، هي :

---

(١) ينسب هذا الرجز إلى رؤبة بن العجاج ، وإلى أبي النجم ، وإلى أبي الغول اليمني .

(٢) علي : هو ابن مسعود الأزدي ، ينسب إليه ولد عبد مناة ، وجُدَّ : قطِعَ . و« ما » زائدة ، وقوله : جُدَّ ثديُ أمهم إلينا ، يعني : أن صلة الرحم بيننا وبينهم مقطوعة عندنا . وقوله : متماين ، مأخوذ من : المَيْن ، وهو الكذب .

آ ـ اسم فعل أمر :

مثل : صَهْ ، اسم للفعل : اسكت ، ومَه ، اسم : اكفف ، وهَلُمَّ ، أي : ائتِ ، كقوله تعالى : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلمّ[١] إلينا ﴾ (الأحزاب : ١٨) . وحيّ ، بمعنى : أقبل ، ومنه قول المؤذن : حي[٢] على الفلاح ، وقد تلحق بها « هَلَ » التي للحث والعجلة ، كقول لبيد :

يتمارى في الذي قلت له ... ولقد يسمع قولي : حَيَّهَلْ

ومن هذا الضرب : إيهٍ ، أي : زد في حديثك . وبَسٍّ ، اكتفِ ، وكذلك : قَدْك ، وقطْكَ ، وتَيْد ، اتئد . ووَيَهاً ، أغرِ .

ب ـ اسم فعل مضارع :

مثل : آه ، أتوجع ، وأفٍ ، أتضجر ، وأخٍّ ، أتكرّه ، وواهاً أتعجب ، ومثلها : وا ، كقول الراجز التميمي :

وا بأبي أنتِ وفوكِ الأشنبُ ... كأنما ذُرَّ عليه الزَّرنَبُ[٣]

ومنه : وَيْ ، بمعنى : أتعجب ، كقوله تعالى : ﴿ وَيْ[٤] ، كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ (القصص : ٨٢) ، وكقول زيد بن عمرو بن نفيل القرشي :

وَيْ كأنْ مَنْ يكن له نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ، ومن يفتقِرْ يعِشْ عَيشَ ضُرٍّ

وقد تلحق بها كاف الخطاب ، كقول عنترة :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها ... قيلُ الفوارسِ ويْكَ عنترَ أقْدم

ومنه : بَجَلْ ، بمعنى يكفي .

---

(١) هذه لهجة الحجاز ، ولهجة تميم : هلم ، للمفرد والمذكر ، وهلما ، للمثنَّى وهلموا للجمع ، وهلمي للأنثَى ، و . . .

(٢) حيّ : اسم فعل أمر مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنت .

(٣) الفم الأشنب : الذي عذب ماؤه ، ورقت أسنانه . والزرنب : نبت في البادية طيب الرائحة .

(٤) رسمها في القرآن : وَيكأن . ورسمناها في المتن كما ترى لتوضيح موضع الشاهد ، على أن أحد النحاة ، وهو أبو الحسن الأخفش ، يرى أنها هنا مركبة من : وَيْكَ ، و« أن » .

جـ ـ اسم فعل ماض :

مثل : هيهات ، اسم الفعل : بَعُدَ . كقول جرير :

فهيهات هيهات العقيقُ ومَنْ به وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيقِ نواصِلُهْ

وشتان ، بمعنى : افترق ، كقول الأعشى :

شتانَ ما يومي على كورِها ويـومُ حيّـانَ أخـي جـابِـرِ

وسرعان ، بمعنى : سَرُع ، فإذا قلت : سَرعانَ ما انفعلت . أي : ما أسرع ما انفعلت : قال بشر بن أبي خازم :

أتخطبُ فيهم بعد قتل رجالهم لسَرْعان هذا ، والدماء تَصَبَّبُ

ومن أمثلة العرب المشهورة : سَرْعان ذا إهالةً[1] .

ومثله : وَشْكانَ ، فهو اسم للفعل : وشُكَ ، وبطآنَ ، اسم للفعل : بَطُؤَ .

٢ ـ اسم الفعل المنقول :

وهناك أسماء أفعال لم تكن في أصل وضعها أسماء أفعال ، ولكنها نُقلت عن :

آ ـ عن حرف جر :

مثل : إليك[2] عني ، أي : تَنَحَّ ، وعليكَ الرجلَ ، أي : الزمه .

ب ـ أو ظرف :

مثل : دونك الكتابَ ، أي : خذه ، ومثله : عندك الكتابَ . ونحو : وراءك . أي : تَنَحَّ ، ومكانَكَ . أي : اثبت ، قال عمرو بن الإطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانَكِ تُحمدي أو تَستريحي[3]

ومنه قوله تعالى : ﴿ مكانكم أنتم وشركاؤكم ﴾ (يونس : ٢٨) .

(١) ويروى : سَرعان ذي إهالة . والإهالة الدسم . و« ذا » اسم إشارة فاعل لاسم الفعل ، وإهالةً : تمييز . وللمثل حكاية يمكن الرجوع إليها في جمهرة أمثال العرب للعسكري : ٥١٩/١ ، رقم المثل : /٩٤٢/ .

(٢) إليك : إلى : اسم فعل أمر منقلب عن حرف جر . والكاف حرف خطاب . والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

(٣) جشأت : ارتفعت من شدة الفزع . وفاعل : جشأت وجاشت ، نفسُه .

جـ ـ أو عن مصدر :

مثل : بَلْهَ ، بمعنى : دع . قال كعب بن مالك يصف ما تفعله سيوفهم في الحرب :

تَذَرُ الجماجِمَ ضاحياً هاماتُها بَلْهَ الأكفِّ ، كأنها لم تخْلَقِ

وهو منقول عن مصدر لم يسمع فعله ، فإذا نونته كان مفعولاً مطلقاً ، وإذا لم تنونه ، فهو اسم فعل أمر منقول عن مصدر ، نحو : بَلهاً الأمرَ . أي : دعه . فهو هنا مفعول مطلق أهمل فعله وناب عنه ، لأنه منون ، ولكنه في بيت كعب اسم فعل أمر ، لأنه لم ينون .

ومثله في هذا : رُوَيدَ ، فهو منقول عن مصدر للفعل : أرْوَد ، وكان يجب أن يكون : إرْواداً ، إلا أنه رُخم وصُغر ، فصار : رويداً . فإذا نونته كان مفعولاً مطلقاً ، كما في قول ودَّاك بن ثُميل المازني :

رويداً بني شيبانَ ، بعضَ وعيدِكمْ تلاقوا غداً خيلي على سَفَوانِ

د ـ أو عن حرف :

كقولهم : هاكَ الليرةَ ، أي : خذها ، فأصله هنا « ها » وهي حرف تنبيه . وتطابق المخاطب ، فتقول للمخاطب المذكر : هاءَ أو هاكَ الليرة ، وللمخاطبة المؤنثة : هاءِ أو هاكِ الليرة ، وللاثنين : هاؤما ، أو هاكما الليرة ، ولجماعة الذكور : هاؤم أو هاكم الليرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هاؤم اقرأوا كتابِيَهْ ﴾ (الحاقة : ١٩) ، وتقول لجماعة الإناث : هاؤنَّ ، أو هاكنَّ الليرة .

وهذه المنقولات جميعاً لا تكون إلا أسماء أفعال للأمر : بخلاف المرتجلة التي تكون للأمر والمضارع والماضي .

٣ ـ اسم الفعل القياسي :

أسماء الأفعال كلها سماعية ، ما خلا نوعاً واحداً قياسياً يأتي على وزن « فَعالِ » من الفعل الثلاثي ، مثل : حَذارِ ، ونزال ، كقول ربيعة بن مقروم الضبي :

فدعَوا : نزالِ ، فكنتُ أولَ نازلٍ وعــلامَ أركبُــهُ إذا لــم أنــزِلِ

وجاء شاذاً من غير الثلاثي قولهم : بدارِ ، من بادَرَ ، ودَراكِ ، من أدْرِكَ .

٢ ـ أحكام أسماء الأفعال

١ ـ بناؤها :

اسم الفعل مبني لأنه تضمن معنى حرف الأمر ، وهو اللام ، فقولنا : صَهْ ، يعني : لتسكت . ومَهْ ، يعني : لتكفف ، فلما كان معنى اللام سارياً فيها بنيت .

ثم لحقت بها أسماء الأفعال الماضية والمضارعة وحملت عليها ، وإن لم يكن فيها معنى لام الأمر[١] .

٢ ـ عملها :

آ ـ وتعمل هذه الأسماء عمل الأفعال ، فترفع الفاعل ، كقول جرير السابق : فهيهاتَ العقيقُ ، وقول الأعشى السابق : شتان ما يومي على كورها . . ويومُ حيانَ[٢] . وتنصب المفعول به كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ (المائدة : ١٠٥) . وكقول الكميت بن زيد[٣] :

نَعاءِ جُذاماً غيرَ موتٍ ولا قَتْلِ ولكنْ فراقاً للدعائمِ والأصلِ

ب ـ ويجزم المضارع إذا وقع جواباً لطلبها : كقولك : صَهْ تسلمْ ، ومَهْ تسترِحْ ، ومثله ما مرَّ بنا في قول عمرو بن الإطنابة وهو قوله : . . . مكانكِ تحمدي .

---

(١) هذا رأي بعضهم ، أما غيره فيقول : إنها بنيت لأنها وقعت موقع الأفعال المبنية . وهو خلاف لا قيمة له .

(٢) ينكر الأصمعي من القدماء أن يقال : شتان ما بين فلان وفلان . وهذا تحجر لا داعي له إلا قلة استقرائه لكلام الفصحاء ، فقد جاء هذا في كلام لحسان بن ثابت ، والأحوص ، وأبي الأسود ، والبعيث ، وجميل بثينة ، وغيرهم . انظر لسان العرب (شتت) .

(٣) نسب في الإنصاف إلى جرير . المسألة : ٧٢ ص ٢٧٩ .

جـ ـ على أن المضارع لا ينصب إذا وقع جواباً لطلبها معطوفاً مصدره بفاء السببية ، فلا يقال : صَهْ فتَسْلمَ ، ولا : مَهْ فتستريحَ . لأن هذه الفاء ـ كما علمت ـ تعطف مصدراً مؤولاً بعدها على مصدر منتزع من فعل قبلها ، وأسماء الأفعال ليست بذات مصادر ، ولذلك لا يجوز العطف ، ولا يجوز النصب .

د ـ وهي في عملها أضعف من الفعل ، ولذلك لا يجوز أن يتقدم عليها مفعولها ، فلا يقال : الكتابَ دونَك ، إلا في ضرورة الشعر : كقول الراجز الجاهلي ، وهو أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم :

يا أيها المائحُ دلوي دونكا   إني رأيتُ الناس يَحْمَدونكا

فقوله : دلوي ، مفعول به مقدم لاسم فعل الأمر « دونك » وقد ذهب بعض النحاة في تأويل إعراب « دلوي » مذهباً بعيداً لا يوافق منطق اللغة ، ولا أساليب الشعر .

٣ ـ تنوينها :

ينون بعضها وجوباً لأنه نكرة ، مثل : واهاً ، ووَيْهاً . وبعضها لا ينون البتة ، كتلك التي تبنى قياساً على « فَعالِ » . ويجوز في بعضها الآخر التنوين وعدمه ، مثل : صه ، ومه ، وأفٍ ، وإيه .

٤ ـ مطابقتها :

وهي تلازم حالاً واحدة في الإفراد والجمع والتذكير ، تقول : إيهٍ يا فلان ، وإيهٍ يا رجلان ، وإيهٍ يا قومُ ، وإيه يا فلانةُ ، وهكذا . إلا « هاء » التي رأيناها قبل قليل تطابق المخاطب ، وما اتصلت به كاف الخطاب ، مثل : إليك عني ، وإليكم عني .

شواهد للتدريب

١ ـ قال البعيث المجاشعي :

وشتانَ ما بيني وبين ابنِ خالدٍ   أميةَ في الرزق الذي يَتَقَسَّمُ

٢ ـ قال نُجْبَةُ بن جُنادة العذري :

وقد تراخت بنا عنها نوى قُذُفٌ   هيهاتَ مُصْبَحُها من بعد مُمْساها

٣ ـ قال ذو الرمة :

إذا قـال حـادينـا لتشبيـه نبـأةٍ   صَهٍ لم يكُنْ إلا دويَّ المسامعِ

٤ ـ قال ابن هَرْمة :

تمشي القطوفُ إذا غنى الحداةُ بها   مَشْيَ الجوادِ ، فَبلهَ الجلَّةَ النُجُبا[1]

* * *

(١) القطوف : البطيء من الدواب .

ما يعمل عمل الفعل من الأسماء

مر بنا في بحث العامل النحوي أن هناك أسماء تُحمل على الفعل في العمل ، لأنها تشبهه في دلالته على الحدث ، أو في دلالته على الحدث والزمان معاً ، وهذه الأسماء هي :

١ ـ اسم الفعل : وقد مر بنا الكلام عليه .

٢ ـ المصدر .

٣ ـ المشتقات : وهي اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل .

ودونك تفصيل الحديث عن المصدر والمشتقات .

١ ـ عمل المصدر واسمه

المصدر اسم يدل على حدث كالفعل ، ولكنه يختلف عنه في أنه لا يحدد زماناً معيناً في الدلالة ، فنحو : ضرْبٌ ، ونجاحٌ ، وكتابةٌ ، يدل على حدث واقع ، ولكن لا يعرف متى وقع .

وهو يعمل لأنه أصل الفعل وفيه حروفه ودلالته على الحدث ، إذ ينصب مفعولاً به ، كقول أبي الأسود الدؤلي :

نظرتُ إلى عنوانه فنبذتُهُ   كنبذِكَ نَعْلاً أخلقتْ من نِعالكا

فكأنه قال : كما تنبذُ نعلاً أخلقت . وينصب بعض الفضلات الأخرى ، كالمفعول لأجله ، مثل : مجيئك رغبةً في العلم يعود عليك بجليل الفوائد . والمفعول المطلق ، مثل : تعليمك الأطفالَ تعليماً حسناً جهادٌ وبطولة . والحال ، مثل : خروجك من البيت مبكراً يدل على نشاطك . وقد يرفع الفاعل ، كما في قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ   نَفْيَ الدراهمِ تَنقادُ الصياريفِ[1]

أي : كما ينفي الدراهمَ تَنقادُ الصيارفِ . ومثله قول الأقيشر الأسدي :

أفنى تِلادي وما جمعتُ من نَشَبٍ   قرعُ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ[2]

أي : أفنى تلادي ونشبي أن تقرع القواقيزَ أفواهُ الأباريقِ .

والخلاصة أن المصدر يعمل عمل فعله ، ولكنه دونه في ذلك ، ولابد له من أن يستوفيَ أحد شرطين ، حتى يقوى على العمل :

١ ـ الأول : أن يكون بدلاً من اللفظ بفعله ، وذلك في الجملة الإنشائية التي تكون للأمر أو للدعاء ، كقول الشاعر :

على حينَ ألهى الناسَ جُلُّ أمورِهِمْ   فَنَدْلاً زريقُ المالَ ندْلَ الثعالبِ[3]

فبدلاً من أن يقول : اندل يا زريقُ المالَ ، قال : ندلاً يا زريقُ المالَ .

٢ ـ والثاني : أن يصح تقديره بفعله مع أحد الأحرف المصدرية الثلاثة : أنْ ، الناصبة للمضارع ، وما ، المصدرية ، وأنْ ، المخففة من الثقيلة . كما توضح لك الأمثلة التالية :

ـ أعجبني فهمُكَ الدرسَ .

التقدير هنا : أعجبني أنْ تفهمَ الدرس .

ـ نبذت عنوانه كنبذك نعلاً أخلقت .

التقدير : نبذته كما تنبذ نعلاً أخلقت .

ـ علمت ضربك زيداً .

والتقدير : علمت أنْ قد ضربتَ زيداً . ومثله قول القطامي :

فلما بدا حِرمانُها الضيفَ لم يكن   علي مُناخُ السوءِ ضربةَ لازبِ

أي : فلما بدا أن ستحرمُ الضيفَ .

فإذا استوفَى المصدر أحد هذين الشرطين عمل ، أمفرداً كان أم جمعاً ،

---

(١) يداها : أي : يدا الناقة . والهاجرة : وقت اشتداد الحر عند الظهيرة .

(٢) التلاد : المال القديم ، الموروث وغيره ، والنشب : المال الثابت ، كالدار والقواقيز : جمع مفرده قاقوزة ، وهي قدح الخمرة .

(٣) الندل : الاختلاس . وندلاً : مفعول مطلق لفعل محذوف ، وزريق : منادَى بأداة نداء محذوفة تقديره : يا زريق . مبني على الضم في محل نصب . المالَ : مفعول به للمصدر (ندلاً) . وندلَ الثعالبِ : مفعول مطلق ، ومضاف إليه .

معرفاً بأل أم مجرداً منها ، إلا أنه ـ كما بدا في الأمثلة والشواهد ـ يغلب عليه أن يكون مضافاً ، وهو الكثير الشائع ، وقد يكون منوناً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مَقْرَبَة ﴾ (البلد : ١٤ ـ ١٥) ، وأقل منه أن يكون معرفاً بأل ، كقول المرار الأسدي :

لقد علمتْ أولى المغيرةِ أنني ... ضربتُ فلم أنكُلْ عن الضربِ مِسْمعا

أي : فلم أنكل عن أن أضربَ مسمعاً . أو أن يكون جمعاً . كما في قول الشماخ :

وواعدتَني ما لا أحاوِلُ نَفْعَهُ ... مواعيدَ عرقوبٍ أخاهُ[1] بيَثْرِبِ

هذا هو عمل المصدر ، وهناك ما يسمى في مصطلح النحاة اسم المصدر ، وهو ما كانت له دلالة المصدر ، إلا أنه أقل أحرفاً منه ، فقولك : تسليم ، مصدر للفعل : سلم ، أما قولك : سلام ، فهو اسم له .

والمصدر واسمه سواء في العمل ، وكذلك في استيفاء الشرطين السابقين ، وله من الشواهد الفصاح ما يشهد بذلك : كقول القطامي :

أكفراً بعد رد الموتِ عني ... وبعد عطائِكَ المئةَ الرتاعا

فقوله : عطاء ، اسم للمصدر : إعطاء ، وقد عمل عمل الفعل ، لأنه يصح تقديره بالفعل مسبوقاً بحرف مصدري ، تقول : وبعد أن أعطيتني المئةَ الرتاعَ . ومثله قول ذي الرمة :

أطاعت بك الواشين حتى كأنما ... كلامك إياها عليكَ حرامُ

فالكلام اسم للمصدر : تكليم . وقد عمل عمل الفعل .

تنبيه :

يرى بعض النحويين أن الشرطين اللذين ذُكرا لعمل المصدر ، ليسا بلازمين ، ولكنهما غالبان على المصدر العامل ، واستدل على ذلك بأنه يعمل أحياناً دون أن يستوفيَهما ، نحو : ضربي زيداً قائماً . وأكلي الحلوى واقفاً . وإن تعظيمك غيرَكَ حَسَنٌ . وكان إكرامك أخاك مبرة . ففي هذه المواضع لا تقع الأحرف المصدرية الثلاثة والفعل .

والحق أنه لا يقال : أنْ أضربَ زيداً قائماً ، لأن ذلك غير مسموع ولكن

---

(١) مفعول به للمصدر (مواعيد) منصوب وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة ، والهاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه .

الذي مُثِّلَ به في العبارتين الأخيرتين يحتاج إلى مزيد من التوضيح ، فالأصل فيهما مبتدأ وخبر ، إذ كانت الأولى قبل دخول : إنَّ : تعظيمُكَ غيرَك حسن . وكانت الثانية قبل : كان : إكرامُك أخاك مبرة .

وهذا الأصل يبيح لك أن تقيم مُقامَهما مصدراً مؤولاً ، فتقول : أن تعظم أخاك حسن ، وأن تكرمه مبرة ، فلما دخلت « إن » و« كان » صار التقدير في الظاهر ممتنعاً .

٢ ـ عمل اسم الفاعل

اسم الفاعل أقوى على العمل من المصدر ، لأنه يشبه الفعل المضارع في اللفظ ، وفي المعنى ، أما شبهه إياه في اللفظ فيتجلى في أنه يكون على وزنْ « فاعل » في الثلاثي ، وهذه الصيغة تشبه « يفعل » في الحركات والإيقاع ، ويصاغ من فوق الثلاثي على وزن مضارعه نفسه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة ، فقولك : مُخْرِج ، يشبه في لفظه : يُخْرِجُ .

وأما الشبه المعنوي فيظهر في دلالة اسم الفاعل على الحدث ، والفاعل ، والزمان الحاضر ، أو المستقبل ، أو الدائم .

هذا الشبه الكبير سبب في قدرة اسم الفاعل على العمل ، فهو يرفع الفاعل ، وينصب المفعول به ، وبعضَ الفضلات الأخرى ، ويعمل في شبه الجملة .

ولكنه مع هذا كله لا يبلغ مرتبة الفعل في ذلك ، لأنه ـ كما رأينا من قبل ـ فرع عليه ، ولابد له من شروط يستوفيها حتى يكون قادراً على العمل ، فما هذه الشروط ؟

آ ـ عمله موصولاً بأل :

ويرى النحاة أنه يعمل بلا شروط إذا وُصِلَ بأل ، لأنه يؤول معها بالفعل صراحة ، ولأنها تقوم مقام الاسم الموصول ، كما ترى في قول ذي الرمة :

ألا أيهذا الباخِعُ الوجْدُ نَفْسَهُ   لشيءٍ نَحَتْهُ عن يديْهِ المقادِرُ

فاسم الفاعل : باخع ، رفع فاعلاً هو الوجد ، ونصب مفعولاً به هو :

نفسه ، لأنه وصِلَ بأل ، فكأنه قال : أيهذا الذي يبْخَعُ الوجْدُ نفْسَهُ . ومن ذلك قول القطامي :

الضاربون عُمَيْراً عن ديارِهِمُ   بالتل ، يومَ عميرٌ ظالمٌ عادي

كأنه قال : الذين ضربوا عميراً . ومنه ايضاً قوله تعالى : ﴿ فويلٌ للقاسية قلوبُهُمْ عن ذكرِ الله ﴾ (الزمر : ٢٢) . فكأنه قال : ويل للذين قست قلوبهُم .

ب ـ عمله مجرداً من « أل » :

وإذا لم يكن موصولاً بها وجب أن يستوفيَ أربعة شروط مجتمعةً ، هي :

١ ـ أن يدل على الحال ، أو الاستقبال أو الاستمرار[١] :

وهي الأزمنة الثلاثة التي يدل عليها الفعل المضارع ، فإذا قلت : مالك تمشي ساحباً ذيولَ الفخار . جاء اسم الفاعل : ساحباً ، دالاً على الزمن الحاضر ، ولذلك حق له أن ينصب مفعولاً به ، وهو ذيول ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ فلعلك تاركٌ بعضَ ما يوحى إليك ، وضائقٌ به صدرُك ﴾ (هود : ١٢) ، تجد اسم الفاعل : تارك ، يدل على الاستقبال ، فكأنه قال : ستترك ، ومثله : ضائق ، ولهذا نصب الأول مفعولاً به ، ورفع الثاني فاعلاً .

٢ ـ أن يكون معتمداً على استفهام أو نفي أو مبتدأ ، أو موصوف ، أو صاحب حال :

ويعني هذا أن يسبق اسم الفاعل باستفهام أو نفي ، أو يقع في الإعراب خبراً أو صفة أو حالاً ، كما في هذه الأمثلة :

ـ قال ذو الرمة :

أحـادِرةٌ دمـوعَـكَ دارُ مَـيٍّ   وهـائِجَـةٌ صبـابَتَـكَ الـرسـومُ

فقد نصب اسم الفاعل « حادرة » مفعولاً به ، هو دموعك ، ورفع فاعلاً هو : دار[٢] ، ومثله : هائجة ، في العمل ، لأنهما اعتمدا على الاستفهام .

ـ قال الأبيردُ الرياحي :

أحقاً عبادَ الله أنْ لستُ لاقياً   بُرَيْداً طَوالَ الدهرِ ما لألأ العَفْرُ

---

(١) لا يشترط هذا إلا في نصب المفعول به ، عند بعض النحاة .

(٢) هو فاعل سد مسد خبر المبتدأ : حادرة .

فاسم الفاعل « لاقياً » نصب مفعولاً به هو : بريداً ، لأنه اعتمد على نفي . ومثله أن تقول : ما ضائر أخاك رفعُ الحجابِ بيننا .

ـ وإذا عدت إلى قوله تعالى : ﴿ لعلك تاركٌ بعض ما يوحى إليك ﴾ وجدت اسم الفاعل وقع خبراً ، وسبق بما يشبه المبتدأ ، وهو اسم : لعل . ومثله قولك : إنه لحامل أعباءَ الآخرين . . . أو : هو حامل أعباءَ الآخرين .

ـ قال سحيم عبد بني الحسحاس :

وجدتُهما يوماً ـ وللصيد غرة ـ تدقان مسكاً مائلاً بُرْقُعاهُما

فاسم الفاعل « مائلا » رفع فاعلاً ، هو : برقعاهما ، لأنه اعتمد على صاحب حال ، وهو الضمير في الفعل « تدقان » الذي يعود إلى الفتاتين اللتين يصفهما .

على أنه قد يحذف الموصوف ، ولكن حذفه لا يعدو اللفظ ، لأن معناه يظل قائماً في الكلام ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دونه ، لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كباسطٍ كفيه إلى الماءِ ليبلغَ فاه ﴾ (الرعد : ١٤) ، فقوله : باسطٍ كفيه ، اعتمد على موصوف محذوف ، هو : رجل ، والتقدير : إلا كرجلٍ باسط كفيه ، ومثله قول الأعشى :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهِنَها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

والتقدير : كوعل ناطح صخرة .

والمعطوف على ما اعتمد شيئاً مما تقدم ينصب أو يرفع مثله ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون ﴾ (الواقعة : ٥١ ـ ٥٢) فقوله ﴿ مالئون ﴾ معطوف على اسم الفاعل : آكلون ، وهو خبر (إن) ، أي : اعتمد ما أصله المبتدأ ، ولذلك نصب المعطوف عليه مفعولاً به ، هو : البطون .

٣ ـ ألا يكون مصغراً :

لأنه إذا صغر فقد الصلة بينه وبين الفعل المضارع ، لأن التصغير ـ كما هو معروف ـ من خصائص الأسماء ، فلا يجوز أن تقول : أخوك كويتِبٌ وظيفتَهُ .

٤ ـ ألا يكون موصوفاً تحول الصفةُ بينه وبين معموله :

لأن الفصل بين اسم الفاعل ومعموله مما يضعفه عن العمل ، وعلى هذا

لا يقال : أنت كاتب جيد وظيفتك . إلا أنهم نقلوا بيتاً لبشر بن أبي خازم يخالف هذا الأصل ، وهو قوله :

إذا فـاقِـدٌ خَطْبـاءُ فَـرْخيْـنِ رَجَّعـتْ ذكرتُ سليمى في الخليط المزايل[1]

فزعموا أن « فرخين » مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : فقدت ، وليس مفعولاً به لاسم الفاعل : (فاقد) ، لأنه وصف بـ : خَطْباء .

واسم الفاعل كالمصدر يعمل جمعاً ومثنىً ومفرداً ، كقوله تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ (الأحزاب : ٣٥) ، ومثله قول عنترة :

الشاتِمَيْ عرضي ولم أشتمْها والناذرَين إذا لمَ القَهُما دَمي

ولاسم الفاعل صيغ تفيد المبالغة سنلم بها في قسم الصرف ، تعمل مثله ، لأنها تدل على الحدث ، وعلى الزمن المستمر ، كما يدل الفعل المضارع في بعض الأحيان ، انظر قول سعد بن ناشب :

فيـا لَـرزامِ رشِّحـوا بـي مُقَـدَّمـاً إلى الحرب خَواضاً إليها الكتائبا

فقوله : خواضاً ، صيغة مبالغة لاسم الفاعل : خائض ، وقد نصبت مفعولاً به « الكتائب » ، لأنها اعتمدت موصوفاً محذوفاً ، والتقدير : رشحوا بي رجلاً مقدماً خواضاً الكتائب . ومن هذا قول أبي طالب يرثي أبا أمية المخزومي :

ضروبٌ بنصلِ السيفِ سُوقَ سِمانِها إذا عـدمـوا زاداً فـإنـك عـاقـرُ

٥ ـ تابع معمول اسم الفاعل :

يجوز أن يأتي المفعول به لاسم الفاعل مضافاً إليه ، تقول مثلاً : هذا قاتل أخيك : والأصل هذا قاتلٌ أخاك . فإذا أضيف جاز لنا في تابعه الجر على اللفظ ، والنصب على المعنى ، تقول : هذا قاتلُ أخيك البائسِ أو البائسَ . وهذا قاتل أخيك وأبيك أو وأباك . وعلى هذا قول الفرزدق :

قُعودٌ لدى الأبوابِ طُلَّابُ حاجةٍ عَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بكرا

فقد عطف « حاجةً » على : حاجةٍ ، ونصبها على المعنى .

(١) الفاقد : المرأة التي فقدت ولدها . الخطباء : المصابة بالخطب . رجعت الحمامة : صدر عنها أصوات تدل على أسى وحزن ، أو قالت ـ إذا كانت امرأة ـ : إنا لله وإنا إليه راجعون .

٣ ـ عمل اسم المفعول

ويعمل اسم المفعول عمل المبني للمجهول ، فيرفع نائب فاعل ، وينصب مفعولاً به إذا كان فعله متعدياً لأكثر من مفعول واحد ، كما ينصب الفضلات التي ينصبها اسم الفاعل ، تقول : هذا رجلٌ محمودةٌ سيرتُهُ . فترفع « سيرته » على أنها نائبُ فاعل ، عمل فيها اسم المفعول : محمودة . وتقول أيضاً : هذا فقير مكسوٌّ ثوباً . فتنصب « ثوباً » على أنه مفعول به لاسم المفعول : مكسو . وتقول : إنك لمقصودٌ رغبةً في نوالك . وهو مرغوب فيه رغبةً بالغة . وهكذا . . . فاسم المفعول نصب مفعولاً لأجله في العبارة الأولى ، ومفعولاً مطلقاً في الثانية .

ولا بد له من أن يستوفيَ الشروط التي عرفناها في اسم الفاعل(١) ، كما توضح لك الشواهد التالية :

قال جرير :

أصبحتَ للمنبرِ المعمورِ مجلسُهُ زَيْناً ، وَزَيْنَ قِباب المُلْكِ والحُجَرِ

اسم المفعول هنا هو قوله « المعمور » وقد وصل بأل ، ولذلك رفع نائب فاعل هو : مجلسه ، فكأنه قال : للمنبر الذي عُمِرَ مجلسه .

وقال تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ ﴾ (هود : ١٠٣) . أما اسم المفعول هنا ، وهو : مجموع ، فلم يوصل بأل ، ولكنه اعتمد على موصوف ، هو قوله : يوم . ولذلك رفع نائب فاعل هو : الناس .

وقال النابغة الذبياني :

ألم أقسِمْ عليكَ لتُخْبِرَنّي أمحمول على النعشِ الهُمامُ

وهنا اعتمد على : استفهام : أمحمول . ورفع نائب فاعل : الهمام .

وقد يتحول نائب الفاعل إلى تمييز ، كما في قول الشاعر :

ولي جلساءُ ما أَمَلُّ حديثَهُمْ أَلِبّاءُ مأمونون غيباً ومَشْهَدا

فقوله : غيباً ، تمييز محول عن نائب فاعل ، لأن الأصل : مأمونٌ

(١) كذلك لا يشترط فيه أن يدل على الحال والاستقبال في حال رفعه نائب فاعل .

غيْبُهم . كما يمكن أن يتحول إلى مضاف إليه ، كقولك : فلانٌ محمودُ السيرةِ ، مأمونُ الجانبِ . والأصل : محمودةٌ سيرته ، مأمون جانبُهُ . وهذا كثير جداً .

٤ ـ عمل الصفة المشبهة

تُحْمَلُ الصفة المشبهة في العمل على اسم الفاعل ، لأنها تشبهه في الدلالة على الحدث وفاعله ، أما صلتها بالفعل المضارع فغير بيّنة ، لأن أوزانها تختلف لفظاً عن صيغه ، ولكنها مع ذلك تشبهه في الدلالة على الاستمرار ، ومن أجل ذلك اقتصر عملها على رفع الفاعل ، وكثر انتقاله إلى التمييز ، والمضاف إليه . تقول : فلان كريمٌ طبْعُهُ ، حَسَنٌ خُلُقُهُ ، طيبٌ قلبُهُ فكأنك قلت : فلان كَرُمَ خلقُه ، وحَسُنَ طبعه ، وطاب قلبه . وانظر إلى عملها في قول النابغة الذبياني :

وهبتِ الريحُ من تِلقاء ذي أُرُلٍ تُزجي سحاباً قليلاً ماؤه شَبِما[١]

فكأنه قال : قل ماؤه . وفي قول حسان :

بيض الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم شم الأنوف من الطرازِ الأول

أي : كرمت أحسابهم .

وقد يتحول فاعلها ـ كما قلنا ـ إلى تمييز ، كما يتحول فاعل الفعل أحياناً ، تقول : فلان كريمٌ خلقاً ، حَسَن طبعاً ، طيب قلباً . فهذا يشبه قولك : كَرُم خلقاً ، وحَسُنَ طبعاً ، وطاب قلباً .

وكثيراً ما يضاف معمولها إليها ، فيكون في الإعراب مضافاً إليه وفي المعنى فاعلاً ، تقول : فلان طيب القلب ، حسن الطبع ، كريم الخلق .

وتحدث النحاة فأطالوا عن ظاهرة نادرة الوقوع ، وهي مجيء معمولها معرفاً بأل ، ومنصوباً ، كما في قول الحارث بن ظالم :

فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ ولابفَزارةَ الشُّعْرِ الرِقابا

فقوله : الشعر ، جمع مفرده : أشعر ، كأحمر ، وحُمْر ، وقوله :

---

(١) ذو أرُل : موضع وتزجي : تسوق . شبم : بارد .

الرقاب، منصوب في اللفظ بعد الصفة المشبهة، وهو في المعنى فاعل، لأنه يقدر بقولك: ولا بفزارةَ الشعرِ رقابُهم. أي: الذين كثر شعر رقابهم. فعلام نصب؟

أنقول: إنه تمييز؟ لا يصح هذا لأن التمييز يجب أن يكون نكرة لا معرفة، أهو إذاً مفعول به؟ لا يصح أيضاً لأن الصفة المشبهة تعمل عمل الفعل اللازم الذي لا ينصب مفعولاً به.

ومن أجل هذا قال النحاة: إنه شبه المفعول به، لأنهم قاسوه على عمل اسم الفاعل في مثل قولك: الضارب الرجل.

ولا تعمل الصفة المشبهة إلا إذا اعتمدت على ما ذكرناه في اسمي الفاعل والمفعول، أو كانت محلاة بأل، ولا يشترط فيها أن تدل على الحال أو الاستقبال، لأنها تدل على ثبوت واستمْرار، وهذا من دلالة الفعل المضارع أحياناً، إلا أنها يشترط فيها ما لم يشترط في اسم الفاعل، فلابد أن يكون فاعلها غير أجنبي، على حين قد يكون أجنبياً في اسم الفاعل، تأمل العبارتين التاليتين: ـ سعيد ضاربٌ سميراً. ـ سعيد كريمٌ طبعُهُ.

فطبع سعيد ليس أجنبيّاً منفصلاً عنه، ولكن سميراً ليس سعيداً نفسه، وإنما هو أجنبي منفصل عنه.

٥ ـ عمل اسم التفضيل

واسم التفضيل يرفع فاعلاً ظاهراً بشروط:

١ ـ أن يسبق بنفي أو ما يشبه النفي.

٢ ـ أن يكون مرفوعه أجنبياً.

٣ ـ أن يكون مفضلاً على نفسه.

وقد اجتمعت هذه الشروط الثلاثة في قولك: لا ترى في الناس رفيقاً أولى به الفضلُ من الصديق... فقوله «الفضلُ» هو الفاعل، والعامل فيه اسم التفضيل «أولى» والفضل الذي هو الفاعل مفضل على نفسه، وهو أجنبي عن الصديق والرفيق، ومثل هذا قولهم: ما رأيت رجلاً أحسنَ في عينيه الكحلُ منه في عيني سعيد. ولا يجوز أن تقول: رأيتُ رجلاً أكرَم منه

أبوه[1] ، لأن اسم التفضيل هنا لم يستوف شروط العمل .

ويرى النحويون أن اسم التفضيل ضعيف الشبه بالفعل ، ولهذا كان عمله ضعيفاً ، فهو لا يرفع الفاعل إلا بالشروط التي ألممنا بها قبل قليل ، وإذا اختل شرط واحد منها بطل عمله ، ثم إنهم متفقون جميعاً على أنه لا ينصب مفعولاً به .

ولكنهم رأوا في كلام العرب الفصيح ما يخالف هذا الأصل الذي وجدوا عليه الكثير الشائع من نصوص اللغة ، كقول العباس بن مرداس :

فلم أرَ مِثْلَ الحيّ حياً مُصَبَّحاً ولا مثلَنا يومَ التقينا فوارسا
أكَرَّ وأحمى للحقيقةِ منهمُ وأضْرَبَ منا بالسيوفِ القَوانسا

فالظاهر من البيتين أن : القوانس ، مفعول به لاسم التفضيل : أضرب منا ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم مَنْ يضل عن سبيله ﴾ (الأنعام : ١١٧) ، فقوله « من » يبدو مفعولاً به لاسم التفضيل : أعلم .

ولكن النحاة ينكرون هذا تمسكاً بالقاعدة التي وصلوا إليها ، ويذهبون إلى أن كلاً من « القوانس » في قول الشاعر ، و« مَنْ » في الآية ، مفعول به لفعل محذوف تقديره في الأول : نضرب ، وفي الثاني : يعلم .

ولم تكن بهم حاجة إلى مثل هذا ، لأن المعنى يشير بصراحة إلى أن اسم التفضيل هو الذي يعمل فيما قدروا له فعلاً غير مستعمل .

والذي يدل على تعسفهم أنهم يجيزون أن تلحق لام التقوية معمول اسم التفضيل ، ويمثلون لذلك بقولهم : أنا أضرب منك لزيدٍ . ويبيحون أن تلحق الباء الزائدة بعده بمعمولٍ يكون مفعولاً به للفعل منه ، مثل : أنا أعلم به منك . كما يقولون : فلان يعلم بالنبأ .

والمعروف أن لام التقوية تدخل على معمول اسم الفاعل والمصدر ، تقول:هذا ضارب لأخيه ، وتقول : ضربي لأخيك شديد . وذلك يدل على أن عمل اسم التفضيل في المفعول به يشبه عمل اسم الفاعل والمصدر ، إلا أنه أقل منهما في ذلك ، لأن النصوص الفصيحة المستقراة توضح ذلك وتبينه .

أما الشروط التي يسوقونها في رفع اسم التفضيل للفاعل ، فيبدو أنها غير صارمة ، إذ أن أحد شيوخ سيبويه[2] ، نقل عن بعض العرب أنهم يقولون :

---

(١) إلا إذا جعلنا : أبوه ، مبتدأ مؤخراً ، وأكرمُ : بالرفع ، خبراً له .

(٢) هو يونس بن حبيب .

رأيت رجلاً أفضلَ منه أبوه ، فيرفعون به فاعلاً غير أجنبي ، ولا يسبق بنفي ، ولا يفضل على نفسه في حالين ، ويؤيد هذا قول الشاعر منصور النمري ، يصف قطيع الإبل :

فجـال قليـلاً واتقـانـي بخَيْرِهِ سناماً وأملاه من النَّي كاهِلُهْ

فقوله : كاهله ، فاعل لاسم التفضيل : أملاه ، المعطوف على : خيره . ولكن النحاة يقدرون له فعلاً محذوفاً هو : امتلأ .

شواهد للتدريب

١ ـ قال النابغة الذبياني :

واهجرْهُمُ هَجْرَ الصديقِ صديقَهُ حتـى تـلاقِيَهُـمْ عليـكَ شِحـاحـا

٢ ـ قال قيس بن ذَرِيح :

وإنـك لـو أبلغتَهـا قيلَـك : اسلمـي طوتْ حزناً وارفَضَّ منها المدامِعُ

٣ ـ قال الحارث بن خالد المخزومي :

أظلـومُ إن مصـابكـم رجـلاً أهـدى السـلامَ تحيـةً ظُلْـمُ

٤ ـ قال أحد الشعراء :

السالكُ الثغرَ مَخْشِياً موارِدُهُ في كل إنْيٍ قضاه الله ينتعلُ

٥ ـ قال لقيط بن يعمر :

بل أيها الراكبُ المُزجي مطيتَه إلى الجزيرةِ مُرتاداً ومنتجِعاً

٦ ـ قال كثير عزة :

وكنـت إذا لاقيتُهـنَّ كـأننـي مخالطةٌ عقلي سُلافُ شَمولِ

٧ ـ قال كعب بن سعد الغنوي :

جَموعٌ خِلالَ الخيرِ من كل جانبٍ إذا جـاءَ جَيَّـاءٌ بهـن ذَهـوبُ

٨ ـ قال امرؤ القيس :

وأنازِلُ البطلَ الكريهَ نزالُهُ وإذا أناضِلُ لا تطيش سِهامي

٩ ـ قال كثير عزة :

فلو كان ما بي من جِبال لهدها وإن كان في الدنيا شديداً هدُودُها

١٠ ـ ﴿ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

إعراب الأسماء

الاسم المرفوع

الفاعل

هو اسم أسند إليه فعل مبني للمعلوم متقدم عليه ، نحو : ذهب الصيف ، وجاء الخريف . وقد يكون مصدراً مؤولاً مثل : راقني أن تنجح ، أي : نجاحك ، أو ضميراً بارزاً ، مثل : كتبنَ ، كتبتُ ، كتبتَ ، كتبتِ ، كتبا ، اكتبي . أو ضميراً مستتراً ، مثل : اكتب ، ومثل : خالد ذهب .

والضمير المستتر يعود إلى اسم مذكور قبله ، على أنه قد يدل على هذا الاسم من غير أن يكون مذكوراً ، كقول حاتم الطائي :

أماويَّ ما يغني الثراءُ عن الفتى ... إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

فالفاعل ، وهو الضمير المستتر في الفعل « حشرجت » لا يعود إلى اسم مذكور ، لأن المقام العام يدل على أنه يريد : حشرجت النفس . وهذا كثير في النصوص الفصيحة المنقولة ، كقوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغتِ الحلقومَ ، وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ (الواقعة : ٨٣ ، ٨٤) أي : النفس . ومثله قوله أيضاً : ﴿ كلا إذا بلغت التراقيَ ﴾ (القيامة : ٢٦) . ومن ذلك قوله : ﴿ حتَّى توارت بالحجاب ﴾ (ص : ٣٢) أي : الشمس .

وقد يكون العامل فيه ما يشبه الفعل ، كالمصدر ، من ذلك قول الأقيشر الأسدي :

أفنى تلادي وما جمعتُ من نشب ... قرْعُ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ

أي : أن تقرع القواقيزَ أفواهُ الأباريقِ . وقد يكون اسم الفاعل ، نحو قوله تعالى : ﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانُهُ ﴾ (فاطر : ٢٨) أو الصفة المشبهة باسم الفاعل نحو : هذا شاعر جيد شعره ، طيعة قوافيه . أو اسم التفضيل مثل : ما رأيت رجلاً أبغضَ إليه الشرُّ منه إلى أخيك . أو اسم الفعل ، نحو : هيهاتَ المكانُ ، وشتان ما فلانٌ وفلان .

وقد يحذف العامل إذا دل عليه دليل ، كقولك : خالدٌ . إن سألك : مَن جاء ؟ أي : جاء خالد . على أنه قد يحذف وجوباً بعد أداة الشرط إذا فسره عامل بعده ، ولاسيما بعد : إذا ، وإن ، ولو ، كقول تأبط شراً :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

فالمرء ، فاعل لفعل محذوف وجوباً ، يفسره ما بعده ، وكذلك قول السموءل :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل[1]

فقوله : هو ، فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده و وهو : يحمل ، وقد حذف العامل وجوباً بعد « إن » الشرطية ، ومن ذلك قول المتلمس :

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرانينِ مِيسما[2]

ومنه أيضاً قولُ حاتم الطائي في المثل المشهور : لو ذاتُ سِوار لطمتْني[3] .

١ ـ إعراب الفاعل

الفاعل في الأصل مرفوع ، كما هو في الأمثلة المتقدمة ، والشواهدِ التي مرت بك ، إلا أن له حالات يجر فيها لفظه ، ويبقى محله الرفع ، وذلك إذا

(١) هو ، نفسها الفاعل ، فلما حذف الفعل وحده برز الضمير المستتر . ومثله إذا قلت : إذا أنت جئت أكرمتك . فأنت هو الفاعل ، وليس توكيداً للفاعل المستتر ، لأنه لما حذف الفعل بقي الضمير وحده ، ولا يمكن النطق به متصلاً ، ففصل ، وهذا واضح .

(٢) وجاء بعد « من » الشرطية ، كما في قول الشاعر :

فمنْ نحنُ نؤمِنْهُ يبِتْ وهو آمن ومن لا نجره يمسِ منا مُفَزَّعا

وبعد « متى » كقول عدي بن زيد :

فمتى واغِلٌ يَنُبْهم يحيو هُ وتعطِفْ عليهِ كأسُ الساقي

وبعد « أينما » كقول أحدهم :

صَعْدةٌ نابتةٌ في حائرٍ أينما الريح تُمَيِّلْها تَمِلْ

(٣) ذاتُ سوار : أي : امرأة حرة ، لأن العرب لا تلبس إماءها السوار ، ويروى المثل رواية أخرى ، انظر فيه : مجمع الأمثال : ٢/ ١٧٤ برقم : ٣٢٢٨ ، وجمهرة الأمثال للعسكري : ٢/ ١٩٣ ، برقم : ١٥١٦ ، وكتاب الفاضل للمبرد : ٤٢ .

قدم عليه عامل جر زائد ، كما أنه في بعض التراكيب يقع في صورة المضاف إليه ، وفي هذه الحال لا يكون مرفوع المحل ، ودونك بيان ذلك وتفصيله :

١ ـ جره بـ « مِن » الزائدة :

قد يجر الفاعل بحرف الجر « من » ، حين يكون زائداً ، كما ترى في قول جرير :

وقد زعموا أن الفرزدقَ حيةٌ　　وما قتلَ الحياتِ من أحد قبلي

على أنه لابد لذلك من شرطين اثنين ، الأول : أن تكون الجملة مبدوءة بنفي أو نهي أو استفهام أداته « هل ».والثاني : أن يكون الفاعل المجرور نكرة لا معرفة ، كما رأيت في بيت جرير السابق ، وكما ترى في قولهم : هل جاء من أحد ، أو قولهم : لا يذهب من أحد . أما قولك : ما شربت من الماء . فإن « مِن » فيه ليست زائدة ، لأن مجرورها معرفة لا نكرة .

٢ ـ الباء الزائدة :

تجره جوازاً إذا كان فعله « كفى » اللازم ، وهو الذي يكون بمعنى : حَسْبُ ، أو يكفي كما في قوله تعالى: ﴿ كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾ (العنكبوت : ٥٢) ﴿ كفى بالله وكيلا ﴾ (النساء : ٨١) .

وكما في قول بشر بن أبي خازم :

ثـوى فـي مُلحَـدٍ لا بـد منـه　　كفى بالموتِ نأياً واغترابا

أما إذا كان « كفَى » متعدياً إلى مفعولين فلا تزاد الباء في فاعله ، كقوله تعالى : ﴿ وكفَى الله المؤمنين القتالَ ﴾ (الأحزاب : ٢٥) و﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (الحجر : ٩٥) .

وزيادة الباء هنا جائزة لا واجبة ، يدل على ذلك قول سحيم عبد بني الحسحاس :

عميـرةَ وَدِّعْ إن تجهـزتَ غـازيـاً　　كفَى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فلم يزد الباء في قوله : الشيب ، الذي هو فاعل للفعل « كفَى » ومثله قول عدي بن زيد :

كفَـى زاجـراً للمـرء أيـامُ دهـره　　تـروحُ لـه بـالـواعظـات وتغتـدي

وتجره وجوباً إذا كان العامل فيه فعلَ التعجب الذي يكون على صورة الأمر ، مثل : أكرِمْ بخالدٍ ، وقد مرَّ بنا هذا .

٣ ـ اللام الزائدة :

كما في قوله تعالى : ﴿ هيهات هيهات لما[١] توعدون ﴾ (المؤمنون : ٣٦) ، أي : بَعُدَ ما توعدون .

٤ ـ الإضافة :

وقد يأتي الفاعل مجروراً بالإضافة ، كقولك : كتابتُك الوظيفة حسنة ، فالكاف في : كتابتك ، ضمير متصل ، أضيف إليه المصدر ، وهو في المعنى فاعل ، ومثله قولك : ضربكَ المذنبَ قد يُجْديه .

٢ ـ موضعه في الجملة

يقع الفاعل بعد الفعل ، وقبل المفعول ، هذا هو الأصل العام في نظم الجملة العربية ، ويجوز تقديم المفعول عليه في اختيار الكلام ، نثره وشعره ، كقول الشاعر :

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ

إلا أنه أحياناً يتقدم على المفعول وجوباً ، وأحياناً يتأخر عنه وجوباً .

١ ـ متى يجب تقديمه على مفعوله :

ـ إذا لم تظهر على أواخرهما علامات الإعراب ، مثل : أعان أخي أبي ، وأكرم مصطفى موسى . فالمتقدم هنا فاعل ، والمتأخر مفعول .

ـ أن يكونا ضميرين ولا حصر في أحدهما ، مثل : قابلته وحدثته .

ـ أن يكون الفاعل ضميراً والمفعول به اسماً ظاهراً ، مثل : قابلتُ أخاك .

---

(١) اللام زائدة . و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل جر لفظاً باللام الزائدة ، ورفع محلاً ، لأنها فاعل لاسم الفعل (هيهات) الأول .

ـ أن يحصر الفعل في المفعول به ، نحو : ما لقي زيدٌ إلا خالداً ، وإنما لقي زيدٌ خالداً .

٢ ـ متى يجب تأخيره عن مفعوله :

ـ إذا اتصل به ضمير يعود على المفعول ، نحو : أخذ القوسَ باريها ، ولهذا أخطأ سليط بن سعد في قوله :

جزى بنوه أبا الغيلانِ عن كِبَرٍ   وحسنِ فعلٍ كما يُجزى سِنِمَّارُ

لأنه أعاد الضمير إلى متأخر في اللفظ والرتبة ، وكان يجب أن يقول :

ـ لولا قيود الشعر ـ : جزى أبا الغيلان بنوه . . .

وكذلك يكون الخطأ لو أن الضمير اتصل بجزءٍ من الفاعل ، كما في قول ربيعة بن مقروم الضبي :

ويحمد بذلي له مُعْتَفٍ   إذا ذم مَنْ يعتفيه اللئيما

أي : إذا ذم اللئيمَ من يعتفيه .

ـ إذا كان اسماً ظاهراً والمفعول به ضميراً ، نحو : راعه تلاطم الأمواج .

ـ أن يحصر الفعل في الفاعل ، مثل : ما أكرمَ خالداً إلا سعيدٌ ، وكقول ذي الرمة :

ألا طرقتنا مية بنةُ منذرٍ   فما أرّقَ النُوّامَ إلا سلامُها[1]

ومثله قوله تعالى : ﴿ وما يعلَم تأويله إلا الله ﴾ (آل عمران : ٧) .

٣ ـ مطابقة الفعل للفاعل جنساً

يطابقُ الفعل فاعله في التذكير والتأنيث عادة ، تقول : ذهب سميرٌ ، وجاءت فاطمةُ ، ولكن هذه المطابقة ليست واجبة في العربية دوماً ، فيجوز مثلاً أن تقول : طلع الشمسُ ، واجتمعت العرب . فقد ذكرتَ الفعل في المثال الأول وفاعله مؤنث ، وأنثته في الثاني وفاعله مذكر .

ولهذه المطابقة ثلاث حالات ، هي :

(١) وينشد البيت : فما أرّق النيامَ . انظر : التصريف الملوكي : ٨٧ ـ ٨٨ .

١ ـ وجوب تذكير الفعل :

ـ يجب تذكيره إذا كان الفاعل مذكراً ، ويستوي هنا أن يكون مفرداً ، مثل : درس التلميذ . وأن يكون مثنى ، مثل : سهر التلميذان ، وأن يكون جمع مذكرٍ سالماً ، مثل : نام المرهَقون .

ـ ويجب تذكيره إذا كان الفاعل مؤنثاً ، حقيقةً أو مجازاً ، وفصل بينهما أداة الحصر « إلا » ، تقول : ما جاء إلا أمُّك ، ولا ذهب إلا أختُك ، أما في الشعر فقد جاء الفعل مؤنثاً مع المؤنث ، فحُمل على الضرورة ، قال ذو الرمة :

كـأنّـهُ جَمَـلٌ هِـمٌّ ومـا بقيـتْ   إلا النحيزةُ والألواحُ والعَصَبُ[(١)]

ويدور في كتب النحو القديمة رجز يحمل على الضرورة أيضاً ، هو قول الشاعر :

مـابـرِئـتْ مـن ريبـةٍ وذَمٍّ   في حَرْبِنا إلاّ بناتُ العَمِ

وكان على الأول أن يقول : وما بقي إلا النحيزة ، وكان على الثاني أن يقول : ما بريء إلا بنات العم[(٢)] .

٢ ـ وجوب تأنيثه :

ـ ويؤنث وجوباً إذا كان فاعله مؤنثاً حقيقةً ، وظاهراً متصلاً به ، سواء أكان مفرداً مثل : ذهبت دعدٌ ، أم مثنى ، مثل : ذهبت الطالبتان . أم جمعَ مؤنثٍ سالماً ، مثل : ذهبت الطالبات .

ـ ويجب تأنيثه إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يرجع إلى مؤنث حقيقةً أو مجازاً ، نحو : دعدٌ ذهبت ، والشمس طلعت .

ـ ويجب تأنيثه كذلك إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً أو متصلاً يرجع إلى جمع مؤنث سالم ، أو جمع تكسير لمؤنث ، أو جمع مذكر لغير العقلاء ،

---

(١) النحيزة : الطبيعة . والهِمُّ من الجمال وغيرها : الكبير الفاني .

(٢) قرأ الحسن البصري : ﴿ فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنُهم ﴾ (الأحقاف : ٢٥) أما القراء الآخرون فقرأوا : ﴿ لا يُرى إلا مساكنهم ﴾ ، وفي القراءة الأولى ما يخالف الفصيح من كلام العرب .

مثل : الطالبات جاءت ، أو جئن ، والجمال سارت أو سِرْنَ .

٣ ـ جواز المطابقة وغيرها :

وهناك حالات يجوز لنا فيها أن نجعل الفعل والفاعل متطابقين في الجنس ، كما يجوز أن نخالف بينهما فيه ، وذلك كمايلي :

ـ إذا كان الفاعل مؤنثاً تأنيثاً غير حقيقي ، نحو : طلع الشمسُ . فالشمسُ ، مؤنث مجازي ، ولذلك جاز أن يكون فعلها مذكراً ، وأن يكون مؤنثاً مثلها ، فنقول : طلعت الشمس . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

ويجوز أن نقول : جاءت الطلحات ، وجاء الطلحات . لأن « الطلحات » مؤنث لفظي لا حقيقي ، وعلى هذا جاز أن يطابق الفعل فاعله جنساً ، وأن يخالفه .

ـ إذا كان بين الفعل والفاعل المؤنث فاصل ما ، نحو : جاء عند الماءِ الطالباتُ . ومنه : ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ ﴾ (هود : ٦٧) ﴿ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ (الممتحنة : ١٢) .

ـ إذا كان الفاعل جمع تكسير ، مثل : حضرتِ الرجالُ ، وجاءتِ الطلابُ . ويجوز أن يقال أيضاً : حضر الرجال ، وجاء الطلابُ .

ـ ويجوز تذكير فعل المدح أو الذم وتأنيثه إذا كان فاعله مؤنثاً حقيقةً أو مجازاً ، نحو ، نعم المرأة هندٌ . ونعمَ الدارُ دارُك ، ونعمتِ الدار دارُك .

ـ وكذلك إذا كان الفاعل مُلحقاً بأحد الجمعين السالمين : المذكر والمؤنث ، تقول : جاء البنون ، وجاءت البنون . وجاء البنات ، وجاءت البنات ، وعليه قول النابغة الذبياني :

قالتْ بنو عامر خالوا بني أسدٍ يا بؤسَ للجَهْلِ ضرّاراً لأقوامِ

وقول عبدة بن الطبيب :

فبكى بناتي شَجْوَهُنَّ وزوجتي والظاعنون إليَّ ثم تَصدَّعوا

ـ إذا كان الفاعل اسم جمع ، أو اسم جنس جمعي ، كقوله تعالى : ﴿ كذَّبتْ قومُ نوحٍ ﴾ (الشعراء : ١٠٥) وقوله : ﴿ كذَّب به قومك وهو الحق ﴾ (الأنعام : ٦٦) ، فقوله : قوم ، اسم جمع . أما مثال اسم الجنس

الجمعي ، فكقولهم : تأبى العرب الضيم ، ويأبى العرب الضيم .

٤ ـ مطابقة الفعل للفاعل عدداً

اللغة الشائعة أن يكون الفعل مفرداً مهما يكن الفاعل من حيث العدد ، تقول : جاء الطالبُ ، وجاء الطالبان ، وجاء الطلاب .

على أن بعض القبائل اليمنية القديمة ، كالحارث بن كعب ، وأزدشنوءة ، كانت تطابق بين الفعل وفاعله في العدد ، تقول مثلاً جاء الفارسُ ، وجاءا الفارسان ، وجاؤوا الفرسانُ ، ولهذه اللغة شواهد فصيحة يُحتج بها ، من ذلك قول أحيحة بن الجلاح الأنصاري :

يلومونني في اشتراء النخيـ ـلِ قومي ، فكلهم يَعْذِلُ

وقول الفرزدق التميمي :

ولكنْ دِيافيٌّ أبوه وأمُّه بحَوْرانَ يَعْصِرْنَ السليطَ أقارِبُه[١]

وقول عبيد الله بن قيس الرُّقيات القرشي :

تولى قتالَ المارقينَ بنفسه وقد أسلماه مُبْعَدٌ وحميمُ

وليست هذه اللغة مقصورة على الشعر حتى يقال إنها ضرورة ، فقد سُمع بعض الأعراب يقول : أكلوني البراغيث ، كما جاء منها في القرآن قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ﴾ (الأنبياء : ٣) وقوله : ﴿ ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾ (المائدة : ٧١) .

على أن نحاة كثيرين قد خاضوا في تأويل الآيتين ، ولهم في ذلك آراء وتخريجات لا تخرج عن إطار الآراء الظنية ، يفرون بها من وقوع هذه اللغة في القرآن الكريم[٢] .

ونقل حديث شريف اكتسب بين النحاة شهرة واسعة ، وهو « يتعاقبون

---

(١) ديافي : نسبة إلى « دِياف » وهي قرية شآمية . والسليط : الزيت . هجا رجلاً فجعله ممن يعملون ليكسبوا قوتهم ، ونفى أن يكون كالعرب الذين يعيشون على الانتجاع والغزو .

(٢) انظر آراءهم في الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١١/٢٦٨ ، والبحر المحيط ، لأبي حيان : ٦/٢٩٦ .

فيكم ملائكةٌ بالليل ، وملائكة بالنهار » ، فقد رواه على هذه اللغة مالك ، ومسلم ، والبخاري ، والنَّسائي[1] . وسمى ابن مالك اللغة كلها باسم : لغة يتعاقبون فيكم ، بدل قولهم : لغة أكلوني البراغيث . ولعلها أعم من أن تكون لغة يمنية خاصة ، على أنها انقرضت ، ولا يجوز استعمالها في الفصحى المعاصرة .

* * *

(١) انظر : الموطأ : ١٢٣ ، السفر : ٨٥ ، وصحيح مسلم : ٥/ ١٣٣ ، والتجريد الصريح : ١/ ٥٥ ، وسنن النسائي : ١/ ٢٤٠ .

نائب الفاعل

هو ما أسند إليه فعل مبني للمجهول أو شبهه متقدم عليه . مثل : كُسر الزجاجُ ، عُلِم أخوك نائماً . وشبه الفعل المبني للمجهول إما اسم مفعول ، وإما اسم منسوب ، فمثال الأول قوله تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ ﴾ (هود : ١٠٣) ، ومثال الثاني قولك : هذا رجل دمشقيٌّ أبوه . أي : ينسب أبوه إلى دمشق .

والغرض من هذا الأسلوب أن يُعلم ما وقع به الفعل ، ولا يهم ذكرُ من أوقعه ، على أنه لا يلزم منه إخفاء الفاعل عن السامع ، أو أن المتكلم يجهله ، فهذا منقوض بقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ (الأنبياء : ٣٧) وقوله : ﴿ خلق الإنسان ضعيفاً ﴾ (النساء : ٢٨) ، لأن الفاعل هنا معلوم للسامع العربي ، وهو الله .

##ماينوب عن الفاعل

١ ـ المفعول به :

هو أولى ما في الجملة أن ينوب عن الفاعل ، فإذا كان فيها فلا ينوب غيره ، مثل : أكَلَ سميرٌ تفاحةً صباحاً = أُكِلَت تفاحةٌ صباحاً . ضربتُ المذنبَ بالعصا = ضُرِب المذنبُ بالعصا . ناضلنا العدوَّ مناضلةً شديدةً = نُوضل العدوُّ مناضلةً شديدةً . ففي كل من هذه الجمل مفعول به ، وظرف ، أو جار ومجرور ، أو مصدر ، ولم ينب عن الفاعل فيها غير المفعول به .

وإذا كان في الجملة أكثر من مفعول به ، ناب الأول عن الفاعل ، لأنه في معناه ، وبقي الثاني ، والثالث ، كما كانا ، مثل : ظُنَّ الثعلبُ أسداً ، نُبِّىء الناسُ الثعلبَ أسداً . والأصل : ظننتُ الثعلب أسداً . ونبأتُ الناسَ الثعلبَ أسداً ، ومنه قول عنترة في معلقته :

نُبِّئْتُ عَمراً غيرَ شاكرِ نِعمتي والكفرُ مَخْبأةٌ لنفسِ المُنعِمِ

ويباح للشاعر في الضرورة أن ينيب عن الفاعل غير المفعول به مع وجوده ، كقول أحدهم :

أتيحَ لي من العِدا نذيرا به وُقيتُ الشرَّ مستطيرا

فقد أناب الشاعر الجار والمجرور « من العدا » عن الفاعل ، مع وجود المفعول به « نذيراً » ، وهذا لا يجوز إلا في الضرورة[1] .

وفي القراءات ما يؤيد هذا : إذا جاز أن نحتج بها جميعاً[2] ، فمن ذلك قراءة أبي جعفر وشيبة : ﴿ ليُجْزى قوْماً بما كانوا يكسبون[3] ﴾ (الجاثية : ١٤) .

٢ ـ الجار والمجرور :

وإذا كان الفاعل لازماً ينوب الجار والمجرور أو غيره ـ كما سنرى ـ عن الفاعل ، ويُشترط في حرف الجر ألا يكون للتعليل ، نحو قولك : قُعِدَ على الأرض . أما إذا كان للتعليل كقولك : فُرِحَ لقدومك . فيكون نائب الفاعل ضميراً مستتراً يعود على مصدر الفعل ، والتقدير هنا : فُرِحَ الفَرَحُ لقدومك . ومثله هذا البيت الذي ينسب إلى الفرزدق :

يغضي حياءً ، ويُغضى من مَهابته فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسم

وتقديره : يغضى الإغضاء .

---

(١) يثبت بعض النحاة بيتاً لجرير هو :

ولو ولدت قُفَيرةُ جَرْوَ كلبٍ لسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكِلابا

ويزعمون أن الشاعر أناب الجار والمجرور « بذلك » عن الفاعل ، وأبقى المفعول به « الكلاب » على ما هو عليه ، وهذا مخالف لأصولهم ، لأن الجار في البيت للتعليل ، وما كان كذلك لا ينوب مع مجروره عن الفاعل أصلاً ، فكيف إذا كان في الكلام مفعول به . وقد تأول الزجاج وغيره هذا البيت فلم يأتوا بمقنع ، لأنهم أرادوا أن يدفعوا اللحن عن جرير ، وهو واقع .

(٢) يرى بعض المتأخرين كالسيوطي أن القراءات القرآنية كلها حجة ، سواء أكانت متواترة أم أحادية أم شاذة . (انظر الاقتراح : ١٥) وعلى مذهبهم يجوز نصب نائب الفاعل ، وفي هذا كثير من التطرف .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي : ١٦/ ١٦٢ ، و١١/ ٣٣٤ .

ومما استوفى شرط النيابة عن الفاعل قوله تعالى : ﴿ ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالوا : لئن لم يرحمنا ربنا ويغفرْ لنا لنكوننَّ من الخاسرين ﴾ (الأعراف : ١٤٩) ، ومنه قول الفرزدق ، وقد جاء عامل الرفع فيه اسم مفعول لا فعلاً مبنياً للمجهول :

غـلامـاً أبـوه المستجـارُ بقبـرِهِ وصَعْصَعةُ الفكاكُ من كان عانيا

فالمستجارُ ، اسم مفعول ، مشتق من مصدر الفعل اللازم : استجار . وشبه الجملة « بقبره » في محل رفع نائب الفاعل .

٣ ـ الظرف :

ويشترط فيه أن يكون متصرفاً مختصاً ، مثل : جيءَ يومُ السبتِ ، ووُقِفَ أمامُ الجمهور . ومعنى كونه متصرفاً ، أن يستعمل ظرفاً وغير ظرف ، فكلمة « يوم » تكون ظرفاً في مثل : جئتَ يوم السبت . وتكون غير ذلك مثل : كان يومُ السبت غائماً ، وهذا يومٌ أفضلُ من يوم السبت . أما كونه مختصاً فأن يَدُل على مُعيَّن ، كما في المثال ، ولا يجوز أن يقال : جيء يومٌ ، لأنه غير معين .

٤ ـ المصدر :

ويشترط فيه ما اشترط في الظرف ، أي : يجب أن يكون متصرفاً مختصاً ، مثل : قُعِد القُعودُ الطويلُ . ونيم نومُ الهادئين . وتصرُّف المصدر أن يستعمل مفعولاً مطلقاً وغيره ، وما لم يكن كذلك لا ينوب عن الفاعل ، كالمصادر : سبحانَ الله ، معاذ الله ، حنانيك . . . أما اختصاصه فأن يكون مقيداً بصفة ونحوها . كما في المثالين السابقين[١] .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ ولئن سألتهم : من خلقهم ليقولُنَّ الله ، فأنَّى يؤفكون ﴾ (الزخرف : ٨٧) .

(١) لم نذكر هنا مطابقة الفعل ونائب الفاعل لأنها لا تختلف عما تقدم في بحث الفاعل .

٢ ـ ﴿ قل : لو أنتم تملكون خزائنَ رحمةِ ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ (الإسراء : ١٠٠) .

٣ ـ قال زياد الأعجم :

إنَّ السماحة والمروءة ضمِّنا   قبراً بمَرْوَ على الطريقِ الواضحِ

٤ ـ قال كثير عزة :

كفى حزناً للعين أن رَدَّ طَرْفَها   لعــزةَ عِيــرٌ آذنــتْ بــرحيــلِ

٥ ـ وقال كثير أيضاً :

وما مَرَّ من يومٍ عليّ كيومها   وإن عظمتْ أيامُ أخرى وَجلَّتِ

٦ ـ قال مساور بن هند :

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً   وقد جاعت بنو أسد وخافوا

* * *

المبتدأ والخبر

١ ـ المبتدأ

هو اسم أسند إليه خبر يقع بعده لفظاً أو تقديراً ، مثل : البحر هائج . وأنت ذاهب وأخوك . فخبر « أخوك » مقدر ، وهو : ذاهب .

والمبتدأ اسم ظاهر كما تقدم ، ولكنه قد يكون ضميراً منفصلاً نحو : أنت كريم . وهو عزيز ، أو مصدراً مؤولاً مثل : ﴿ وأن تصبروا خيرٌ لكم ﴾ (النساء : ٢٥) . ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ (البقرة : ٢٣٧) أي : صبركم خير لكم ، وعفوكم أقرب للتقوى . وقد تُحذف « أن » المصدرية لفظاً ، وتُلْمحُ تقديراً ، كالمثل العربي المشهور : تسمعُ بالمعيدي خير من أن تراه . وتقديره : سماعُك .

وقد يكون المبتدأ جملة محكية ، كقول العرب : زعموا مطية الكذب . أي : قولهم : زعموا ، مطية الكذب .

إعراب المبتدأ

المبتدأ في الأصل مرفوع ، كما تبين في الأمثلة ، ورافعه كونه في ابتداء الكلام ، لم يسبقه عامل لفظي يؤثر فيه ، غير أنه يأتي أحياناً مجروراً لفظُهُ بحرف جر زائد أو شبيه بالزائد ، وذلك كمايلي :

١ ـ جره بـ « من » الزائدة :

وذلك إذا سبقت « من » بنفي مثل : ما في الدار من أحد . أي : ما فيها أحد ، أو سبقت باستفهام أداته « هل » كقوله : ﴿ هل من خالق غيرُ الله يرزقكم ﴾ (فاطر : ٣) ، ويشترط هنا أن يكون نكرة .

٢ ـ جره بالباء الزائدة :

وذلك إذا كان كلمة « حَسْبُ » كقول الأشعر الأسدي :

بِحَسْبِكَ في القومِ أن يعلموا   بـأنَّـك فيهـم غنـيٌّ مُضِـرْ

وقد تزاد الباء في الكلمة التي بعد « حَسْبُ » ، فتكون هي المبتدأ ، و« حسبُ » خبره ، كقول عمران بن حِطَّان :

فـاعمـلْ فـإنـك مَنْعِـيٌّ بـواحـدةٍ   حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشيب من ناع

٣ ـ جرُّهُ بـ « رب » :

و« رب » حرف جر شبيهٌ بالزائد ، يجر المبتدأ لفظاً ، كما في الحديث : « يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ يومَ القيامة » . وقد تحذف « رُبَّ » بعد الواو غالباً ، كقول امريء القيس :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرْخى سدولَهُ   علـيَّ بـأنـواع الهمـومِ ليبتلـي

موضعه في الجملة

تتميز الجملة العربية بالمرَانة ، إذ يجوز فيها تأخير ما حقه التقديم ، وتقديم ما حقه التأخير ، لغرض معنوي بلاغي ، فالمبتدأ في أصل الوضع مقدم على خبره ، ولكن يجوز تأخيره عنه ، نحو : تَعَبٌ كلُّها الحياةُ ، وساميةٌ رسالتك . والأصل : الحياة كلها تعب ، ورسالتك سامية .

وهناك مواضع لا يجوز فيها تأخيره البتة وهي :

١ ـ أن يكون من أسماء الصدارة : كالشرط ، والاستفهام ، وما التعجبية ، وكم الخبرية . مثل : مَنْ يعملْ يَلْقَ جزاء عمله . وما في يمينك ؟ وما أطيب الرُّبا !! وكم شهيدٍ هوى على الأرض ميتاً .

٢ ـ أن يكون مقترناً بلام الابتداء ، نحو : لعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك .

٣ ـ إذا أحدث تأخيره لَبْساً بينه وبين خبره ، فيقدم ليزول اللبس ، كقولك : أخوك عليٌّ . أو : عليٌّ أخوك .

٤ ـ أن يكون محصوراً في الخبر ، مثل : ﴿ وما محمد إلا رسولٌ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) ﴿ إنما أنت نذير ﴾ (الرعد : ٧) .

تعريفه وتنكيره

المبتدأ في الأصل معرفة ، لأن الإخبار يكون عن معروف ، وثمة حالات يصح فيها أن يكون نكرة ، وهي كثيرة نكتفي منها بالمواضع الآتية :

١ ـ إذا كان نكرة مضافة إلى نكرة لفظاً أو تقديراً : رجلُ عِلْمٍ زارني ، ﴿ كلٌ يعملُ على شاكلته ﴾ (الإسراء : ٨٤) أي : كل مخلوقٍ .

٢ ـ إذا وصفت النكرة لفظاً أو تقديراً مثل : لعبدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك ، الحليبُ ليتر بليرة . أي : ليتر منه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسهم ﴾ (آل عمران : ١٥٤) . أي : وطائفة من غيركم .

٣ ـ إذا كان الخبر شبه جملة متقدمةً على النكرة ، مثل : ﴿ وفوق كل ذي عِلمٍ عليمٌ ﴾ (يوسف : ٨٦) و﴿لكل أجل كتابٌ﴾ (الرعد : ٣٨) .

٤ ـ إذا وقعت النكرة بعد نفي ، أو استفهام ، أو بعْد : لوْلا ولوما ، أو إذا الفجائية ، نحو : ما أحد في الدار . و﴿ أإله مع الله ﴾ (النمل : ٦٠ ـ ٦٤) وقول الشاعر :

لولا اصطبارٌ لأودى كل ذي مِقَةٍ … لمّا استقلّت مطاياهُنَّ للظَّعَنِ

ومثل : خرجت فإذا أسدٌ رابض .

٥ ـ إذا كانت النكرة من الأسماء المبهمة التي مر ذكرها ، كأسماء الشرط ، والاستفهام ، وما التعجبية ، وكم الخبرية . وقد سبقت الأمثلة لها .

٦ ـ إذا كانت النكرة مفيدة للدعاء مثل : سلامٌ عليكم ، ويلٌ لكم .

٧ ـ إذا كانت مجرورة لفظاً بـ : من ، أو رُبَّ كما مرَّ من قبل .

حذف المبتدأ

يحذف المبتدأ جوازاً ، ووجوباً .

آ ـ حذفه جوازاً :

يجوز حذف المبتدأ إذا دل عليه دليل ، كما هي الحال في المواضع الآتية :

١ ـ في جواب السؤال : وذلك أن يذكر في جملة السؤال ، فيحذف جوازاً في جوابه ، كقول القطامي :

فلما تنازعنا الحديثَ سألتُها … مَنِ الحيُّ؟ قالتْ : مَعْشرٌ من محاربٍ

أي : الحي معشرٌ من محارب .

ومثله قول تميم بن أبي مقبل :

إذا الناس قالوا : كيف أنت ؟ وقد بدا ... ضمير الذي بي ، قلت للناسِ : صالحُ

أي : أنا صالحٌ .

٢ ـ ويجوز حذفه في غير جواب السؤال إذا كان لفظه مذكوراً في كلام سابق ، كما في قول أعشى طرود :

يا دارَ أسماءَ بين السفح فالرُّحُبِ ... أقوتْ وعفَّى عليها ذاهبُ الحِقَبِ

دارٌ لأسمـاءَ إذ قلبـي بهـا كَلِـفٌ . ... وإذ أقـرِّبُ منهـا غيـرَ مقتـربِ

فقوله : دارٌ ، خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : هي دارٌ ، أو : هذه دارٌ . وإنما ساغ حذف المبتدأ جوازاً لوجود الدليل عليه ، وهو ذكره في البيت السابق .

٣ ـ ويجوز حذف المبتدأ أيضاً ، وإن لم يكن له ذكر سابق في الكلام ، إن كان للمخاطب أو المتكلم ، ولا يجوز حذفه إن كان للغائب ، من ذلك قول العرب في مَثَلٍ لهم : محسنةٌ فهيلي[1] . أي : أنتِ محسنةٌ فهيلي . ومثله ما جاء في الحديث النبوي للراجع من السفر : « تائبون آيبون لربنا حامدون » أي : نحن تائبون ، ومثله قول الشاعر :

تقولُ ابنةُ الكَعْبيِّ يومَ لقيتُها ... أمنطلقٌ في الجيشِ أم متثاقِلُ

والتقدير : أأنت منطلق .

٤ ـ ومن أساليب حذف المبتدأ في اللغة العربية قولهم : ما منهم مات حتفَ أنفه ، وقولهم : منا يفعل كذا ، ومنا لا يفعله . أي : ما منهم أحدٌ مات حتف أنفه ، ومنا مَنْ يفعل ، ومنا مَنْ لا يفعل ... ومن ذلك قول ذي الرمة :

فظلوا ومنهم دمْعُهُ سابِقٌ له ... وآخَرُ يَثْني دَمْعَةَ العَيْنِ بالهَمْلِ

وقول حكيم بن معية :

لو قلتَ : ما في قومها لم تَيْثَمِ ... يَفْضُلُهـا فـي حَسَـبٍ وميسَـمِ

فتقدير الأول : ومنهم مَنْ دمْعُهُ ... والثاني : ما في قومها أحد يَفْضُلُها .

ب ـ حذفه وجوباً :

ويحذف المبتدأ وجوباً في المواضع التالية :

---

(١) انظر المثل في جمهرة أمثال العرب للعسكري : ٢/ ٢٥٥ .

١ ـ إذا كان خبره مشعراً بالقسم نحو : في ذِمَّتي لأفعَلنَّ كذا ، أي : في ذمتي عَهْدٌ .

٢ ـ إذا كان خبره مصدراً نائباً عن فعله كقول الشاعر منذر بن درهم .

فقالت : حنانٌ ، ما أتى بك ههنا   أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارف

أي : أمري حنانٌ .

٣ ـ إذا كان الخبر مخصوصاً بالمدح أو بالذم نحو : نعم الشاعر زهير[1] . أي : الممدوح زهير .

٤ ـ إذا كان الخبر نعتاً مقطوعاً للمدح أو الذم أو الترحم . نحو : الحمدُ لله الحميدُ . انظرِ العدوَّ اللعينُ . مررتُ بخادمِكَ المسكينُ .

٢ ـ الخبر

وهو الذي يُسند إلى المبتدأ ، ويخبر عنه ، ويكون اسماً ظاهراً مشتقاً نحو : أنت نبيلٌ ، وأخلاقك محمودة . وقد يكون اسماً جامداً مؤولاً بمشتق مثل : أخوك أسد . أي : شجاع ، أو غير مؤول ، مثل : هذا بحرٌ . وقد يكون مصدراً مؤولاً ، مثل : موعدنا أن تظهر النجوم . وتأويله : ظهور النجوم .

وكثيراً ما يكون الخبر جملة فعلية مثل : الرئيسُ سيزور المدينة . أو اسمية مثل : ﴿ الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ (النور : ٣٩) ، وفي هذه الحال تحتاج الجملة الخبرية إلى رابط ، وقد يكون :

١ ـ ضميراً ظاهراً مثل : سعيدٌ يحمل كتابه . ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب ﴾ .

٢ ـ أو ضميراً مستتراً مثل : الكتاب يقدم فوائد كثيرة .

٣ ـ ضميراً مقدراً مثل : الحليبُ الليتر بليرة . أي : الليتر منه .

٤ ـ أو إشارة إلى المبتدأ مثل : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ (الأعراف : ٢٦) .

---

(١) هذا إذا جُعِل المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف ، أما إذا جعل مبتدأ مؤخراً والجملة قبله خبراً له ، فلا شيء فيه .

٥ ـ أو إعادة المبتدأ بلفظه : ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾ . ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ . أو بلفظ أعم منه مثل : سعيد نعم الرجل .

وإذا كانت الجملة هي المبتدأ نفسه مثل : هو الله أحد . ومثل : علمي أنت في الدار . فإنها لا تحتاج إلى رابط(١) .

وكما يكون اسماً ظاهراً أو جملة يكون شبه جملة ، والصحيح أن الخبر هنا مقدر، وشبه الجملة تتعلق به، كقولك: أنت في الدار، وأخوك عندَ الباب .

وحين تكون شبه الجملة ظرف زمان يكون المبتدأ اسماً من أسماء المعاني ، مثل : العملُ هذا اليومَ . والجدُّ وقتَ الدراسة . وظرف المكان يخبر به ـ كما يقول النحاة ـ عن الجثث ، أي : عن الذوات التي تشغل مكاناً ، نحو : الكتابُ فوق الطاولة ، وأنت أمامَ أبيك . ويخبر به أحياناً عن أسماء المعاني ، نحو : العملُ عندك .

إعرابه

الرفع أصل في خبر المبتدأ ، إلا أنه قد يجر بباء زائدة إذا كان في سياق النفي ، نحو : ما أنت ببخيل .

موضعه في الجملة

يأتي عادة بعد المبتدأ ، ويجوز تقديمه ، هذا هو الأصل العام فيه ، إلا أنه أحياناً يقدم على المبتدأ وجوباً ، وذلك فيمايلي :

١ ـ إذا كان من أسماء الصدارة ، نحو : كيفَ أنتَ ؟

٢ ـ إذا كان في المبتدأ ضمير يعود إليه ، لئلا يعود الضمير على متأخرٍ لفظاً ورتبة ، نحو : ﴿ أم على قلوبٍ أقفالُها ﴾ (محمد : ٢٤) ونحو قول نصيب أو المجنون :

أهابُك إجلالاً وما بك قدرةٌ   عليّ ، ولكن مِلءُ عينٍ حبيبُها

---

(١) بين النحاة خلاف في جواز وقوع الجملة الانشائية خبراً للمبتدأ ، أو لما أصله مبتدأ ، كأسماء الأفعال الناقصة والأحرف المشبهة بالأفعال ، وثمة شواهد ترجح ـ على قلتها ـ ذلك ، كقول الجُميح :

ولو أصابت لقالت وهي صادقة   إن الرياضة لا تُنْصِبْكَ للشيبِ

٣ ـ إذا حصر الخبر في المبتدأ : ما شاعر إلا أخوك .

٤ ـ إذا كان نكرة غير مفيدة مخبراً عنه بظرف أو جار ومجرور مثل : في يدي كتاب ، وعندي مالٌ .

ذكره وحذفه

يجوز حذف الخبر إذا دل عليه دليل نحو : أنت عالم وأبوك . أي : وأبوك عالم . إلا أنه لم يحذف وجوباً في بعض المواضع ، وهي :

١ ـ إذا كان المبتدأ لفظاً من ألفاظ القسم الصريحة مثل : لعمرك لأزورنّك . أي : لعمرك قسمي .

٢ ـ إذا كان الخبر كوناً عاماً مثل : لولا أنت لم أبلغ ما أتمنى . أما إذا كان كوناً خاصاً فيذكر ، فقد ورد في الحديث : لولا قومُك حديثو عهدٍ بكفرٍ لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم[1] .

٣ ـ أن يقع بعد اسم مسبوقٍ بواو بمعنى « مع » مثل : أنت وشأنُك . أي : متروكان .

٤ ـ أن تغني عنه حال لا تصلح أن تكون خبراً ، مثل : أكلي الحلوى واقفاً ، وأخطبُ ما يكون الأمير واقفاً . والمبتدأ هنا يكون إما مصدراً مضافاً إلى معموله ، كما في المثال الأول ، وإما اسم تفضيل مضافاً إلى مصدر صريح أو مؤول كما في المثال الثاني .

الفاعل أو نائب الفاعل الساد مسد الخبر

وقد يغني عن الخبر غير الحال ، وهو الفاعل أو نائبه ، إذا كان المبتدأ وصفاً معتمداً على نفي أو استفهام ، تقول : أقائم أخواك ؟ فـ : قائم مبتدأ ، وهو وصف ، لأنه مشتق ، وقد سبق بهمزة الاستفهام ، و« أخواك » فاعل له ، سد مسد الخبر ، ومثله قولك : ما قائم أخواك . ومن الشواهد الفصيحة قول عمر بن أبي ربيعة :

(١) جعل منه ابن الشجري في أماليه (٢/ ٢١١) قوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ﴾ وقوله : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ﴾ .

أبــاكــرةٌ فــي الظــاعنيــن رميــمُ   ولم يُشْفَ متْبولُ الفؤادِ سَقيمُ

فـ : رميم ، فاعل سد مسد الخبر . ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أقاطنٌ قوم سلمى أم نوَوْا ظعناً   إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

فـ : قوم : فاعل سد مسد الخبر .

أما ما جاء فيه نائب الفاعل ساداً مسد الخبر فمنه قول النابغة الذبياني :

ألــم أقســم عليـك لتخبـرنّـي   أمحمولٌ على النعشِ الهُمامُ

فـ : الهمام : نائب عن الفاعل ساد مسد الخبر .

على أنه إذا كان المبتدأ مفرداً وفاعله أو نائبه الذي يسد مسد خبره مفرداً أيضاً ، جاز وجه آخر من الإعراب ، هو أن يكون المبتدأ خبراً مقدماً ، وفاعله أو نائبه مبتدأً مؤخراً ، كما في قول عمر وقول النابغة السابقين ، أما إذا كان المبتدأ مفرداً وخبره غير مطابق له في العدد فليس إلا الإعراب الذي ذكرنا .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربُّك بظلام للعبيد﴾ (فصلت : ٤٦) .

٢ ـ ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما أنت منذر ، ولكل قوم هادٍ ﴾ (الرعد : ٧) .

٣ ـ قال عروة بن حزام :

يقولُ ليَ الأصحابُ إذْ يَعْذِلونني   أشـوقٌ عـراقـيٌّ وأنـت يمـانـي ؟

٤ ـ وقال عروة أيضاً :

أنــاسيــةٌ عفـراءُ ذكـري وإنمـا   تركتُ لها ذكراً بكل مكانِ ؟

* * *

الأحرف المشبهة بالفعل

في العربية أدوات تدخل على الجملة الاسمية المؤلفة من مبتدأ وخبر ، فتنصب أولهما ، وترفع الثاني ، هي : إنَّ ، أنَّ ، كأنَّ ، لكنَّ ، ليت ، لعلَّ ، لا .

وقد شبهها النحاة بالفعل ، للأسباب الآتية :

١ ـ عملها :

فكما أن الفعل المتعدي إلى مفعول واحد يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً ، كذلك تنصب هذه الأحرف وترفع ، فكل أداة منها تعمل في الاسم عملين : النصب والرفع ، وكذلك الفعل .

٢ ـ بناؤها :

وتبنى هذه الأدوات ـ ما عدا « لا » ـ على الفتح ، كما يبنى الفعل الماضي تماماً .

٣ ـ أصولها :

ويتألف كل منها من ثلاثة أحرف ـ ما عدا « لا » أيضاً ـ كالفعل الثلاثي .

٤ ـ معانيها :

وتؤدي خمسة معانٍ يؤديها في العربية الفعل عادةً ، وهي : التوكيد ، الذي تؤديه « إنَّ ، وأنَّ » ، والتشبيه في « كأنَّ » والاستدراك في « لكنَّ » ، والتمني في « ليت » والترجي في « لعَلَّ » .

٥ ـ دخول نون الوقاية عليها :

وتدخل عليها نون الوقاية كما تدخل على الأفعال : إنني ، أنني ، كأنني ، لكنني ، ليتني ، لعلني ، ويكثر في الأخيرة أن تأتي بغيرها ، كقول الشاعر :

وإني لمهد نظرةً قِبَلَ التي لعلي وإن شطت نواها أزورُها

ومثلها : إنَّ ، وأنَّ ، وكأنْ ، ولكنَّ .

١ ـ عملها

١ ـ عملها العام :

قلنا : إن هذه الأحرف تنصب المبتدأ ، وترفع الخبر[١] ، كقولك : إن خالداً سيفُ الله . والمعطوفات على أسمائها تنصب مثلها ، مثل : ليت أخاك وأباك يلتقيان في دمشق ، على أنه يجوز رفع المعطوف على اسم : إنَّ ، أو أنَّ ، أو لكنَّ ، بعد مجيء الخبر ، تقول : إن سعيداً هنا وأخوه . أي : وأخوه هنا . وتكون الواو عاطفة جملة على جملة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ . . . أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه ﴾ (براءة : ٣) أي : ورسولُه بريء أيضاً .

وكذلك يجوز النصب والرفع في المعطوف على اسم إحدى هذه الأدوات الثلاث قبل مجيء الخبر . تقول : إن أخاك وأبوك هنا . ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاَ هم يحزنون ﴾ (المائدة : ٦٩) . فقوله : الصابئون ، معطوف على محل اسم « إن » وهو الرفع[٢] .

ومن هذا قول ضابيء البرجمي في إحدى روايتيه :

فمن يكُ أمسى في المدينة رحله ... فإني وقيارٌ بها لغريبُ

ويروى : وقياراً .

٢ ـ تخفيفها وعملها :

وإذا خففت : إن ، وأن ، وكأنْ ، ولكنَّ ، يكون عملها على الشكل التالي :

آ ـ عمل « إن » المخففة :

إذا خففت فالأكثر إهمالها ، وتلحق بخبرها اللام الفارقة[٣] ، نحو : إنْ

(١) يرى بعض النحاة أن عملها مقتصر على نصب المبتدأ ، أما الخبر فيبقى مرفوعاً بما كان مرفوعاً به قبل أن تدخل في الكلام ، والخلاف هنا صناعي نظري .

(٢) وللنحاة رأي آخر ، وهو أن تكون الواو اعتراضية ، وما بعدها مبتدأ ، وخبره مقدر ، والجملة معترضة .

(٣) سميت هذه اللام فارقة لأنها تَفْرُقُ بين « إن » النافية التي تعمل عمل « ليس » ، =

سعيدٌ لكريم . ويجوز إعمالها فلا تلزمها اللام ، إنْ سعيداً كريمٌ .

ويكثر دخول « إن » المهملة على النواسخ من الأفعال : كان ، كاد ، ظن ، وأخواتها ، وتلحق اللام الفارقة المعمول الثاني لهذه الأفعال ، مثل : ﴿ وإنْ كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله ﴾ (البقرة : ١٤٣) ﴿ وإنْ يكاد الذين كفروا ليُزلقونكَ بأبصارهم ﴾ (القلم : ٥١) ﴿ إنْ وجدناأكثرهم لفاسقين ﴾ (الأعراف : ١٠٢) ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ، وإنْ نظنك لمن الكاذبين ﴾ (الشعراء : ١٨٦) .

ويقل دخولها على غير النواسخ ، كقول العرب : إنْ يَزِيُنك لنفسُك ، وإن يشينُكَ لهيَهْ . وكقول عاتكة بنت زيد ، زوج الزبير ، لقاتل زوجها :

شَلَّتْ يمينُك إنْ قتلتَ لمسلماً حلتْ عليك عقوبةُ المتعمِّدِ

وقد تحذف اللام الفارقة في الشعر ، إن كان الكلام يدل على أنَّ « إنْ » فيه مخففة لا نافية ، كقول الطرماح بن حكيم :

أنا ابنُ أباةِ الضيم من آل مالكٍ وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادنِ

ب ـ عمل « إنْ » المخففة :

إذا خففت « أن » بقي عملها ، إلا أن اسمها يكون ضمير شأن ، أو ضميراً ليس للشأن ، وخبرها جملة ، نحو قولك : علمتُ أنْ سعيدٌ كريمٌ . والتقدير : علمت أنه سعيد كريم . أي : أن الشأن أو الحقيقة ، سعيد كريم ، ومثل قوله تعالى : ﴿ ونعلمَ أنْ قد صَدَقْتَنا ﴾ (المائدة : ١١٣) أي : أنك قد صدقتنا . ومثله : ﴿ فلما خرَّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعْلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ (سبأ : ١٤) أي : أنهم لو كانوا . . ففي المثال الأول جاء اسمها ضمير شأن ، وفي الآيتين جاء ضميراً لغير الشأن .

وقد ورد في كلام العرب شواهد ظهر فيها اسم « أن » المخففة ضميراً بارزاً ، كقول جنوب بنت العجلان ترثي أخاها :

لقد علم الضيفُ والمرملون إذا اغبرَ أفقٌ وهبتْ شمالا
بأنكَ ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ وأنكَ هناك تكون الثمالا

= و« إنْ » المخففة .

وتسبق « أن » المخففة بفعل من أفعال اليقين ، كما ترى في قول جنوب السابق وفي قول الأعشى الآتي :

في فتيةٍ كسيوفِ الهندِ قد علموا   أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفى وينتعِلُ

ومثله قول تميم بن أبي بن مقبل :

ألم تعلمْي أن لا يذِمُّ فُجاءتي   دخيلي إذا اغبرَّ العِضاهُ المُجَلَّحُ(١)

أما الجملة التي تكون خبراً لـ « أنْ » فلا تخلو أن تكون اسمية أو فعلية ، فإن كانت اسمية لم تحتج إلى كلام وتفصيل ، أما إن كانت فعلية فمن الواجب أن يكون بينها وبين « أن » فاصلٌ من إحدى هذه الأدوات : قد ، التسويف ، النفي ، لو . إلا إذا كان الفعل جامداً أو للدعاء ، فإنه لا يحتاج إلى فاصل . انظر إلى هذه الشواهد : ﴿ ونعلم أنْ قد صدقتنا ﴾ (المائدة : ١١٣) ﴿ علم أنْ سيكون منكم مرضى » (المزمل : ٢٠) ، وقال جرير :

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتُل مِربَعاً   أبشرْ بطولِ سلامةٍ يا مِرْبَعُ(٢)

﴿ أيحسبُ الإنسانُ أنْ لن نجمعَ عظامه ﴾ (القيامة : ٣) . ﴿ أيحسب أنْ لم يَرَهُ أحد ﴾ (البلد : ٧) . ﴿ أوَ لمْ يهدِ للذين يرثون الأرضَ من بعد أهلها أنْ لو نشاءُ أصبناهمْ بذنوبهم ﴾ (الأعراف : ١٠٠) ففي هذه الشواهد جاءت الفواصل بين « أن » والجملة الفعلية ، لأن أفعالها متصرفة ، وليست للدعاء ، أما قوله تعالى : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (النجم : ٣٩) فلم يقم فاصل بينها وبين الجملة الفعلية ، لأن « ليس » فعل جامد ، ومثل ذلك قول زهير بن أبي سُلمى :

تالله قد علمت سَراةُ بني   ذبيانَ عامَ الحبس والأصْرِ

أنْ نعم معترك الجياع إذا   خَبَّ السفيرُ وسابيءُ الخمرِ(٣)

(١) الدخيل : هنا خاصة الرجل وصحبه . والعضاه : شجر ذو شوك . والمُجَلَّحُ : الذي أكل حتى لم يترك منه شيء ، واغبراره وأكله كناية عن القحط . يمدح نفسه بأنَّ صديقه إذا فاجأه وقت القحط يجد عنده ما يريد .

(٢) مِرْبع ، لقب لرَاوي جرير ، واسمه وعوعة بن سعيد .

(٣) السفير : الورق تطيره الريح . وخب : أسرع في المشي . وسابيء الخمر : مشتريها .

جـ ـ عمل « كأن » المخففة :

وهذه الأداة في تخفيفها تشبه « أنَّ » من حيث بقاء عملها ، ويكون اسمها ضميراً ، للشأن أو لغيره ، فإن كان للشأن وجب أن يكون خبرها جملة ، لأن ضمير الشأن لا يفسر ـ على الأكثر ـ إلا بجملة ، مثل : كأنْ أخوك يثق بك . أي : كأن الشأن . .

وإن لم يكن ضمير شأن جاز أن يكون الخبر جملة ، وجاز أن يكون مفرداً ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ فجعلناها حصيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمس ﴾ (يونس : ٢٤) ، والتقدير : كأنها لم تَغْنَ . ومن الثاني قول باغت بن صريم اليشكري[1] :

ويوماً توافينا بوجه مُقَسَّمٍ ... كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السَّلَمْ[2]

أي : كأنها ظبية[3] .

د ـ عمل « لكن » المخففة :

إذا خففت بطل عملها ، ودخلت على الجملتين : الاسمية والفعلية ، مثل : الحديقةُ جميلةٌ لكنْ أشجارها صغيرة . وذهبوا لكنْ بقي سعيدٌ . ومنه قول زهير :

إن ابنَ وَرْقاءَ لا تُخشى بوادِرُهُ ... لكنْ وقائِعُهُ في الحرب تُنْتَظَرُ

٣ ـ اتصال « ما » بها وعملها :

ومما يتعلق بعمل الأحرف المشبهة اتصال « ما » غير الموصولة بها ، فإذا اتصلت كفَّتْها عن العمل ، وأزالت اختصاصها بالأسماء ، إلا « ليت » ،

(١) نسبه صاحب الإنصاف إلى زيد بن أرقم اليشكري ، ونسبه صاحب الدرر اللوامع إلى علياء بن أرقم اليشكري . انظر الإنصاف المسألة : ٢٤ ، والدرر اللوامع : ١/١٢١ .

(٢) تعطو : تتطاول . والسلم : شجر معروف بالبادية .

(٣) وبعض العرب يظهر اسم « كأن » المخففة ، كقول الشاعر :

ووجه مشرق النحر ... كأنْ ثدييهِ حُقَّانِ

فقد روى سيبويه البيت على وجهين ، مرة : كأن ثدياه حقان (الكتاب : ١/٢٨١) ، ومرة : كأن ثدييه حقان ، (نفسه : ١/٣٨٣) وقاس عليه كلاماً نقل إليه عن العرب في إعمال « إنَّ » حين تخفف .

فإنها يجوز فيها الإعمال والإهمال ، مثل : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) ﴿ إنما يخشى الله من عبادِه العلماءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) ﴿ كأنما يساقون إلى الموت ﴾ (الأنفال : ٦) . ﴿ يوحى إليَّ أنما إلٰهُكم إلٰهٌ واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) ، وقال امرؤ القيس :

ولكنما أسعى لمجدٍ مُؤثَّلٍ ... وقد يدرك المجدَ المؤثَّلَ أمثالي

فهذه الأدوات دخلت في الشواهد على الجمل الاسمية والجمل الفعلية ، وبطل عملها ، لاتصال « ما » بها . أما « ليت » فيجوز إعمالها إذا اتصلت بها « ما » ، ويجوز إهمالها ، كقول النابغة :

قالت ألا ليتما هذا الحمامَ لنا ... إلى حمامتنا أو نصفه فقَدِ

وقد ذكر سيبويه أن رؤبة بن العجاج ـ وهو أحد من يحتج بهم من الفصحاء ـ كان ينشد هذا البيت رفعاً ، ولذلك عَدَّ إهمال « ليت » حسناً .

٢ ـ أخبارها

الكلام على أخبار هذه الأدوات لا يختلف كثيراً عما مَرَّ بنا في خبر المبتدأ وإليك بيانه :

١ ـ نوع الخبر :

قد يكون مفرداً ، مثل : إن سعيداً كريمٌ ، أو جملة نحو : ليت سعيداً يزورنا ، وكقول زهير :

إن الخليطَ أجَدَّ البينَ فانفرقا ... وعُلِّقَ القَلْبُ من أسماءَ ما عَلِقا

وقد يكون محذوفاً تتعلق به شبه جملة مثل : إن سعيداً في الدار ، وإن القمر بين الغيوم . وقد يكون مصدراً مؤولاً ، مثل : إن الرجولةَ أن تقوم بالواجب ، والتقدير : إن الرجولة قيامُك بالواجب .

٢ ـ حذف الخبر جوازاً :

ويحذف جوازاً إذا دل عليه دليل ، ولاسيما في جواب السؤال ، مثل : أتذهب معنا ؟ ليتني ، أو لعلي . ومنه قول الأعشى :

إنَّ محـــلاً وإن مُـــرْتَحـــلا وإن في السَّفْرِ إذ مضوا مَهَلا

والتقدير : إن لنا محلاً ، وإن لنا مرتحلا ، ومثله قول الأخطل :

خَـلا أن حيـاً مـن قـريـشٍ تفضلـوا على الناسِ ، أو أن الأكارِمَ نهشلا

أي : أن الأكارم نهشلاً تفضلوا كذلك .

وكثيراً مـا يحـذف خبـر « لا » النـافيـة للجنس كقـولهـم : لا بـأسَ ، لا ضَيْر ، لابُدَّ منه . لا إله إلا الله[1] .

٣ ـ حذف الخبر وجوباً :

ويحذف الخبر وجوباً إذا كان كوناً عاماً ، كما رأينا في خبر المبتدأ ، نحو : إن الأرضَ في الفضاء . وإن السعادة في القناعة . ويحذف وجوباً أيضاً في العبارة المسموعة : ليت شعري ، كقول مالك بن الريب :

ألا ليـت شعـري هـل أبيتَـنَّ ليلـةً بجنب الغضى أزجي القِلاصَ النواجِبا

وتقديره : ليت علمي بمبيتي حاصل .

٤ ـ تأخير الخبر :

ولا يجوز أن يتقدم الخبر على الاسم ، إلا إذا كان كوناً عاماً تتعلق به شبه جملة ، نحو : إن في القناعة كنزاً ، وإن في البيان سحراً .

٣ ـ كسر همزة إنَّ وفتحها

تستعمل « إن » مكسورة الهمزة حيناً ، ومفتوحة حيناً آخر ، ولذلك ثلاث حالات : ففي مواضع من الكلام لا تكون إلا مكسورة ، وفي أخرى لا تكون إلا مفتوحة ، وفي غيرها يجوز الكسر والفتح ، وذلك على الشكل التالي :

آ ـ متى يجب كسر همزة « إن » :

تكسر همزة « إن » وجوباً في المواضع الآتية :

---

(١) والتقدير : لا إله موجود إلا الله . ولفظ الجلالة بدل من محل « لا » واسمها ، أو من الضمير المستتر في الخبر المقدر .

١ ـ إذا وقعت في أول الكلام ، مبتدأ بها أصلاً أو مستأنفاً بها كلام جديد ، مثل : إن أخاك قادم . ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾ (البقرة : ١٤) . مرِض حتى إنهم لا يرجونه . جاء سعيدٌ بل إنه لم يجيء . وقال الحطيئة :

دعِ المكـــارمَ لا تـــرحـــلْ لبُغيتهـــا واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

ففي الجملة الأولى وقعت في ابتداء الكلام ، وكذلك في الآية ، حيث وقعت بعد أداة تنبيه ، وفي المثال الثالث وقعت بعد « حتى » ، وهي هنا حرف ابتداء ، ومعنى هذا أن الكلام بعدها مستأنف ، وكذلك وقوعها في المثال الرابع بعد « بل » التي هي هنا حرف ابتداء يفيد الإضراب الإبطالي ، أما في بيت الحطيئة فقد وقعت بعد الفاء التعليلية المستأنفة .

٢ ـ إذا تصدرت جملة محكية بعد القول ، نحو : ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونُها ﴾ (البقرة : ٦٦) .

٣ ـ إذا تصدرت جملة جواب القسم ، مثل : والله إني لذاهب ، ومثل : ﴿ لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون ﴾ (يوسف : ١٤) .

٤ ـ إذا تصدرت جملة صلة الموصول ، كقوله تعالى : ﴿ وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوءُ بالعُصبة أولي القوة ﴾ (القصص : ٧٦) .

٥ ـ إذا وقعت بعد واو الحال مباشِرة إياها ، كقوله : ﴿ كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ (الأنفال : ٥) .

٦ ـ إذا وقعت في خبرها اللام المؤكدة ، وهي التي تسمى اللام المزحلقة ، نحو : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (المنافقون : ١) .

٧ ـ بعد « حيث » كقولك : قعدت حيث إن أخاك قاعدٌ .

ب ـ متى يجب فتح همزتها :

ويجب فتح الهمزة إذا سُبك منها ومما يليها مصدر ، وقد يكون هذا المصدر رفعاً أو نصباً ، أو جراً .

١ ـ يكون رفعاً إذا كان فاعلاً مثل : ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلناه ﴾ (العنكبوت : ٥) ، أي : أولم يكفهم إنزالنا إياه . أو كان نائباً عن الفاعل : مثل : ﴿ قل أوحيَ إلي أنه استمع نَفَرٌ من الجن ﴾ (الجن : ١) أي : أوحي

إلي استماعُ نفرٍ من الجن . أو مبتدأ ، مثل : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض . . . ﴾ (فصلت : ٣٩) ، وتقديره : ومن آياته رؤيتك الأرض . أو خبراً عن اسم معنى ، مثل : ظني أنك مسافرٌ .

٢ ـ ويكون نصباً إذا وقع مفعولاً به ، مثل : عرفتُ أنك مسافر ، أي : عرفت سفرَك . أو خبراً لفعل ناقص إذا كان اسمه اسمَ معنى ، مثل : كان ظني أنك مسافر . أو إذا عطف المصدر المسبوك على اسم منصوب ، مثل : « اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين ﴾ (البقرة : ٤٧) ، أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم . أو كان بدلاً من اسم منصوب مثل : ﴿ وإذ يعِدُكُم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ (الأنفال : ٧) وتقديره : يعدكم إحدى الطائفتين كونها لكم .

٣ ـ ويكون جراً إذا سُبق بحرف جر ، مثل : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ (الحج : ٦٢) أو وقع مضافاً إليه مثل : ﴿ إنه لحقٌ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ (الذاريات : ٢٣) ، أي : مثل نطقكم .

جـ ـ متى يجوز الكسر والفتح :

وهناك مواضع يجوز فيها كسر الهمزة وفتحها ، وهي :

١ ـ إذا وقعت بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط ، مثل : من يعملْ بجد فإنه يصل إلى ما يريد . فالكسر على معنى : فهو يصل . والفتح على تقدير : فوصوله حاصل ، ومما جاءت فيه مفتوحة الهمزة قوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأنَّ له نار جهنم خالداً فيها ﴾ (التوبة : ٦٣) .

٢ ـ بعد « إذا » الفجائية كهذا البيت الذي سمعه سيبويه من بعض الأعراب :

وكنت أرى زيداً ـ كما قيل ـ سيداً ‏ ‏ ‏ ‏ إذا إنــه عبــدُ القفــا واللهــازم

فقد أنشده الأعرابي بكسر همزة « إنَّ » ، وتقديره على هذا : إذا هو عبد القفا . ويجوز فتح الهمزة ، ويكون التقدير : إذا عبوديته ظاهرة .

٣ ـ أن تقع في صدر جملة للتعليل غير مسبوقة بفاء ، كقوله : ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه ، أنه هو البر الرحيم ﴾[1] (الطور : ٢٨) ، فالفتح على

(١) قراءة الجمهور بالكسر ، وقرأ نافع والكسائي بالفتح .

تقدير : لبره ورحمته . والكسر على تقدير : فهو البر الرحيم .

٤ ـ أن تقع في صدر جواب القسم ، على أن يكون لفظ القسم : حلفت ، أو أقسمت ، أو ما شابههما وليس في خبرها اللام المزحلقة ، مثل : حلفتُ أني آتٍ . فالكسر على أن الجملة جواب القسم[١] ، والفتح على تقدير حرف الجر « على » .

٤ ـ وقوع اللام في خبر « إن » أو اسمها

يجوز أن تدخل لام الابتداء على خبر « إنَّ » المكسورة الهمزة ، كقولك : إن البحر لهائجٌ ، والأصل في هذه اللام أن تدخل على المبتدأ ، فلما دخلته « إنَّ » التقى مؤكدان ، فبقيت فيه « إن » وزحلقت اللام إلى الخبر ، ولذلك سميت المزحلقة .

ويشترط لدخولها عليه أن يكون الخبر مؤخراً ، ومثبتاً ، وغير ماضٍ . مثل : ﴿ إنَّ ربي لسميع الدعاء ﴾ (إبراهيم : ٣٩) . ﴿ إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة ﴾ (النحل : ١٢٤) ﴿ إنك لعلى خلقٍ عظيم ﴾ (القلم : ٤)[٢] .

وقد تدخل هذه اللام على اسم « إنَّ » إذا تأخر عن الخبر ، مثل : إنَّ من البيانِ لسحراً . ﴿ إن في ذلك لعبرةً ﴾ (النازعات : ٢٦) ، وتدخل على ضمير الفصل مثل : ﴿ إن هذا لهو القصَص الحق ﴾[٣] (آل عمران : ٦٢) .

---

(١) لا يرى بعض النحاة غير هذا المذهب ويمنع غيره .

(٢) أجاز بعضهم دخول اللام على الخبر إذا كان ماضياً جامداً ، مثل : إن زيداً لنعم الرجل . وأجاز آخرون دخولها على الماضي المقرون بـ « قد » مثل : إن زيداً لقد قام .

(٣) أجاز بعض النحاة دخول اللام على أخبار بعض أخوات « إن » ، ولديهم شواهد قليلة ، منها قراءةُ سعيد بن جبير : ﴿ إلا أنهم ليأكلون الطعام ﴾ (الفرقان : ٢٠) والقراءة اليوم بكسر همزة « إن » ، ومنها قول الراجز أبي حزام العكلي :

ألـم تكـنْ حَلَفْـتَ بـالله العَلـي ... أنَّ مطاياكَ لمن خيرِ المَطي

وقول الشاعر : ولكنني من حبها لعميدُ .

٥ ـ الكلام على « لا » النافية للجنس

١ ـ معناها :

إذا قلت : لا رجلَ في الدار . دلت « لا » على استغراقِ نفي جنس الرجال ، أي : ليس في الدار أحد يتصف بأنه رجل ، ولكن قد يوجد فيها أولاد ونساء و . . . وإذا قلت : لا كتابَ على الطاولة . دلَّ ذلك على أنه لا يوجد شيءٌ من جنس الكتب على الطاولة ، وقد يكون عليها دفاتر أو أقلام .

« لا » إذاً تنفي الجنس ، وتفيد استغراق نفيه ، ولذلك لا يقال : لا كتابَ على الطاولة بل كتابان ، ولا رجلَ في الدار بل رجلان ، أو رجال كثيرون .

عملها وشروطه :

وهي محمولةٌ في العمل على « إنَّ » كما يحمل الضد على ضده ، فتنصب المبتدأ ، وترفع الخبر ، ولكن على وفق شروط خاصة ، هي :

آ ـ أن يكون اسمها وخبرها نكرتين ، مثل قول الفرزدق :

فلا قومَ شَرٌّ منهمُ غيرَ أنهم   تظنهـمُ أمثـالَ تُـركٍ وكـابـلِ

وقد يكون خبرها في ظاهره مضافاً إلى معرفة ، ولكنه نكرة على الرغم من ذلك ، كأن يكون اسماً مغرقاً في التنكير ، فلا تكسبه الإضافة حينئذٍ تعريفاً ، كقول الفرزدق :

شـآميـةٌ غبـراءُ لا غـولَ غيـرُهـا   إليها من الدنيا الغَرورِ انصرامُها

فقوله : غيرُها خبر « لا » ، وهو كما ترى مضاف إلى الضمير ، ومع ذلك لم يكتسب منه التعريف ، لأن « غير » اسم مغرقٌ في التنكير .

وكذلك قد يكون اسمها من هذا الضرب ، قال ذو الرمة :

هي الدارُ إذ ميٌّ لأهلك جيرةٌ   ليـالـيَ لا أمثـالهـنَّ ليـاليـا

فقوله : أمثالهن . اسم « لا » ، وهو نكرة على الرغم من إضافته إلى الضمير ، لأن « مثل » وجمعها ، مغرقان في التنكير .

ب ـ أن يكون اسمها معرفة مؤولة بنكرة : وذلك أن يكون اسم علم ، لم

يُرَد منه مسمى معين محدد ، بل يقصد منه كلُّ مَنْ يشبه المسمى به في الصفات ، وذلك كقول الرسول ﷺ . « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصرَ بعده » فالعلمان : كسرى ، وقيصر ، الواردان بعد « لا » لا يعينان واحداً ، وإنما أريد منهما الشيوع ، فكأنه قال : فلا ملكَ بعدهما يسمى قيصر أو كسرى .

وقد ورد اسم « لا » في بعض النصوص كالمعرفة في الظاهر ، من ذلك ما قاله الخليفة عمر رضي الله عنه : قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها . وقال أبو سفيان : لا قريشَ بعد اليوم . وقيل : لا بصرةَ لكم . وقال الفرزدق :

لتمنعه قيسٌ ولا قيسَ عنده إذا ما دعا أو يرتقي في السلالمِ

وقال عبد الله بن الزّبير :

أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ نكِدْنَ ولا أميةَ في البلاد

ففي هذه النصوص نجد الأعلام كأنها معارف ، لأنها توهم الإشارة إلى معيَّنٍ مُحدَّد ، إلا أن أسماء العلم في بعض الأحيان تخرج عن هذا إلى الشيوع ، فإذا قلتَ : مررتُ بعدنانَ وعدنانٍ آخر ، فثاني العلمين هنا ليس معرفة ، لأنك أردت : مررت بعدنان وبرجلٍ يشبهه . وكذلك في النصوص السابقة ، فقول عمر السابق لا يعني أنه يريد الإمام علياً نفسه ، ولكنه نفى أن يكون لهذه القضية رجل يقدر على حلها ، وإن كانت له صفات علي ، فكأنه قال : قضية لا يحلها علي ولا غيره من المتفقهين الأفذاذ . وكذلك يمكن أن يؤول قول أبي سفيان : لا مثلَ قريش بعد اليوم . وهكذا الأمثلة الأخرى .

جـ ـ والشرط الثالث لعمل « لا » ألا يفصل بينها وبين اسمها بفاصل ، فهناك أحرف تلازم ما تعمل فيه ، ولا تنفصل عنه ، منها « لا » النافية للجنس ، و« من » الزائدة ، و« رُبَّ » ، وهي جميعاً تلازم النكرات ، فلا يقال : لا فيها رجلَ . ولا : ما من فيها رجلٍ ، ولا : رب فيها رجلٍ . وإذا فصل بين « لا » واسمها رفع على الابتداء ، وكررتْ في الجملة بعد العطف ، كقوله تعالى : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفون ﴾ (الصافات : ٤٧) .

د ـ وآخر هذه الشروط ألا يدخلَ عليها حرف الجر ، فإذا دخل أبطل عملها ، وجر اسمها الذي كان مبنياً على الفتح ، أو منصوباً ، كما في قول ابن ميادة :

وارتشْنَ حين اردْنَ أن يرمِيننا نبلاً بلا ريشٍ ولا بقِداحِ[1]

فالأصل : نبلاً لا ريشَ لها . فلما دخلت الباء بطل عمل « لا » وبقي العمل للباء . وكذلك تقول : غضب فلانٌ من لا شيءٍ .

هـ ـ إذا تكررت « لا » جاز إعمالها وإهمالها ، وجاز إعمالُ الأولى وإهمالُ الثانية ، والعكس ، قال مجنون ليلى :

أظنُّ هواها تاركي بِمَضَلَّةٍ من الأرضِ لا مالٌ لديَّ ولا أهْلُ

فقد أهمل لا ، فرفع ما بعدها على الابتداء .

وقال أنس بن العباس بن مرداس :

لا نسبَ اليومَ ولا خُلَّةً اتسع الخرق على الراقع

فقد أعمل الأولى وأهمل الثانية ، و« خلةً » معطوف على اسم « لا » ، فانتصب بالعطف عليه ، لأن محله النصب . وقال همام بن مرة :

هذا لعَمْرُكم الصَّغارُ بعينِهِ لا أمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

أعمل الأولى وأهمل الثانية كذلك ، وأبٌ : مرفوع لأنه مبتدأ ، وخبره مضمر وجوباً لأنه كون عام ، والتقدير : ولا أبٌ كائنٌ لي[2] . وقال أمية بن أبي الصلت :

فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَيْنٌ ، ولا فيها مُليمُ

أهمل الأولى وأعمل الثانية ، وعلى هذا يكون « لغو » مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر « الثانية » .

٣ ـ أحوال اسمها وخبرها :

ـ إعراب اسمها وبناؤه : يكون اسمها معرباً منصوباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ، مثل : لاغلامَ رجلٍ حاضرٌ . ويكون مبنياً على ما تكون علامة النصب فيه إذا كان غير مضاف أو شبيهٍ بالمضاف ، تأمل هذه العبارة : لا كتابَ على الطاولة . تجدْ كلمة : كتاب ، مبنية على الفتح ، لأنها اسم معرب علامة النصب فيه الفتحة . وانظر إلى ما قال جرير :

(١) ارتاش السهم : ركب عليه الريش ، ويقصد بالنبل أعينهنّ .

(٢) ولك أن تعرب « أب » اسماً معطوفاً على محل « لا » واسمها : ومحلهما الرفع على الابتداء كما مَرَّ من قبل .

بـأي بـلاء يـا نميـرُ بـنَ عـامـرٍ وأنتم ذُنابى ، لا يَدَيْنِ ولا صَدْرُ

فقد بنيت فيه الكلمة « يدين » على الياء ، لأنها مثنى ، علامة النصب فيها الياء . وانظر أيضاً إلى قول الشاعر :

يُحْشـرُ النـاس لا بنيـنَ ولا آ بـاءَ إلا وقـد عَنَتْهـمْ شـؤونُ

فقوله : بنين ، ملحق بجمع المذكر السالم ، وعلامة النصب فيه الياء ، ولذلك تراه هنا مبنياً عليها بعد « لا » .

أما جمع المؤنث السالم فعلامة النصب فيه كسرة تنوب عن الفتحة ، فإذا وقع اسماً لِـ « لا » النافية للجنس ، كان لك فيه وجهان : أولهما أن تبنيه على الكسر ، والثاني أن تبنيه على الفتح . وقد سُمع بيتٌ للشاعر سلامة بن جندل بالوجهين كليهما ، وهو قوله :

أودى الشبابُ الذي مجدٌ عواقِبُهُ فيه نَلَذُّ ، ولا لذَّاتِ للشيبِ[1]

ـ تابع اسمها : إذا نعت اسمها المبني أو عطف عليه جاز في التابع النصب على اللفظ ، والرفع على محل « لا » واسمها ، لأن محلهما الرفع على الابتداء ، نحو : لا رجلَ في الدارِ وامرأةً ، ولا رجلَ سفيهاً عندنا ، أو لا رجلَ في الدارِ وامرأةٌ ، ولا رجلَ سفيهٌ عندنا ، وعلى الوجه الأول قول الشاعر :

فلا أبَ وابناً مثلَ مروانَ وابنِهِ إذا هـو بـالمجـدِ ارتـدى وتـأزَّرا

ويجوز فيه وجه ثالث وهو البناء على الفتح إذا كان متصلاً به غير منفصلٍ عنه بفاصل ، نحو : لا رجلَ سفيهَ عندنا .

أما إذا كان معرباً فليس فيه إلا الوجهان : الأول والثاني ، نحو : لا طالبَ علمٍ كسولاً عندنا . ويجوز : كسولٌ ، ولا طالباً علماً كسولاً أو كسولٌ عندنا .

على أن نصب النعت بعد اسمها المعرب أقوى ، وأصح قياساً .

ـ حذف خبرها : وكثيراً ما يحذف خبرها إذا دل عليه دليل ، وقد مر بنا

---

(١) يرى المبرد أن المثنى والجمع السالم لا يبنيان مع « لا » ، بل هما معربان ، لأنهما لا يكونان مع ما قبلهما اسماً واحداً . وهناك من يرى أن اسم « لا » معرب ، مفرداً كان أو غير مفرد . انظر المقتضب : ٣٦٦/٤ ، وابن يعيش : ١٠٦/٢ .

هذا قبل قليل ، أما إذا لم يدل عليه دليل فلا بد من ذكره ، كالحديث : لا أحدَ أغْيرُ من الله ، والحديث : لا فقرَ أشدُّ من الجهل ، ولا مالَ أعزُّ من العقل ، ولا وحشةَ أشدُّ من العجب .

ـ حذف اسمها : أما اسمها فحذفه نادر ، كقولهم ، لا عليك . أي : لا بأسَ عليك .

ملحوظة :

من مشكلات تراكيبها قولهم: لا أبا لك ، ولا أخا لك ، كقول الشاعر :

وتترك أخرى فردةً لا أخا لها

فقد جرى هذا في كلامهم مجرى المثل لكثرته ، ولم يتفق النحاة على رأي في تعليل هذا التركيب ، فقال بعضهم :

١ ـ أبَ : اسم « لا » مبني على الفتح في محل نصب ، والألف بعدها زائدة لإشباع الحركة . ولك : معلقان بخبر محذوف ، وهو أرجح الآراء .

٢ ـ وقال آخرون : أبا : اسم « لا » منصوب معرب ، وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة . واللام في (لك) زائدة . والكاف ، مضاف إليه . واستدل هذا الفريق بقول العرب أحياناً : لا أباك ، كقول أبي حية النميري :

أبالموت الذي لا بُدَّ أني ملاقٍ لا أباكِ تخوفيني

٣ ـ وذهب فريق ثالث إلى أن (أبا) اسم « لا » مبني على فتح مقدر على الألف ، وعومل هنا معاملة الاسم المقصور ، وهو لهجة بعض القبائل ، وعليه قول الشاعر :

إن أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

ولك : معلقان بالخبر .

شواهد للتدريب

١ ـ قال النمر بن تولب :

وأعلمُ أنْ ستدركني المنايا فإلاَّ أتْبِعْها تتبعني

٢ ـ قال الأبيرِد يرثي أخاه بُرَيْداً :

كأن لم يصاحِبْنا بُرَيْدٌ بغبطةٍ ... ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشْرُ

٣ ـ قال عروة بن حزام :

ويا ليت أنَّا الدهرَ في غيرِ ريبةٍ ... خَلِيَّانِ نرْعى القَفْرَ مُؤتَلِفانِ

٤ ـ وقال :

فيا ليت محيانا جميعاً وليتنا ... إذا نحن متنا ضمنا كفنانِ

٥ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

وفي الصبر عمن لا يؤاتيك راحةٌ ... ولكنه لا صَبْرَ عندي ولا لُبُّ

* * *

الاســـمُ المَنصُوبُ

المفعول المطلق

هو مصدر منصوب ، يعمل فيه فعل أو شبهه ، على أن يذكر معه ويكون من لفظه ، مثل : سمعت الخبر سماعاً صحيحاً ، وجاء أخوك راكضاً ركضاً مرهقاً ، وجاؤوا به محمولاً على الأيدي حملاً ، وإن الإعجاب بالنفس إعجاباً زائداً يمنع الإنسان من رؤية عيوبه .

ففي المثال الأول نُصِب المفعول المطلق « سماعاً » بالفعل « سمع » ، وفي الثاني نصب باسم الفاعل « راكضاً » ، وفي الثالث باسم المفعول « محمولاً » ، وفي الرابع بالمصدر « الاعجاب » .

على أنه قد يكون غير مصدر صريح للعامل فيه ، فهناك ألفاظ تنوب مناب المصدر ـ كما سترى ـ وتنصب على أنها مفعولات مطلقة .

ويتنوع المفعول المطلق ، فيكون نكرة كالأمثلة الأربعة المتقدمة ، ويكون معرفاً بـ « أل » نحو : ﴿ فيعذبه الله العذابَ الأكبر ﴾ (الغاشية : ٢٤) ، ويكون معرفاً بالإضافة كقوله تعالى : ﴿ وقد مكروا مكرَهم ، وعند الله مكرُهم ﴾ (إبراهيم : ٤٦) وقوله : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيَها . . . ﴾ (الإسراء : ١٩) .

١ ـ أغراضه

ويستعمل المفعول المطلق لمعنى يؤديه في سياق الكلام ، ولا يخرج هذا المعنى عن أحد ثلاثة أغراض ، هي :

آ ـ بيان النوع :

ويعني هذا أن يكون المصدر مختصاً بالوصف ، كقولك : عمل أخوك عملاً جيداً . فالصفة « جيداً » خصصت المصدر « عملاً » ، وجعلته يؤدي المعنى المطلوب ، وهو بيان نوع الفعل الذي نصبه .

وقد يكون مضافاً نحو : مشى أخوك مَشْيَ الأميرِ . ويرجع هذا في أصله إلى الموصوف ، لأن تقديره : مشى أخوك مشياً مثلَ مشي الأمير . ومن هذا النوع قولهم : رجع القهقرى ، وقعد القُرْفصاءَ ، ونجح في عمله أيَّ نَجاحٍ . فالقهقرى ، والقرفصاء ، وأي : ليست مصادر ، ولكنها نابت عن المصدر ، فصار كل منها مفعولاً مطلقاً لبيان النوع .

ب ـ بيان العدد :

وهذا مصدر مختص أيضاً ، إلا أن وظيفته هنا أن يبيّن عدد الفعل ، كقولك : ضربتُه ضربتين ، فالمصدر « ضربتين » مفعول مطلق بين عدد وقوع فعل الضرب . ومن ذلك قولك : زرتك مرةً ، وجئت إلى بيتك ثلاثاً . فَـ «مرة ، وثلاثاً » نابا مناب المصدر ، فكان كل منهما مفعولاً مطلقاً لبيان العدد .

جـ ـ توكيد حصول الفعل :

وأحياناً يخلو المصدر من معنى خاص يؤديه ، فيكون مبهماً لا يعني غير توكيد وقوع الفعل مثل : ضحك أخوك ضحكاً ، وكقوله تعالى : ﴿ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ (نوح : ١٨) فالمصدران : ضحكاً وإخراجاً ، لم يبينا نوعاً ولا عدداً ، بل أكدا حدوث الفعل ليس غيرُ ، وهذا الضرب من المصادر لا يثنى ولا يجمع .

٢ ـ ما ينوب عن المصدر

الأصل في المفعول المطلق أن يكون مصدراً من لفظ العامل فيه ، إلاّ أن هناك حالاتٍ لا يكون فيها مصدراً ، وينوب عنه فيها مايلي :

١ ـ اسم المصدر : وهو ما دلَّ على معنى المصدر الأصيل ، وكان أقلَّ أحرفاً منه مثل : سلَّمتَ سلاماً . فـ « سلاماً » ليس مصدراً للفعل « سلم » لأن مصدره « تسليم » ومثل : أرضيته رضاً . إذ ناب « رضاً » وهو اسم مصدر ، عن « إرضاء » وهو المصدر الأصيل للفعل « أرضى » . ومنه قوله تعالى :

﴿ واللهُ أنبتكمْ من الأرضِ نباتاً ﴾ (نوح : ١٧) ، فقد حلَّ فيه اسمُ المصدر « نباتاً » محلَّ المصدر « إنباتاً » ، ومنه أيضاً قول شقران مولى سَلامان يمدح قومه :

ثِقالُ الجِفانِ والحلومِ ، رحاهمُ رحى الماءِ يكتالون كيلاً غَذَمْذَما

أي : يكتالون اكتيالاً كثيراً بلا حساب .

٢ ـ مرادفه أو مقاربه : وذلك كقولك : ضحكت ابتساماً . فالابتسامُ مرادفٌ للضحك ، وقد حلَّ محلّ المصدر « ضحكاً » ، ومنه : إني لأكرهه بغضاً ، وكقوله تعالى : ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ (الطارق : ١٧) . أما قولك : قعدتُ جلوساً ، فالجلوس فيه مقاربٌ للقعود لا مرادف له ، لأن القعود يكون من قيام ، أما الجلوس فيكون من اتكاء ، ومن المقارب للمصدر قول الراجز :

يعجبه السَّخونُ والبَرودُ والتَمْرُ حبّاً ما له مَزيدُ

٣ ـ ملاقيه في الاشتقاق : وهذا يختلف عن اسم المصدر ، لأنه قد يكون أكثر أحرفاً من المصدر الأصيل ، فالفعل « تَبتَّلَ » مصدره « تبتُّل » ، ولذلك كان « تبتيلاً » في قوله تعالى : ﴿ وتبتَّلْ إليه تبتيلاً ﴾ (المزمل : ٨) ملاقياً للمصدر بالاشتقاق . ومثله قول امرىء القيس :

فصِرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنَا ورُضْتُ فذلتْ صعبةً أيَّ إذلالِ

فقد ناب « إذلال » مناب « ذُل »[1] .

٤ ـ صفته : مثل أكلتُ كثيراً ، والأصل أكلتُ أكلاً كثيراً ، فلمَّا حذف المصدر نابت عنه صفته ، ومن هذا قولُ ذي الرمة :

تَبَسَّمُ إيماضَ الغمامةِ ، جَنَّها رواقٌ من الظلماءِ في منطقٍ نَزْرِ

والأصل : تبسَّمُ تبسُّماً مثل إيماضِ الغمامة . فحذف المصدر « تبسُّماً » ، فصارت صفته مفعولاً مطلقاً نيابةً عنه ، وصار الكلام : تبسَّمَ مثلَ إيماضِ الغمامة ، ثم حذف المضاف « مثلَ » وحلَّ محلَّهُ المضافُ إليه ، وهذا كثيرٌ في العربية ، كقولك : اسألِ الجامعةَ . أي : طلابَ الجامعةِ ، وسيمرُّ بك هذا في بحث المضاف إليه .

---

(١) يرى بعض النحاة أنّ « تبتيلاً » وأشباهه منصوب بفعل محذوف من لفظه .

٥ ـ كلّ ، وبعض ، وأي ، وحقّ : إذا أضيفت إلى مصدر الفعل المذكور أو شبهه ، كقول المجنون :

وقَدْ يجمعُ اللهُ الشتيتينِ بعدما يَظُنّانِ كل الظنِّ أن لا تلاقيا

وكبيت امريء القيس السابق . . . أيَّ إذلالِ . وكقوله تعالى : ﴿ والذين آتيناهم الكتابَ يتلونَهُ حقَّ تلاوته ﴾ (البقرة : ١٢١) .

٦ ـ نوعه : كقولك : رجعَ القهقرى ، وقعدَ القرفصاءَ ، فالقهقرى ، ليست مصدر الفعل رجع ، ولكنها نابت عنه ، وبيَّنت نوعه ، وكذلك القرفصاءَ ، ومثل ذلك كلمة « الهوينى » في قول الأعشى :

غـرَّاءُ فـرعـاءُ مصقـولٌ عـوارضُهـا تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحِلُ

٧ ـ عدده : مثل : ﴿ إن تستغفرْ لهم سبعينَ مرَّةً فلن يغفِرَ اللهُ لهم ﴾ (التوبة : ٨٠) . وجئت إلى بيتك ثلاثاً .

٨ ـ آلته : وهي التي يستعان بها على الحدث ، كقولك : رميتُهُ سهماً ، وضربته سوطاً ، وأصله : رميته رمياً بالسهمِ ، وضربته ضرباً بالسوط .

٩ ـ ضميرُه : وذلك أنْ يعودَ الضمير إلى مصدرٍ أو اسم مصدرٍ متقدم عليه ، قدْ يكون مفعولاً مطلقاً في إعرابه ، كقوله تعالى : ﴿ فمن يكفرْ بعدُ منكم ، فإني أعذِّبُه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ (المائدة : ١١٥) فالضمير في « لا أعذبه » يعود إلى اسم المصدر « عذاباً » . وهو من حيث الموقعُ الإعرابيُّ مفعولٌ مطلق ، ولكن انظر إلى قول مجنون ليلى :

وكم قائلٍ قد قالَ تُبْ ، فعصيتُهُ وتلـك لعَمـري تـوبـةٌ لا أتـوبهـا

فالضمير في « لا أتوبها » يعود إلى « توبةٌ » ، وهي مصدرٌ وقع خبراً لاسم الإشارة ، ومع هذا يعربُ الضميرُ « ها » مفعولاً مطلقاً ، وكأنه قال : لا أتوبُ توبةً مثلها .

١٠ ـ الإشارة إليه : مثل : أترفضُ هذا الرفضَ ؟ ، وتأبى ذاكَ الإباءَ ؟ . فاسما الإشارة « هذا » و« ذاك » يشيران إلى مصدرين بعدهما ، والأصل : أترفضُ الرفضَ هذا ؟ وتأبى الإباءَ ذاك ؟

١١ ـ بعض أسماءِ الشرط والاستفهام : فمن أسماء الشرط : ما ، مهما ، أي ، ومِنْ أسماءِ الاستفهام : ما ، أي . وذلك إذا دلَّت هذه الأسماء على حدث ، مثل : أيَّ عمل تعمل تربح . ما تعملْ تربحْ . مهما تعملْ تربحْ .

« ما » و « مهما » هنا معناهما كمعنى « أي » . وتقول مستفهماً : أيَّ ضربٍ ضربتَهُ ؟ أو ما ضربتَهُ ؟ وكلاهما بمعنىً واحد .

٣ ـ حذف عامله

النحاة متفقون على أنه يجوز حذف عامل المفعول المطلق غير المؤكد إذا دلَّ عليه دليلٌ ، فإذا قيل لك : أما نمتَ ؟ تقول : بلى ، نوماً هادئاً . أي : نمت نوماً هادئاً . كما تقول للقادم من الحج حجاً مبروراً . أي : حججت حجاً مبروراً .

ولكنهم مختلفون في جواز حذف عامله حين يكون مؤكداً ، فالذين منعوا الحذف قالوا : لا يجوز حذفه لأن المفعول المطلق إنما ذكر لتوكيده وتقرير معناه ، والحذف لا يجتمع مع التوكيد ، وهذه حجة ذهنية لا لغوية ، فقد جاء المجيزون بأمثلةٍ مسموعة مثل : إنما أنت سيراً ، وأنت رحيلاً رحيلاً ، وسقياً ورعياً .

على أن هناك مواضع يجب فيها حذف العامل ، وذلك كمايلي :

١ ـ في الطلب :

إذا ناب المصدر عن فعله ، وكان إنشائياً طلبياً وجب حذف عامله ، كأن يكون للأمر ، مثل : صبراً على الشدائد . وإقداماً في سبيل النجاح . أي : اصبر على الشدائد . وأقدم في سبيل النجاح . أو أن يكون نهياً كقولك : لا توانياً ولا تقاعساً . أو دعاءً مثل : سَقْياً لك .

ومن أنواع الإنشاء الطلبي الاستفهام ، ويشترط فيه هنا أن يدل على توبيخ أو تعجب أو توجع . مثال الأول : أكسلاً وقد جَدَّ الناس ؟ ومثال الثاني : أبُؤساً وضعفَ جسد . ومثال الثالث قول سحيم عبد بني الحسحاس :

أشوقاً ولما يمضِ لي غيرُ ليلةٍ   فكيف إذا خبَّ المطيُّ بنا عَشْرا ؟

٢ ـ في المصادر السماعية :

وهناك مصادر كثيرة سمعت من العرب ، ولم تُسمع أفعالها التي عملت

فيها ، وهي كثيرة : مثل : معاذَ الله ، سبحانَ الله ، لبيك ، سعديك ، حنانيك ، دواليك ، وسُمع منهم مثل هذه العبارات : سمعاً وطاعةً ، أفعله وكرامةً ومسرةً ، لا أفعلُهُ ولا كيداً ولا هماً . أي : لا أفعله ولا أكاد أفعله ، ولا أهم بفعله . وسمع : اغتديتُ ولا اغتداءَ الغراب ، واهتديتُ ولا اهتداءَ القطا . وإنما حذف الفعل هنا ـ أي : في المعطوفات ـ لدلالة الحال على الفعل المقدر ، وإغنائها عنه .

٣ ـ في التفصيل :

وإذا جاء المصدر مفصلاً لمجمل قبله حذف مصدره وجوباً ، كقوله تعالى : ﴿ . . . فشدوا الوثاقَ فإما مَنّاً بَعْدُ وإما فداء ﴾ (محمد : ٤) . فقوله : مَنّاً . تفصيل لقوله : شدوا الوثاق .

٤ ـ في توكيد مضمون جملة :

من مصادر التوكيد قولهم : حقاً ، عرفاً ، البتّةَ . مثل : هذا عمل عظيمٌ حقاً . وكقوله تعالى : « ذلك عيسى بن مريمَ قولَ الحقِّ ﴾ (مريم : ٣٤) . ومثل : لا أراهُ البتَّةَ ولا ألتقي به .

وتستعمل هذه المصادر لتأكيد مدلول الجملة إذا كان المتكلم يشك في تصديق المخاطب ، أو كان يعرف أن المخاطب ينكر عليه ما يقول ، فيزيد شكه أو إنكاره بالمصدر المؤكد .

٥ ـ إذا كان المصدر مكرراً ، أو محصوراً ، أو مستفهماً عنه ، وعامله خبر عن اسم عين :

مثل : أنت سيراً سيراً . ما أنت إلا سيراً . إنما أنت سيراً . أأنت سيراً .

وإنما نصبت هذه المصادر لأنها لا تصلح أن تكون أخباراً لما قبلها ، إلا على سبيل المجاز ، فلا يقال على وجه الحقيقة : أنت سيرٌ سيرٌ ، أو ما أنت إلا سيرٌ . لأن المخاطب ليس « السير » نفسه ، بل هو صاحبه . ولكن إذا أريدت المبالغة في الإخبار قيل : أنت سيرٌ ، كقول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادَّكرتْ ... فـإنمـا هـي إقبـالٌ وإدبـارُ

٦ - إذا كان المصدر فعلاً علاجياً تشبيهياً بعد جملة مشتملةٍ عليه وعلى صاحبه :

وهذه تحتاج إلى شرح وتوضيح لغموضها في كتب النحو :

معنى فعل علاجي : أن يكون الحدَثُ عملاً حسياً ظاهراً ، وأن يكون طارئاً غيرَ ثابت ، كالضرب ، والصياح ، والشتم ، الخ . . . ويقابله المعنوي الذي ليس بعمل ظاهر .

والمثل الذي يدور في كتب النحو على هذه الظاهرة هو : مررتُ به فإذا له بكاءٌ بكاءَ ثكلى . فالمصدر العلاجي : بكاءَ ، وهو تشبيهي لأنه أضيف إلى الثكلى ، والجملة التي سبقته هي : له بكاءٌ ، وقد اشتملت على لفظ المصدر ومعناه ، كما اشتملت على صاحبه ، أي : على الذي أوقع الحدث ، وهو الضمير المستتر في المصدر الذي وقع مبتدأ : بكاءٌ ، وهو يعود إلى ضمير الغائب في قوله : له . وتقدر الجملة : مررت به فإذا هو يبكي بكاءَ ثكلى .

فإذا قلت : بكاؤهُ بكاءُ ثكلى . لا تنصب المصدرَ على أنه مفعول مطلق ، لأنه يفتقر إلى جملة تسبقه وتشتمل على لفظه ومعناه . وإذا قلت : في الدار بكاءٌ بكاءُ ثكلى . لا تنصبه أيضاً ، لأن الجملة التي قبله لا تشتمل على صاحبه ، إذ لا يُعرف مَن الباكي . وإذا قلت : ألممتُ به فإذا له ذكاءٌ ذكاءُ الفلاسفة . فإنك لا تنصب « ذكاء » على أنه مفعول مطلق ، لأنه معنوي لا علاجي .

وهذا التركيب عربي فصيح ، قال النابغة الذبياني :

مقذوفةٍ بدَخيس النحضِ بازِلُها   له صريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[١]

ومن الطبيعي أن يحذف عامل المفعول المطلق في مثل هذا التركيب ،

---

(١) يصف ناقة . النحض : اللحم . ودخيسه : ما تداخل منه وتراكب . والبازل : سن تخرج في العام التاسع من عمر الناقة . والصريف : صوت أنيابها إذا حكت بعضها ببعض ، نشاطاً أو إعياء . والقَعْو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب . والمسد : حبل من ليف أو جلد . وصفها بالقوة والنشاط ، حتى كأنها قذفت باللحم قذفاً لتراكمه عليها .

لأن الجملة التي سبقته تدل عليه دلالة كاملة ، فهي تغني عنه ، وتوجب حذفه، لأنها بمعناه[1] .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً ﴾ (الإسراء : ٦٢) .

٢ ـ قال شقيق بن جَزْء :

بما لم تشكروا المعروف عندي ولـو شئنـا تعـاوَدْنـا عِـوادا

٣ ـ قال جرير :

أعبداً حَلَّ في شُعَبى غريباً ألـؤمـاً لا أبـالـك واغتـرابـا

٤ ـ قال سحيم عبد بني الحسحاس :

إذا شُقّ بُرد شُق بالبُرد برقعٌ دَوَاليكَ حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

٥ ـ قال كثير عزة :

لقد أكثر الواشون فينا وفيكُم ومالَ بنا الواشون كل مَميلِ

* * *

(١) ويجوز فيما تمت شروط نصبه الرفع على البدل .

المفعول به

هو اسم يدل على ما يقع عليه الحدث ، مثل : أكل سمير تفاحةً ، وأغلق الرجلُ عينيه ، وقد يكون اسماً ظاهراً كالتفاحة ، والعينين ، في المثالين السابقين ، وقد يكون ضميراً متصلاً ، مثل : هذا هو الطفلُ الذي أحببتُه . أو يكون ضميراً منفصلاً مثل : إياكَ نعبدُ . أو مصدراً مؤولاً كقولك : أحببتُ أن أراك ، وأردتُ أن تنجح ، أي : أحببت رؤيتك ، وأردتُ نجاحك . وقد يكون جملةً فعلية أو اسمية ، مثل : قال الحكماء : ليس كل ما يلمع ذهباً . وقال علي : إن أخاك قادم . وظننتُ سميراً يحضُرُ .

١ ـ إعرابه

آ ـ يعمل في المفعول به الفعل وبعض ما يشبهه ، كاسم الفعل ، واسم الفاعل ، والمصدر . والأمثلة المتقدمة كلها تبين عمل الفعل فيه ، أما ما عمِلَ فيه اسم الفعل فكقولك : دونك الكتابَ ، وكقول كعب بن مالك :

بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ

في أحد توجيهاته .

أما عمل اسم الفاعل ومبالغاته فيه فله أمثلة كثيرة من فصيح كلام العرب : شعره ونثره ، مرت بك في بحث خاص ، من ذلك قول القطامي :

الضاربونَ عميراً عن ديارهِمُ بالتَلِّ يومَ عميرٌ ظالمٌ عادي

وكذلك المصدر في كثرته وشيوعه في الفصيح ، كقول الحارث بن خالد المخزومي :

أظلومُ إن مصابكم رجلاً أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

ب ـ والمفعول به منصوب في الأصل ، إلا أنه قد يجر بحرف جر زائد ، كقولك : ما رأيت من أحدٍ ، ولا تضرب من أحدٍ ، وهل رأيت من أحدٍ . وسمعتُ بالنبأ ، وعلمتُ بالخبرِ ، وكقول عروة بن حزام :

فما تركا من رُقْيَةٍ يعلمانها ولا سلـوةٍ إلا بهـا سقيـانـي
أي : ما تركا رقيةً ولا سلوةً .

٢ ـ تعدده

آ ـ بعض الأفعال ينصب مفعولاً واحداً ، كما في الأمثلة المتقدمة .

ب ـ وبعضها ينصب مفعولين ، وهذا ضربان :

ـ ضرب يكون مفعولاه في الأصل مبتدأ وخبراً ، وهي أفعال القلوب ، وأفعال التصيير ، مثل : ظننت أخاك كريماً ، وعلمت[١] النبأ مرهقاً ، ونحو قول خداش بن زهير :

رأيـت[٢] الله أكبـر كـل شـيءٍ محـاولـةً وأكثـرهـم جنـوداً

وكقولك : جعلت الورقة سوداء ، فإذا حذفت الأفعال من هذه الأمثلة صار المفعولان مبتدأ وخبراً : أخوك كريم ، النبأ مرهق ، الله أكبر كل شيء ، الورقة سوداء .

ـ وضرب آخر ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر كقولك : أعطيتُ المحتاجَ مالاً ، وكسوتُ الفقير ثوباً .

جـ ـ ومن الأفعال ما ينصب مفعولات ثلاثةً ، مثل : أنبأ و وأعلم ، وأرى . . . مثل : أعلمتُ أخاك زيداً فاضلاً ، أي : صيرته يعلم زيداً فاضلاً . ومثل : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالَهم حسراتٍ عليهم ﴾ (البقرة : ١٦٧) .

---

(١) قد يأتي الفعل « علم » بمعنى « عرف » ، وحينئذٍ يتعدى إلى مفعول به واحد ، كقوله تعالى : ﴿ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ﴾ (الأنفال : ٦٢) أي : لا تعرفونهم ، الله يعرفهم .

(٢) يستعمل الفعل (رأى) على ثلاثة أوجه :

آ ـ رأى : البصرية ، مثل : رأيت أخاك يلعب .

ب ـ رأى : القلبية ، وهي التي تكون بمعنى « علم » أو « زعم » كما في بيت خداش ولها مفعولان .

جـ ـ رأى : بمعنى « اعتقد » ، وهي مشتقة من الرأي ، كقولك : فلان يرى رأي الخوارج . وهذه تنصب مفعولاً واحداً .

د ـ ويجوز تنوع المفعولات المتعددة ، وذلك أن يكون أحدهما جملة ، والآخر مفرداً ، مثل : ظننتك تحب أخاك . فالمفعول الأول هو الضمير ، والثاني جملة « تحب أخاك » .

هـ ـ قد يأتي المفعولان مغنياً عنهما مصدر مؤول مثل : ظننتُ أنك مسافر .

٣ ـ موقعه في الجملة

يقع المفعول به بعد الفاعل في الجملة ، ولكن يجوز تقديمه عليه وعلى فعله مثل : كسر الولدُ الزجاجَ ، وكسر الزجاجَ الولدُ ، والزجاجَ كسر الولدُ . وهناك حالات يجب فيها تقديمه على فعله وفاعله ، وحالات أُخَر يجب فيها تقديمه على الفاعل وحده ، وفي مواضع غيرها يجب تأخيره عنه ، وذلك على الشكل الآتي :

آ ـ وجوب تقديمه على الفعل والفاعل :

يجب تقديمه على فعله إذا كان :

ـ من أسماء الصدارة ، كأسماء الاستفهام ، وأسماء الشرط ، و« كم » الخبرية ، مثل : مَنْ رأيتَ ؟ وماذا فعلتَ ؟ وما تأكلْ يفدْكَ . وكم قتيلٍ قتلْنا من العدو في المعركة !!

ـ أو كان معمولاً لجواب « أما » ، ولا يفصل بينها وبين الجواب فاصل غيره كقوله تعالى : فأما اليتيمَ فلا تَقْهر ، وكقولك : أما أخاك فأكرم ، ومثله قول كثير عزة :

فما أنصفتْ أما النساءَ فبغضتْ إلـيَّ ، وأمـا بـالنوال فضنَّـتِ

ب ـ وجوب تقديمه على الفاعل وتأخيره عنه :

مر ذلك في بحث الفاعل ، فلا حاجة بنا إلى إعادته هنا .

جـ ـ تقديم المفعولات بعضها على بعض :

رأينا قبل قليل أن المفعولين إما أن يكون أصلهما مبتدأ وخبراً ، وإما ألا

يكونا كذلك ، وفي أصل الجملة العربية يتقدم المفعول الذي أصله المبتدأ على الذي أصله الخبر ، مثل : ظننتُ خالداً ذا مالٍ . وعلمتُ الدرس سَهلاً . وإذا لم يكونا في الأصل مبتدأ وخبراً قُدم المفعول الذي يكون في المعنى فاعلاً ، مثل : كسوتُ الفقيرَ ثوباً ، وأعطيتُ المحتاج مالاً . فالفقير والمحتاج فاعلان في المعنى ، لأن الأول اكتسى الثوب ، ولأن الثاني أخذ المال .

هذا هو الأصل ، ومن الجائز تقديم أحدهما على الآخر ، كأن تقول : ظننت كريماً أخاك . وكسوتُ ثوباً الفقيرَ . إلا إذا :

ـ كان أحدهما ضميراً والآخر اسماً ظاهراً ، مثل : ظننتُه أخاك . فيجب تقديم الضمير على الاسم الظاهر .

ـ أو كان أحدهما يحمل ضميراً يعود إلى الآخر ، فيجب تقديمه لئلا يعود الضمير إلى متأخر ، مثل : منحتُ الجائزةَ صاحبها .

ـ أو إذا حدث لَبْس فيهما ، فإذا قلت : ظننتُ الأميرَ أباك . وجب تقديم « الأمير » لأنه هو المظنون ، أما إذا كان الأب هو المظنون فالوجه أن تقول : ظننتُ أباك الأميرَ .

ـ أو إذا حصر الفعل في أحدهما ، وحينئذٍ يجب تقديم الآخر مثل : ما ظننتُ الأميرَ إلا أباك . ما أعطيت المالَ إلا خالداً .

٤ ـ حذفه من الكلام

كثيراً ما يحذف المفعول به لفظاً ، ويبقى في النية والتقدير ، وذلك إذا دل عليه دليل ، مثل : ما رأيتُ شيئاً ولا سمعت . أي : ولا سمعت شيئاً . وكقوله تعالى : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ . أي : وما قلاك .

ويحذف أيضاً بلا تقدير إذا لم يكن لذكره غرضٌ معنوي ، فإذا سألكَ طالب عن علاج يقوي به أسلوبه التعبيري ، وقلت له : يجب أن تقرأ وتطالع بكثرة . فأنت لَم تذكر المفعول به ، لأن ذكره غير مهم ، ولا يؤدي معنى مطلوباً ، لأنك تريد منه أن يكثر من القراءة والمطالعة ، مهما كان الكتاب المقروء ، وبهذا نزل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم . وانظر إلى قوله تعالى :﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩) ففيه

حُذِف المفعول به للفعل « يعلمون » المكرر ، ـ وقد جاء بمعنى يعرفون ـ وعلة حذفه أنه لا يؤدي معنى ذا شأن ، لأن المعنى في الآية : هل يتساوى ذوو المعرفة وذوو الجهل .

وفي حذف المفعول به مبالغة معنوية ، لأنها تحمل الذهن على الاستيحاء ، ويصير الفعل المتعدي غير محصور في مفعول محدد ، مما يتيح التخيل ، ويثير في النفس معاني كثيرة ، وهذا واضح جلي في قوله تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ (البقرة : ٢٤٥) ، وقوله : ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (النور : ١٩) .

والفعل المتعدي إلى مفعولين ، كالمتعدي إلى واحد في هذا ، إذ يجوز أن يحذف المفعول الثاني ، أو المفعول الأول ، إذا دل عليه دليل ، كقول عنترة :

ولقد نزلتِ فلا تظني غَيْرَهُ ... مني بمنزلةِ المُحَبِّ المُكْرَمُ

أي : فلا تظني غيرَهُ حاصلاً .

٥ ـ الإلغاء والتعليق

هناك مصطلحان في الدرس النحوي ، أولهما الإلغاء ، والثاني التعليق. ففي بعض المواضع يُفَرَّغ الفعل من القدرة على العمل ، فيلغى عمله ، وأحياناً يصادِفُ من الكلمات ما يحول بينه وبين التأثير في لفظ ما بعده ، فلا يعمل في لفظه ، ولكنه لا يَبْطل عمله بطلاناً تاماً ، بل يَنْصَبُّ على المحل . فيقال للظاهرة آنذاك : تعليق .

وعلى هذا يكون التعليق وقف عمل الفعل في ظاهر اللفظ وبقاءه في المحل ، ولا يعلق إلا أفعال القلوب ، أما الإلغاء فهو إبطال العمل في اللفظ وفي المحل . وإليك مواضع كل منهما :

آ ـ الإلغاء :

ـ يلغى عمل الفعل القلبي إذا توسط معموليه مثل : زيدٌ ـ ظننتُ ـ كريم . ويجوز بل يرجح الإعمال ، فيقال : زيداً ظننتُ كريماً .

ـ ويلغى أيضاً إذا تأخر عنهما مثل : زيدٌ كريمٌ ظننتُ . والرفع هنا أرجح ، ويجوز النصب .

ب ـ التعليق :

ـ ويعلق الفعل القلبي عن العمل في اللفظ إذا وليه ماله الصدارة كأسماء الاستفهام ، واللام المشعرة بالقسم ، ولام الابتداء . نحو : علمتُ كيف تكتب . علمتُ لتنجحَنَّ في مسعاك . علمتُ لطالبٌ جادٌّ خير من طالب مهمل[1] ، ومنه قول عنترة :

لو كان يَدْري ما المحاورةُ اشتكى ولكان لو علم الكلامَ مكلمي

ـ ويعلق أيضاً إذا وليه أدوات النفي مثل : إن ، ما ، لا . نحو قوله تعالى : ﴿ لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون ﴾ (الأنبياء : ٦٥) .

ولما كان التعليق لا يمنع الفعل القلبي من العمل في المحل جاز أن يعطف بالنصب على المحل الذي عمل فيه ، كقول كثيّر عزة :

وما كنت أدري قبل عَزَّةَ ما البكا ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ

فقد عطف : موجعاتِ ، على موضع الجملة : ما البكا .

شواهد للتدريب

١ ـ قال لبيد بن ربيعة :

ولقد علمتُ لتأتيَنَّ منيتي إنَّ المنايا لا تطيشُ سِهامُها

٢ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

علامَ تقولُ الرمحَ يثقل عاتقي إذا أنا لَمْ أَطْعُنْ إذا الخيلُ كرَّتِ

٣ ـ قال زهير بن أبي سلمى :

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نِساءُ

(١) حملوا « لعل » على الاستفهام في تعليق الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وما يدريك لعله يزَّكى ﴾ (عبس : ٣) وقوله : ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ (الطلاق : ١) .

٤ ـ قال كثيِّر عزة :

يـودُّ بـأن يمسـي سقيمـاً لعلهـا إذا سمعتْ عنه بشكوى تراسِلُهْ

٥ ـ قال كعب بن سعد الغنوي :

وعلمتُ ما أنا صانعٌ ثم انتهى عمري ، وذلك غايةُ الفتيانِ

٦ ـ قال قيس بن ذريح :

وإنك لو أبلغتَها قيلَك اسْلمي طوَتْ حَزَناً وارفضَّ منها المدامعُ

☆ ☆ ☆

من أساليب المفعول به

المفعول به ركن مهم من أركان الكلام ، ووظيفته في الجملة العربية ـ من حيث أداء المعنى ـ لا تقل أهمية عن وظائف الفاعل والمبتدأ والخبر ، وقد أدت كثرة استعماله على ألسنة العرب إلى التخفف من لفظ عامله أحياناً ، لانحصار المعنى في المفعول نفسه ، فإذا قلت : الحفرةَ . كان اهتمامك منحصراً في إنقاذ المخاطب أو تنبيهه من الوقوع في الحفرة ، وتقديره : احذر الحفرة . والفعل « احذر » يعرف من السياق العام ، وإن لم يذكر .

وهذه الأساليب التي يحذف فيها عامل المفعول به نوعان : سماعي ، وقياسي ، والقياسي ينحصر في أبواب الإغراء والتحذير ، والاختصاص ، والاشتغال .

١ ـ حذف عامل المفعول به سماعاً

هناك أقوال أُثرت عن العرب ، وسمعت منهم ، لا تستعمل الآن ، ولكنها تفيد اللغويين والأدباء في القياس عليها ، واستحداث أساليب جديدة على غرارها . وهي إما مثل شاعَ بين العرب ، وإما قول لم يجر مجرى المثل ، ويحذف العامل وجوباً فيها جميعاً .

فمن أمثالهم : الكلابَ على البقر[1] ، أي : ارسل الكلابَ على البقر ومنها : كلَّ شيءٍ ولا شتيمة حر . أي : ائت كلَّ شيء ولا تأتِ شتيمة حر . ومنها : كليهما وتمراً ، أي : أريد كليهما وأريد تمراً[2] . ومنها : أمرَ مبكياتِكِ لا أمرَ مضحكاتك . أي : إلزمي . وأهلَكَ والليلَ ، أي : اذكر أهلك وبُعدهم عنك ، واحذر الليلَ وظلمته ، وهذا ولا زَعماتِكَ . أي : هذا

---

(١) انظر جمهرة الأمثال للعسكري : ١٦٩/٢ ، والميداني : ١٤٣/٢ ، برقم ٣٠٣٧ .

(٢) الميداني : ١٥١/٢ ، برقم : ٣٠٨٠ .

هو الحق ، ولا أتوهمُ زعماتِك . وقد يستعمل الشعراء هذه الأمثال ، كما قد تكون هي نفسها قطعاً من بيت شعر ، قال ذو الرمة :

لقد خطَّ روميٌّ ولا زعماتِهِ لِعُتْبةَ خطاً لم تُطَبَّقْ مفاصِلُهْ

ومن أقوالهم في غير الأمثال : أهلاً وسهلاً . أي : لقيت أهلاً ونزلت سهلاً . ويكثر في الشعر العربي قولهم : عذيرك من فلان . وهي مفعول به لفعل مضمر تقديره : هات من يعذرك ، كقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

أريـد حِبـاءَهُ ويـريـدُ قتلـي عَذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ

٢ ـ أساليب الإغراء والتحذير

وهذا أسلوب عربي فصيح يراد منه الإغراء حيناً ، والتحذير طوراً ، فإذا قلت : المطالعةَ المطالعةَ . أردت من المخاطب أن يلزم المطالعة ويعنى بها ، فأنت هنا تغريه بشيء وتحببه إليه ، وإذا قلت : الحفرةَ الحفرةَ . أردت منه أن يحذر الحفرة وأن يتجنبها .

والمغرى به والمحذَّر منه كلاهما مفعول به لفعل مضمر ، تقديره : الزم ، أو احذر . إلا أن هذا الفعل يضمر وجوباً في ثلاثة وجوه :

١ ـ إذا تكرر المفعول به ، مثل : العملَ العملَ ، أو : الكسَلَ الكسلَ .

٢ ـ إذا عطف عليه ، مثل : العملَ والنجاحَ ، أو الكسَلَ والرسوبَ .

٣ ـ إذا كان ضميراً مثل : إياك من الكسل .

وفي غير هذه الوجوه يجوز إظهاره ، مثل : احذر الحفرة ، والزم العملَ . الخ . . .

٣ ـ أسلوب الاختصاص

وسمي بالاختصاص لتقدير الفعل « أخص » ، ويقدر أحياناً الفعل : أعني . وذلك بعد إسناد شيء إلى ضمير المتكلم : أنا ، نحن . مثل : نحن ـ أبناءَ يعربٍ ـ أنضرُ الناسِ عوداً . وقد يكون بعد ضمير المخاطب ، وهو قليل . أما ضمير الغائب فلا يجوز استعماله في هذا الاسلوب .

فالضمير « نحن » ينصرف معناه إلى غير محدد ، ولذلك كان قولك : أبناءَ يعرب . محدداً له وموضحاً . فكأنك قلت : نحن ـ أعني أبناءَ يعربٍ ـ أنضر الناس عوداً . إلا أن الفعل لا يظهر ولا يستعمل ، لعلم المخاطب به .

ويشترط في المفعول به هنا أن يكون معرفاً بأل أو مضافاً إلى معرف بها ، أو علماً أو مضافاً إلى علم ، مثل : نحن ـ الموقعين ـ نطلب إنصافنا . ونحن ـ أصحاب التواقيع ـ نطلب إنصافنا . وكقول الراجز :

بنا تميماً يكشف الضبَابُ

وكقول الآخر :

نحن بني ضَبَّة أصحابُ الجمل

والشكلان الأخيران قليلان في هذا الأسلوب .

وقد يكون لفظ : أيَّتُها ، أيُّها ، مثل : إننا فعلنا ذلك أيَّتُها الجماعة . وتقدير الكلام ، أننا فعلنا ذلك ، وأعني أيتها الجماعة . فـ «أيةُ » مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره أعني ، مبني على الضم في محل نصب . و« ها » أداة تنبيه ، و« الجماعة » صفة لِـ « أي » مرفوعة على اللفظ .

وجملة الاختصاص معترضة إذا وقعت بين متلازمين ، واستئنافية إذا وقعت في آخر الكلام . وكونها استئنافية قليل جداً .

٤ ـ الاشتغال

وسمي هذا الباب بالاشتغال لانشغال العامل المتعدي بالعمل في ضمير المفعول ، أو بما يلابس ضميره ، كقولنا : نَفْسَكَ أكرمْها . وثوبَكَ نظِّفه . فالفعل (أكرمْ) شغل بـ « ها » ، وهي ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، يعود على « نفسك » ، ونفسك في المعنى مفعول به ، وكذلك شغل الفعل « نظف » بضمير الثوب ، ولهذا لا يمكن لكل من الفعلين : أكرم ، ونظف ، أن يعمل في الاسم المتقدم عليه ، فقُدر فعل آخر قبلهما يجب إضماره ، ولو ظهر لقلنا : أكرم نفسك أكرمها . ونظف ثوبك نظفه . وللاشتغال في كلام العرب شواهد فصيحة ، كقوله تعالى: ﴿ والظالمين

أعدَّ لهم عذاباً أليماً ﴾ (الإنسان : ٣١) ﴿ والقمرَ قدرناه منازلَ ﴾ (يس : ٣٩) ، وكقول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاقَ عنا ونحن البحرَ نملؤه سفينا

وإذا قلنا : عَدوَّكَ ألجمْ لسانَهُ . شَغَلْنا الفعل (ألجم) بمَا يلابس المفعول في المعنى ، وهو « عدوك » ولهذا نقدر في مثل هذه الحال فعلاً يلائم المعنى فنقول : أخْرِسْ عدوَّك ألجم لسانه[1] .

وللاشتغال تفريعات نوجزها فيمايلي :

١ ـ وجوب النصب :

يجب نصب الاسم المشتغل عنه إذا وقع بعد الأدوات التي تختص بالفعل ، كأدوات الشرط ، والتحضيض ، والاستفهام باستثناء الهمزة ، مثل : إنْ أخاكَ لقيته فبلغه تحياتي ، هلا عيوبَك سترتها . هل الدرسَ حفظتَهُ ؟

٢ ـ ترجيح النصب :

ويجوز مع النصب الرفع على الابتداء ، ولكن النصب يرجح ، وذلك إذا كان الاسم المشتغل عنه واقعاً قبل فعل طلبي كالأمر والنهي والدعاء ، أو بعد الهمزة خاصة من أدوات الاستفهام ، مثل : ثوبَك نظفه . أخاك لا تؤذه . سعيداً سامحه الله . أأخاكَ لقيته ؟

وإن كان في صدر الكلام فعلٌ عمل النصبَ في غيره ، فعطفتَ عليه فعلاً آخر ، كان النصبُ في معموله أرجحَ وأوجهَ ، نحو : رأيتُ أباك وأخاك أكرمته ، ومن الفصيح قوله تعالى : ﴿ يُدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً ﴾ (الإنسان : ٧٦) ومنه قول الربيع بن ضَبُع الفزاري :

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نَفَرا
والذئبَ أخشاهُ إن مررتُ به وحدي ، وأخشى الرياحَ والمطرا

---

(١) لنحاة الكوفة في هذا رأي جدير بالتقدير ، ولست أدري لم يحجم المعاصرون عن الأخذ به ، فهؤلاء يجعلون الاسم منصوباً بما عاد عليه من ذكره ، أي : لما كان ضميره الذي شغل به الفعل في محل نصب كان الاسم منصوباً . وهي نظرة لغوية جيدة ، تخلص الباب من تقديرات قبيحة .

٣ ـ ترجيح الرفع :

وفي غير هذه الحالات يجوز رفع المفعول به في المعنى على الابتداء ، وتصير الجملة الفعلية خبره ، مثل : عبدُ الله أكرمته ، والماءُ شربته ، والرفع هنا مرجح عند النحاة ، ويجيزون النصب ، مثل : محموداً رأيته ، وسعيداً قابلته .

شواهد للتدريب

١ ـ قال مسكين الدارمي :

أخاكَ أخاكَ إنّ مَنْ لا أخا له   كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

٢ ـ ﴿ والأنعامَ خلقها لكم ، فيها دِفْءٌ ومنافعُ ، ومنها تأكلون ﴾ (النحل : ٥) .

٣ ـ قال جرير :

أثعلبةَ الفوارسِ أم رياحاً   عدلتَ بهم طُهَيَّةَ والخشابا

٤ ـ قال عمرو بن الأهتم :

إنا بني مِنْقَرٍ قومٌ ذوو حَسَبٍ   فينا سَراةُ بني سَعْدٍ وناديها

* * *

المفعول فيه

هو الاسم الدال على الزمان أو المكان الذي يقع فيه الحدث ، تقول : جئتُ صباحاً ، وقعدتُ مكانَ أخي . فالصباح هو الزمان الذي جَرى فيه الفعل « جئت » ، ومكان الأخ ، هو المكان الذي حصل فيه القعود . فما دلّ من الظروف على الزمان قيل له : ظرف زمان . وما دل على المكان قيل له : ظرف مكان . فمن ظروف المكان قوله : ﴿ وأعدَّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار ﴾ (التوبة : ١٠٠) ﴿ واضربوا فوقَ الأعناق ﴾ (الأنفال : ١١) .

ولابُدَّ في الظرفين كليهما من تقدير « في » ، إلا أن ذلك يختلف بين نوعين من الظروف ، نوعٍ تقدر فيه « في » تقديراً مباشراً ، ونوعٍ آخر تقدر تقديراً غير مباشر .

آ ـ فالذي تقدر فيه مباشرة ظروف الزمان غير المبنية ، وظروف المكان غير المقادير ، تقول : جئتُ يوم الأحد . أي : جئت في يوم الأحد . وقعدت قربَ الشاطيء . أي : في مكانٍ قربَ الشاطيء .

ب ـ أما ظروف الزمان المبنية وظروف المكان الدالة على المقادير فلا تقدر فيها « في » مباشرة ، بل بتأويل ، فالظرف : إذا ، مبني لتضمنه معنى الحرف « إن » ، ولذلك يكون التقدير فيه غير مباشر ، تقول : إذا رأيتُك فرحت . وتقديره : إن رأيتُك في أي وقت فرحت . وكذلك الأمر في الظروف المبنية الأخرى مثل : إذ ، ومنذ ، وأيانَ ، ومتى ، و . . . تقول مثلاً : ما رأيته منذ ذهب . أي : ما رأيته في زمن ما بعد ذهابه .

وظروف المكان الدالة على المقادير تقدر فيها مثل هذا التقدير ، تقول : سرتُ ميلاً وتقدره : سِرْتُ في مكان يقدر بميل . وهكذا .

وظرف الزمان نوعان : نوعٍ يصلح جواباً لِـ « كم » ، كقولك : سرتُ يوماً وليلة . فكأنك تجيب لمن سألك : كم سرت ؟ ونوع آخر يصلح جواباً لِـ « متى » نحو قولك جئت يوم الجمعة ، فكأنك أجبت من قال لك : متى جئت ؟ .

آ ـ أنواع الظروف

وتتنوع الظروف في دلالتها الجزئية ، وإن كانت تتحد في المعنى العام ، وهو تحديد زمان العامل أو مكانه .

١ ـ الظرف المبهم :

من تلك الأنواع ما يطلق عليه مصطلح « ظرف مبهم » ، ويكون ظرف زمان ، أو ظرف مكان .

فالأول ما دل على زمان غير محدود ، ليس له بدْء معلوم ، ولا نهاية معروفة ، مثل : أقمتُ في اللاذقية زمناً ، وفي القاهرة حيناً ، وفي بغدادَ أمداً . فـ : زمناً ، وحيناً ، وأمداً ، أزمنة غير محدودة ، فهي إذاً ظروف زمانية مبهمة .

وأما ظرف المكان المبهم فهو الذي لا حدود له ولا هيئة ، ولا شكل ، كالجهات الست وما يلحق بها من مبهمات الأمكنة . فالجهات : فوق ، تحت ، يمين ، شمال ، أمام ، خلف . كقوله تعالى : ﴿ وفوقَ كل ذي علم عليم ﴾ (يوسف : ٧٦) وقوله : ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كل سفينةٍ غصباً ﴾ (الكهف : ١٨) وكقول عمرو بن كلثوم في المعلقة :

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرٍو　　وكانَ الكأسُ مَجراها اليمينا

ويلحق بالجهات الست : عند ، لدى ، بين ، إزاءَ ، بقعة ، أرض ، مكان[1] ، ... مثل ، قعدتُ عند الشاطيء ، ووقفتُ إزاءك . ومنه قوله تعالى : ﴿ اقتلوا يوسفَ أو اطرحوه أرضاً ﴾ (يوسف : ٩) ومنه أيضاً : ﴿ وإذا أُلْقوا منها مكاناً ضيقاً مُقرَّنينَ ، دَعَوْا هنالكَ ثُبورا ﴾ (الفرقان : ١٣) .

(١) هناك مبهمات مكانية لا تستعمل ظروفاً ، كَـ : جانب ، خارج ، داخل . فلا يقال : وقفت جانِبَك ، بل : بجانبك ، ولا : نمت خارج البيت ، بل : في خارج البيت ، ولا : قعدت داخلَ الحجرة ، بل : في داخل الحجرة . قال تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ (القصص : ٤٦) .

وألحق جمهور النحاة بها المقادير ، كالفرسخ ، والميل ، والكيلومتر ، و . . . لأنها لا شكل لها ولا هيئة ، وإن دلت على مقياس معلوم ، نحو : مشيت ميلاً .

٢ ـ الظرف المختص :

وهو ما يقابل المبهم ، فظرف الزمان المختص ما كان محدوداً ، تعرف بدايته ونهايته ، فقد يكون علماً مثل : صمتُ رمضانَ ، وجئتُ غُدوَةَ ، وذهبتُ بُكرةَ[1] . ويكون مضافاً مثل : أقمت هنا زمن الشتاءِ ، أو معرفاً بأل مثل : قابلته اليومَ كله ، أو نكرة معدودة مثل : سرت يوماً واحداً ، ومكثت في الفندقِ يومين .

أما المكان المختص فهو الذي عرفت حدوده ، وتحدد شكله ، مثل : بيت ، غرفة ، دار ، دمشق ، حلب ، سورية ، الخ . . . . وهذا لا ينصب على الظرفية ، بل يقال : دخلتُ إلى البيت ، وأقمتُ في الغرفة ، ورحلتُ إلى العراقِ ، وقعدتُ في الحديقةِ .

على أنه سمع من فصحاء العرب : ذهبتُ الشامَ ، وتوجهتُ مكة ، ودخلتُ البيتَ . ومثل هذه المسموعات ـ على فصاحتها ـ لا تدل على أنهم استعملوا المكان المختص منصوباً على الظرفية ، لأنهم في الواقع نصبوها على نزع الخافض ، إذ حذفوا حرف الجر الذي كان قبلها ، لكثرة استعمالهم إياها .

٣ ـ الظرف المتصرف :

ومن الظروف ما يكون متصرفاً فينصب في موضع على الظرفية ، ويستعمل في موضع آخر غير ظرف ، كأن يكون مبتدأ ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً به ، أو مضافاً إليه ، أو . . . كاسم الزمان « يوم » الذي تؤثر فيه العوامل على الشكل التالي :

ـ جئتُ يومَ الخميسِ . هو هنا ظرف زمان على تقدير « في » .

(١) غدوة ، وبكرة ، اسمان معرفتان لا ينصرفان إلا إذا أريد بهما التنكير كقوله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً ﴾ (مريم : ٦٢) .

- كان يومُ الخميس هادئاً .   اسم كان مرفوع .
- جاء يومُ الخميس .   فاعل مرفوع .
- أحببتُ يومَ الخميس .   مفعول به منصوب .
- أنكرت صبحك يا يومَ الثلاثاء .   منادى منصوب مضاف .
- الخ . . . .

ومثله من ظروف المكان المتصرفة أمام ، خلف ، قُدام ، الميلُ ، الفرسخُ ، قال لبيد بن ربيعة في معلقته :

فغدتْ كلا الفرجَينِ تحْسبُ أنَّهُ   موْلى المخافةِ ، خَلْفُها وأمامُها

وقال ذو الرمة :

وصحراء يحمي خلفُها ما أمامَها   ولا يختطيها الدهرَ إلا مُخاطِرُ

٤ ـ الظرف غير المتصرف :

وهو الذي يلزم الظرفية ، أو يجمع إليها أن يُجر بحرف جر ، كالظروف : قط ، عوض ، إذا ، أيانَ ، قبل ، بعد ، حيث . تقول : ما رأيته قطُّ ، ولا نتفرق عوضُ ، وأيانَ جئتَ ؟ ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

ب ـ إعراب الظرف

١ ـ العامل فيه :

يعمل في الظرف ما يعمل في المنصوبات عامة ، كالفعل وشبهه ، تقول : جئتُ صباحاً . وأنت ذاهبٌ مساءً ، وخالدٌ شجاعٌ عند الشدة ، وهو مُرهَق هذا اليومَ ، وعمَلُك صباحاً خيرٌ من عملك مساءً . فقد عمل فيه على التوالي : الفعل ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، واسم المفعول ، والمصدر . وقد يتعلق بما يتأول بهذه العوامل من الجوامد ، كقولك مثلاً : أنا أيوب عندَ الشدة فعندَ معلقة بـ : أيوب ، لأنه مؤول بـ : صَبور . ومثله قول الراجز :

أنا أبو بردة إذ جدَّ الوَهلْ

أي : أنا المُجدي عند اشتداد الأمر . ومثله لو قلت : إنما أنا أخوك

حين تحتاج إلى مساعدة الأخ ، وأبوك حين تحتاج إلى حنان الأب ، وكذلك يجيز جمهور النحاة أن يتعلق الظرف بحروف المعاني ، فقد أجازوا ـ ما خلا المبرد ـ أن يتعلق الظرف في مثل قولك : أما اليوم فأنا منطلق . بـ « أما » نفسها ، لأنها حرف معنى ، وتقديرها عندهم : مهما يكن من شيء اليومَ . و« يكن » هنا تامة ، ومعناها : يقع ، أو يحدث ، أما المبرد فيرى تعليق الظرف هنا بما بعدها من الأفعال وأشباهها .

والظرف يتعلق بعامله ، سواء أللزمان كان أم للمكان .

ويجب أن نعرف أن عاملاً واحداً لا ينصب ظرفين متجانسين ، فإذا قلت : جئت يومَ الجمعة صباحاً . كان العامل « جئت » ناصباً للظرف « يومَ » أما « صباحاً » فليس ظرف زمان يتعلق بـ « جئتُ » ، بل هو بدل من الظرف « يوم » . وكذلك قولك : قعدتُ عند الطاولةِ أمام المدفأة . أمام : بدل من « عند » .

أما إذا كان في الكلام ظرفان غير متجانسين فيمكن أن يعمل فيهما عامل واحد ، مثل : قعدت صباحاً تحت شجرة وارفة الظلال ، واتجهت عندَ المساءِ شرقاً .

٢ ـ حذف العامل :

ويحذف العامل من الكلام جوازاً إذا دل عليه دليل ، ولاسيما في جواب السؤال ، مثل : متى ذهبت ؟ ظهراً . أي : ذهبتُ ظهراً . ويحذف وجوباً فيمايلي :

● **إذا كان كوناً عاماً :**

أي : إذا دل على مجرد الوجود دون أن يقيد بشيء ، ولا يكون كذلك إلا في أحد أربعة مواضع ، أولها : أن يكون خبراً مثل : أنت أمامَ الحاكم . والجنة تحت أقدام الأمهات . وثانيها : أن يكون صفة نحو : عصفورٌ فوقَ الشجرة خير من عصفورٍ في اليد . والثالث : أن يكون حالاً مثل : البطولة عندَ الشدةِ مفخرة لصاحبها . والرابع : أن يكون صلة الموصول كقوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ (البقرة : ٢٥٥) .

أما إذا كان كوناً خاصاً فيجب ذكره ، إلا إذا دل عليه دليل ، كقولك :

الفلاح نائمٌ تحت الشجرة . فـ «نائم» كون خاص لا عام . لأنه لا يدل على مجرد الوجود ، بل يقيد بالنوم ، وتقول : لينم أخوك هنا ، وأنت هناك . أي : ولتنم أنت هناك .

● في باب الاشتغال :

كقولك : يومَ الخميس عملت فيه ، ويومَ الجمعة ركنت فيه إلى الراحة .

● في المسموع :

ويحذف وجوباً فيما رواه الرواة عن العرب الفصحاء ، فإذا تحدث أحدهم عن أمر تقادم عهده ، وجَدَّ فيه أشياء لم يسمع بها ، يقول له مَن يسمعه : حينئذٍ الآنَ . أي : كان هذا الذي تقوله حينئذ ، واسمع الآنَ . ومن ذلك قولهم في المثل : أسائرَ اليومِ وقد زال الظُّهر[1] . أي : أتسير سائرَ اليومِ .

٣ ـ الظرف وظهور الإعراب :

وتختلف الظروف في هذا ، فمنها المعرب ، ومنها المبني ، ومعظم ما جاء من الأمثلة يدل على أن الظرف المعرب منصوب ، أما الظروف المبنية فليست سواءً في البناء ، فمنها ما يكون مبنياً على السكون مثل : إذا ، إذ ، مُذْ ، هنا ، . . . كقولك : إذا جئتَ لقيتني في انتظارك ، فإذا : ظرف زمان للمستقبل ، مبني على السكون في محل نصب على الظرفية .

ومن الظروف ما يبنى على الفتح مثل : أيانَ ، ثَمَّ ، الآنَ . ومنها ما يبنى على الضم مثل : حيثُ ، قط ، عوض ، منذُ . ومنها ما يبنى على الكسر مثل : أمسِ .

جـ ـ ما ينوب عن الظرف

ينوب عن الظرف أحد ستة أشياء ، هي :

---

(١) انظر : شرح المفصل : ١/٤٦ ـ ٤٧ ، ويروى المثل بالرفع . انظر جمهرة الأمثال : ١/٩٦ .

١ ـ المضاف إلى الظرف :

وهو الذي يدل على كلية أو بعضية أو على معانٍ أخرى ، نحو : مشيت بعضَ النهار ، أو كلَّه ، أو جميعَه ، أو عامته . ومشيت بعضَ الفرسخ ، أو كله ، أو . . . ومنه قوله تعالى : ﴿ واقعدوا لهم كلَّ مرصَدٍ ﴾ (التوبة : ٥) ﴿ ونقلبهم ذاتَ اليمين وذات الشمال ﴾ (الكهف : ١٨) ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غيرَ ساعة ﴾ (الروم : ٥٥) .

٢ ـ صفته :

كقولك : وقفت طويلاً ، وقعدت شرقي المنزل ، فتقدير الأول : وقفتُ زمناً طوياً ، والثاني : قعدت مكاناً شرقيَّ المنزل ، ومنه قول الأعشى :

فشَكَّ غيرَ طويلٍ ، ثم قال له اقتُلْ أسيرك إني مانعٌ جاري

فقوله : غير ، نائب عن الظرف ، وأصله : فشك زمناً غيرَ طويل .

٣ ـ الإشارة إليه :

مثل : لقيتُك هذا اليومَ ، وأعجبني العمل هذه الليلةَ .

٤ ـ العدد :

على أن يكون مميزاً بالظرف أو مضافاً إليه ، مثل : سرتُ أربعين فرسخاً . وبت هناك ثلاث ليال ، ومنه : ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة ﴾ (المائدة : ٢٦) ﴿ فلبث فيهم ألفَ سنة ﴾ (العنكبوت : ١٤) .

٥ ـ المصدر :

على أن يكون متضمناً معنى الظرف ، وتفصيل ذلك أن يكون الظرف في الأصل مضافاً والمصدر مضافاً إليه ، فيحذف المضاف ويحل محله المضاف إليه ، كقولك : قدمتُ طلوعَ الشمسِ . فهي في الأصل : قدمت وقتَ طلوعِ الشمسِ . وروي عن العربِ قولهم : لقيتُك مقدمَ الحاج . فمقدم مصدر ميمي ، والتقدير : لقيتك زمن قدوم الحاج . ومثله : نمتُ خفوقَ النجم ، أي : وقت غيابه ، وأجيئك صلاةَ العصر ، أي : وقتها ، وفي القرآن منه قوله

تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبارَ النجوم ﴾ (الطور : ٤٩) . ومنه قول عنترة :

عهـدي بـه مَـدَّ النهـارِ كـأنمـا ... خضب البنان ورأسه بالعِظْلم[(١)]

أي : وقت مَدِّ النهار . ومثله قول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَهُ ... ونحـن إذا مُتْنـا أشـدُّ تغـانيـا

أي : مدة حياته . ومنه قولهم : ما فارقته طَرْفةَ عينٍ . أي : مدة طرفة عين .

وقد يكون المصدر مؤولاً من « ما » المصدرية الزمانية ، والفعل بعدها ، نحو : سأذكره ما حييتُ ، وتأويله : سأذكره حياتي ، أي : مُدة حياتي . وهذا في العربية كثير .

وقد يحذف المصدر الذي أضيف إليه الظرف ، ويحل محله ما أضيف إليه ، كقول لبيد بن ربيعة في معلقته :

باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ ... لأعِلَّ منهـا حيـن هـبَّ نِيـامُهـا

فالدجاجَ : نائب عن ظرف الزمان ، والأصل : وقت صياح الدجاج . فحُذف الظرف « وقت » وحُذف المصدر « صياح » وناب المضاف إليه التالي عن الظرف[(٢)] .

٦ ـ ألفاظ مسموعة :

وهناك ألفاظ توسع العرب في استعمالها فنصبوها على الظرفية الزمانية ، كقول عبد يغوث :

أحقاً ، عباد الله ، أن لستُ سامعاً ... نشيدَ الرِعاءِ المعزبينَ المتاليا

والتقدير : أفي حَقٍّ . ومنه قولهم : جَهْدَ رأيي أنه سيأتي ، أي : في جهدِ رأيي . وغيرَ شك أنني سألاقيك . أي : في غير شك .

ملاحظة :

يلتبس الظرف بالمفعول المطلق ، حين ينوب اسم الزمان عن المصدر ، فإذا قلت : كبرتُ عاماً . ناب « عاماً » عن المصدر . كبراً . والتقدير : كبرت

---

(١) العظلم : شجر يختضب بورقه .

(٢) ويجوز أن يكون « الدجاج » مفعولاً به للفعل « باكرت » .

كبراً مقداره عام . أو : كبرتُ مقدارَ عامٍ . ولا يمكن أن تكون : عاماً . ظرف زمان ، لأن « في » غير مقدرة .

ومثل هذا قول سبرة بن عمرو الفقعسي :

وطعنــةُ مستبســلٍ ثــائــرٍ تَرُدُّ الكتيبةَ نصفَ النهارِ

فالشاعر لا يريد أن الطعنة ترد الكتيبة في نصف النهار ، بل أراد أنها ترد الكتيبة مقدار نصف النهار ، أي : مسيرةَ نصف النهار .

ومثله قول الأعشى :

ألم تغتمض عيناكَ ليلةَ أرمَدا وبت كما بات السليمُ مُسهَّدا

فقول : ليلةَ ، مفعول مطلق ، وهو اسم زمان ناب عن المصدر ، وتقديره : ألم تغتمض عيناكَ اغتماضَ ليلة رجل أرمد . ولا معنى للكلام إذا ذهبنا في إعرابها إلى أنها ظرف زمان .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ (الكهف : ١٩) .

٢ ـ ﴿ آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجهَ النهارِ واكفروا آخره ﴾ (آل عمران : ٧٢) .

٣ ـ قال الأحوص :

وإن بني حَرْبٍ كما قد علمتُمُ مَناطَ الثريا قد تَعَلَّتْ نجومُها

٤ ـ قال النابغة الجعدي :

ألا أبلـغ بنـي خلـفٍ رسـولاً أحقـاً أن أخطلكـم هجـانـي

٥ ـ من كلام العرب :

هو مني منزلةَ الشغاف ، وهو مني مزجرَ الكلب ، وهو مني درجَ السيل .

٦ ـ قال جرير :

أقـام قليـلاً ثـم بـاح بحـاجـةٍ إلينا ودمعُ العين بالماء واشِلُ

٧ ـ قال عون بن عبد الله الهذلي :

وأول ما نفارقُ غيرَ شك ‏ ‏ ‏ ‏ نفارقُ ما يقولُ المُرْجئونا

٨ ـ وقال أبو فراس الحمداني :

بـــاتـــت تقلبـــه الأكـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـفُّ سحابةَ الليلِ الطويلِ

* * *

المفعول لأجله[1]

هو مصدر قلبي ـ غالباً ـ يُعَلَّلُ به حَدَثٌ اتحد معه في الفاعل والزمان . نحو : ثبت الجنود في المعركة ثقةً بالنصر . فالثبات حدثٌ جرى بسبب الثقة ، وفاعل الثبات والثقة واحد ، هو الجنود ، وهما متحدان في الزمان ، إذ وقعا في وقت واحد .

ويكون المفعول لأجله مجرداً من « أل » والإضافة ، كقولك : قمت إجلالاً لك ، وذهبتُ إلى الشاطيء رغبةً في السباحة . وقد يعرف بـ « أل » على قلة ، كما في قول الشاعر :

لا أقعد الجبنَ عن الهيجاءِ ولو توالَتْ زُمَرُ الأعداءِ

فـ «الجبن» مفعول لأجله ، معرف بأل ، إلا أنه مؤول بنكرة ، كأنه قال : لا أقعد عن الهيجاء جبناً .

ولكنه يأتي مضافاً بكثرة كقوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت ﴾ (البقرة : ١٩) وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ ﴾ (الإسراء : ٣١) وقوله : ﴿ لو أنتم تملكون خزائن رحمةِ ربي إذاً لأمسكتم خشيةَ الإنفاقِ ﴾ (الإسراء : ١٠٠) . وقول حاتم الطائي :

وأغفر عوراءَ الكريم ادخارَهُ وأعْرِضُ عن شتم اللئيمِ تكرُّما

فالمصادر : حذر ، وخشية ، وادخار ، كلها مفعولات من هذا القبيل ، جاءت مضافة إلى ما بعدها[2] .

---

(١) ويسمى أيضاً المفعول من أجله ، والمفعول له . وأنكر الزجاج ـ أحد تلامذة المبرد ـ هذا الباب ، ورده إلى المفعول المطلق المبين للنوع . كما رده قبله أبو عمر الجرمي ـ تلميذ سيبويه والأخفش ـ إلى المصدر الذي ينصب على الحال .

(٢) يمنع الرياشي ـ أحد نحاة البصرة ـ تعريف المفعول له بأل والإضافة ، ويوجب تنكيره ، لأنه عنده كالحال والتمييز .

إعراب المفعول لأجله

لا يختلف هذا المفعول عن المنصوبات التي يعمل فيها الفعل وشبهه ، إلا أنه ينصب بشروط يجب استيفاؤها ، وإلا جر بحرف جر يحمل معنى التعليل ، أي : بواحد من هذه الأحرف : اللام ، والباء ، ومِن ، وفي . أما الشروط فهي :

١ ـ أن يكون مصدراً :

أي : دالاً على حدث ، مثل : جئتُ رغبةً في لقائك ، وقمتُ إجلالاً لك . وإذا لم يكن مصدراً وجب جره بحرف جر للتعليل ، كقول امرىء القيس :

فلـو أنَّ مـا أسعـى لأدنـى معيشـةٍ كفَاني ولم أطلب ـ قليلٌ من المالِ

فقوله : أدنى . هو علة الحدث ، ولكنه ليس بمصدر ، ولذلك جر باللام[1] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ﴾ (البقرة : ١٩) إذ جرت الصواعق بمن ، لأنها ليست بمصدر ، و« من » للتعليل . وكذلك قوله ﷺ : « دخلت امرأةٌ النارَ في هِرةٍ حبستها . . . » ، الهرة ليست بمصدر ، و(في) للتعليل .

٢ ـ أن يكون قلبياً :

ويعني هذا أن يكون عملاً نفسياً باطنياً غير حسي ، كالرغبة ، والحذر ، والخوف ، والحب ، والطمع ، والإشفاق ، و . . . مثل : طلبتُ الكتاب رغبةً في القراءة ، بكى الطفل طلباً للطعام ، زرتُك حباً في لقائك ، وميلاً إلى حديثك ، وكقوله تعالى : ﴿ تتجافى جنُوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ (السجدة : ١٦) .

(١) يذكر الغلاييني في « جامع الدروس » أن مثل هذا يكون مجروراً لفظاً ، منصوباً محلاً ، وليس بصواب ، فهو جار ومجرور ، وفي حرف الجر معنى التعليل .

وبعض النحاة لا يرون وجوبَ هذا الشرط ، وإن كانوا يُقرّون بغالبيته ، ويجيزون أن يقال : ضربتُه تأديباً له وجئتُه إصلاحاً لشأنه .

٣ ـ أن يكون علة للعامل فيه :

أي : أن يكون هو السبب في حدوث الفعل ، كما هو واضح في الأمثلة السابقة جميعاً ، سواءٌ ما جر منها بالحرف ، وما كان منصوباً .

٤ ـ أن يكون متحداً في الفعل مع الفاعل :

فإذا قلت : ذهبتُ إلى القاهرة رغبةً في العثور على مخطوطات نادرة . كان فاعل « الذهاب » وفاعل « الرغبة » واحداً ، هو المتكلم .

هذا هو الغالب ، غير أن بعض النحاة يجيزون أيضاً ألا يكونا متحدين في الفاعل ، ويحتجون بقول الإمام علي في نهج البلاغة : « فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة ، واستتماماً للبلية » فالحديث هنا عن إبليس ، وهو فاعل الاستحقاق ، أما فاعل الإعطاء فهو الله .

على أنه يغلب أن يجر بحرف تعليل ما لم يتحد مع الحدث قبله في الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ فبِظُلْمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحِلَّت لهمْ ﴾ (النساء : ١٦٠) .

٥ ـ أن يكون متحداً معه في الزمان :

وإذا عدنا إلى المثل السابق وجدنا زمن الذهاب إلى القاهرة وزمن الرغبة واحداً ، وحين يتخالفان يجر المفعول بحرف جر ، كقول امرىء القيس :

فجئتُ وقد نَضَّتْ لنوم ثيابَها لدى السترِ إلا لِبْسَةَ المتفضِّلِ

وكقوله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم . . . ﴾ فَنَضْوُ الثوب حدثَ قبل النوم ، وظلم اليهود حدث قبل التحريم[١] .

هذا ويجوز جر المفعول لأجله وإن استوفى شروط النصب ، كقوله

(١) ذهب الفارسي إلى أن هذا الحكم غير ضروري ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ هذا يومُ ينفعُ الصادقين صِدْقُهم ﴾ (المائدة : ١١٩) على أن (صدقهم) مفعول لأجله . انظر شرح الكافية : ١/ ١٧٧ .

تعالى : ﴿ وإنَّ منها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيةِ الله ﴾ (البقرة : ٧٤) . وقول تأبط شراً :

لتقرعِنَّ عليَّ السن من ندمٍ   إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله ، وتثبيتاً من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة . . . ﴾ (البقرة : ٢٦٥) .

٢ ـ قال أبو صخر الهذلي :

وإنـي لتعـرونـي لـذكـراكِ هـزةٌ   كما انتفض العصفور بلله القَطْرُ

٣ ـ قال الحارث بن هشام :

فصفحت عنهم والأحبة فيهم   طمعاً لهم بعقاب يوم سَرْمَدِ

٤ ـ قال الفرزدق :

يغضي حياءً ويغضى من مهابته   فمـا يكلـم إلا حيـن يبتسـم

* * *

المفعول معه

هو اسم فضلة يقع بعد واو بمعنى « مع » ، تتقدمه جملة تامة ، فيها فعل أو ما يشبه الفعل ، مثل : سرتُ والنهرَ ، إنه ماشٍ والجبلَ .

وهذه الواو في الأصل واو العطف ـ كما يرى جمهور النحويين ـ إلا أنها صارت تحمل معنى المصاحبة والمعية ، ولا يقصد منها إفادة المشاركة قصداً ، فإذا قلت : جئت وسعيداً ، كان المعنى أنك جئت بصحبة سعيدٍ . ولا شك أن سعيداً قد جاء واشترك في الحدث الذي هو المجيء ، إلا أنك لم تقصد في قولك إلا الإخبار عن مجيئه ، وإنما أردت أن تخبر أن مجيئك حدث بصحبته(١) .

ومعنى اسم فضلة أن يصح الكلام من دونه ، فهو ليس عمدة في الكلام ، فإذا قلت : تشارك خالدٌ وسعيدٌ ، كان « سعيد » في الجملة عمدة لا يمكن أن يستغنى عنه ، لأن الفعل « تشارك » لا يكون إلا من اثنين أو أكثر ، ولذلك لا يجوز نصبه على أنه مفعول به .

أما إذا قلت : جئت وسعيداً ، فأنت قادر على أن تستغني عن « سعيد » دون أن يفسد المعنى ، إلا أنه يفقد معنى المصاحبة الذي تحمله الواو .

(١) يرى بعض النحاة أن واو المعية هذه تفيد التشريك قصداً ، ولا يجيزون استعمالها ، إلا في موضع تصح فيه واو العطف ذات التشريك الصريح ، من هؤلاء أبو الحسن الأخفش ـ وهو صاحب الرأي ـ ثم تبعه فيه ابن الحاجب ، والرضي ، وابن يعيش ، فهؤلاء لا يجيزون أن تقول : انتظرتك وطلوعَ الشمس . . . لأن الواو هنا لا تكون عاطفة ، فطلوع الشمس لا ينتظر أحداً . [انظر الخصائص : ١/٣١٣ وشرح الكافية : ١/١٧٧ ، وشرح المفصل : ٢/٤٨] .

ويرى نحاة آخرون أن هذه الواو تنصب ما بعدها على معنى المفعول به ، لأنها مشرّبة عندهم معنى باء التعدية أو همزتها منهم ابن مالك في التسهيل (ص ٩٩) وابن عصفور في المقرب (١/١٥٨) .

أحكامه

ويشترط في المفعول معه عدة شروط ، تُلمح في حَدِّهِ السابق ، منها :

١ ـ أن تكون الواو بمعنى (مع) :

أي : أن تكون المعية أو المصاحبة مقصودة ظاهرة ، كقولك : لا تَهْوَ رغَدَ العيش والذُلَّ . فأنت هنا لا تنهى المخاطب أن يهوى الذل ، ولكنك تنهاه أن يحب رغد العيش مع الذل .

٢ ـ أن تسبق الواو بفعل أو ما يشبهه :

ويجب أن يتقدمها فعل أو شبهه ، وإلا كانت حرف عطف ، نحو : أنت وشأنُك ، كل رجلٍ ومالُهُ . فالواو هنا عاطفة على المبتدأ ، والخبر في الجملتين مضمر ، تقديره : متلازمان ، أو : مقترنان .

أما التي تقدمها فعل فكقولهم : سرتُ والجبلَ ، ومشيتُ والنهرَ . والتي تقدمها شبه الفعل فمثل : كنتُ سائراً والنهرَ . فاسم الفاعل هنا حل محل فعله ، فنصب المفعول معه بوساطة الواو .

ومنه قولهم : حسبك وخالداً ليرتان . فـ « حسبك » فيها معنى الفعل ، لأنها تفيد معنى « كفاك » قال جرير :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ سيفٌ مَهَنَّدُ

ومنه قولهم : كيف أنت وخالداً ؟ وما أنت وسعيداً ؟ فالاستفهام هنا يحمل رائحة الفعل ، فكأنه قال : ما تصنع وخالداً ؟ وما كنت وسعيداً ؟ قال الراعي النميري :

أزمانَ قومي والجماعةَ كالذي منعَ الرحالةَ أن تميلَ مَميلا

أي : أزمان كان قومي والجماعة[1] . . .

---

(١) إعراب : ما أنت وخالداً ؟ ما : اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول مطلق نائب عن المصدر . وأنت فاعل لفعل محذوف هو « كان » التامة ، والأصل : ما كنت وخالداً . فلما حذف الفعل ، بقي الضمير المتصل وحده ، =

٣ ـ أن يمتنع العطف :

وإذا كان العطف مفسداً للمعنى كانت الواو بمعنى « مع » ، كقوله تعالى : ﴿ فأجْمِعوا أمركم وشركاءكم ﴾ (يونس : ٧١) فالمعنى : أجمعوا أمركم بصحبة شركائكم . ولو كانت الواو هنا عاطفة لفسد هذا المعنى . ثم إن الفعل « أجمعوا » لا ينصب مفعولاً به من الأعيان ، فلا يقال : أجْمِعوا الرجالَ ، بل : إجْمَعوا الرجال . ولهذا كله وجب أن تكون الواو بمعنى « مع » ، وأن يكون « شركاءكم » مفعولاً معه .

٤ ـ أن يقبح العطف :

ويرجح أن تكون الواو للمعية إذا كان العطف قبيحاً ، كما في قولك : جئتُ وخالداً ، فالعطف هنا قبيح ، لأن العطف على الضمير المتصل المرفوع لا يحسن إلا بتوكيده ، تقول : جئت أنا وخالدٌ ، وذهبت أنت وسعيدٌ . فلما لم يؤكد صارت الواو للمعية ، وانتصب الاسم بعدها على أنه مفعول معه .

ومثله : حسبك وزيداً ليرتان . يقبح العطف هنا لأن المعطوف عليه ضمير جرٍ متصل ، وإنما يحسن عليه العطف إذا تكرر العامل ، تقول : حسبك وحسب زيد ليرتان . وسألت عنك وعن أخيك . فلما لم يتكرر العامل كان من الأرجح أن تكون الواو للمعية ، وأن ينصب ما بعدها على أنه مفعول معه .

٥ ـ حالات الاسم بعد الواو :

ربما اتضح لك مما سبق أن ثمة تنازعاً بين واو العطف وواو المعية ، ولذلك كان للاسم بعد الواو خمس حالات ، هي :

= فصار منفصلاً . [وبعض النحاة يجعل « كان » ناقصة ، ويجعل « أنت » اسماً لها وعلى هذا تكون « ما » اسم استفهام مبنياً على السكون في محل نصب ، خبراً لكان الناقصة] وخالداً : الواو للمعية ، وخالداً : مفعول معه .

وقد أخطأ الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه « جامع الدروس » في إعراب مثل هذه الجملة ، فجعل « ما » اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وأنت : خبراً له ، ووجه الخطأ فيه أنه نصب المفعول معه دون أن يتقدمه فعل أو شبهه .

آ ـ وجوب العطف :

إذا لم تكن الواو مسبوقة بجملة ، مثل : أنت وشأنُك . أو كانت الجملة قبلها تامة ولكن الواقع بعد الواو ليس بفضلة مثل : تصارع أحمدُ وفيصلٌ . أو كانت لا تدل على مصاحبة مثل : جاء طارقٌ وسميرٌ قبله .

ب ـ ترجيح العطف :

إن لم يكن هناك ما يمنع ذلك من قواعد التركيب ، مثل : قابلته أنا والمعلمون .

جـ ـ وجوب النصب على المعية :

إذا كان العطف ممتنعاً من حيث المعنى ، مثل : سرتُ والجبلَ .

د ـ ترجيح المعية :

إن كان العطف مرجوحاً ، مثل : جئتُ وأباك .

هـ ـ تقدير عامل محذوف :

كقول الشاعر :

علفتهـا تبنـاً ومـاءً بـارداً حتى غدت همالةً عيناها

أي : علفتُها تبناً وسقيتها ماءً بارداً .

* * *

الحال

تتألف الجملة التي تقع فيها الحال من ثلاثة أشياء لابد منها ، هي :

١ ـ الحال .

٢ ـ وصاحب الحال .

٣ ـ والعامل في الحال .

تأمل هذه الجملة : عاد الرجلُ مسرعاً .

فـ « مسرعاً » هي الحال ، و« الرجل » صاحبها ، والفعل « عاد » هو العامل فيها .

١ ـ الوظيفة المعنوية للحال

ولا شك أن للحال في لغة العرب وظيفة معنوية ، لأنها تبين هيئة صاحبها ، ففي المثال السابق تجد « مسرعاً » تبين لك الهيئة التي جاء بها الرجل .

وليس هذا فحسب ، بل قد تكون هي المقصودة في إنشاء التركيب اللغوي ، ولا يمكن حذفها منه ، تأمل قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرضَ وما بينهما لاعبين ﴾ (الدخان : ٣٨) ففي هذه العبارة لا يراد الإخبار عن مجرد خلق السماوات والأرض ، فذلك أمر مسلم به ، وإنما الغرض من الجملة أن ينفي الله إرادة اللعب في عملية الخلق . ومثل هذا المعنى تجده في قوله تعالى : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى ﴾ (النساء : ١٤٢) .

على أن هناك صورة مختلفة ، فقد تأتي الحال غير مقصودة بالمعنى ، بل تذكر توطئة لصفة لها ، انظر قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ (يوسف : ٢) فـ «قرآناً » هي الحال ، ولكنها غير مرادة في المعنى وحدها ، وإنما المقصود كون القرآن عربياً ، أي أن الصفة « عربياً » هي المقصودة .

والحال في تركيب الجملة العربية فضلة ، لأنها لا تقع موقع المسند أو المسند إليه ، وإذا لم تكن مقصودة في المعنى أو سادة مسد الخبر ، سهل حذفها ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ﴾ (الرعد : ٢٣) ، ففي هذه الآية حال محذوفة ، تقديرها : يدخلون عليهم من كل باب قائلين سلام عليكم .

ولكنها في بعض الأحيان تدل على كون عام ، وحينئذٍ تحذف وجوباً من الكلام ، وتعلق بها شبه جملة ، كما ترى في هذه العبارة : العصفور فوق الغصن أجمل من العصفور في القفص . والتقدير : العصفور كائناً فوق الغصن أجمل من العصفور كائناً في القفص . وقولنا « كائناً أو موجوداً » يقدر تقديراً ، ولكن من الخطأ إظهاره في الجملة . .

٢ ـ شكل الحال

وللحال شكلان : فقد تكون مفردة ، وقد تكون جملة . مثال الأولى قول ابن هرمة :

باللهِ ربك إن دخلتَ فقل له هذا ابن هرمةَ واقفاً بالباب

ومثال الثانية قوله تعالى : ﴿ وجاؤوا أباهم عشاءً يبكون ﴾ (يوسف : ١٦) ولكل منهما حديث طويل .

آ ـ حين تكون مفردة :

والأصل في الحال أن تكون اسماً مفرداً ، كما رأيت في بعض الأمثلة المتقدمة ، وأن تكون وَصْفاً ، أي : اسماً مشتقاً ، كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل . وأن تكون نكرة لا معرفة .

١ ـ أما كونها اسماً مشتقاً فهو ما دلت عليه نصوص العربية الفصيحة ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ (المدثر : ٤٩) وفي قول الشاعر :

فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا وفي الأرض مبثوثاً شجاع وعقرب

وفي قول عروة بن حزام :

لئن كان برد الماء هيمان صادياً إلـيَّ حبيبـاً إنهـا لحبيـب

وفي مثل قولك : تبدو أطولَ من أبيك . . . ففي الشاهد الأول جاءت الحال اسم فاعل « معرضين » ، وفي الثاني جاءت اسم مفعول « مبثوثاً » ، وجاءت في الثالث صفة مشبهة « هيمان » وفي المثال الأخير جاءت اسم تفضيل « أطولَ » .

غير أن هناك مواضع قليلة تأتي فيها الحال غير مشتقة ، ولكنها مؤولة بالمشتق ، وذلك إذا دلت على تشبيه ، مثل : خضتُ المعركة أسداً . أي : شجاعاً . أو دلت على « مفاعلة » مثل : قابلته وجهاً لوجه . أي : مواجهة . أو دلت على ترتيب مثل : نزلوا درجة درجة . أي : مرتبين .

وهناك مواضع أخرى تقع فيها الحال جامدة ، ولا تؤول بمشتق ، وذلك إذا وصفت بمشتق مثل : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ (يوسف : ٢) أو دلت على سعر ، مثل : اشتريت الكتب كتاباً بليرتين . أو كانت عدداً مثل : جاؤوا أربعين رجلاً . أو دلت على طور مثل : أخوك جندياً خير منه طالباً . أو كانت نوعاً لصاحبها مثل : هذا مالك ذهباً . أو كانت أصلاً ، مثل : هذا خاتمك ذهباً .

٢ ـ وأما كونها نكرة فواضح لك في جميع الأمثلة والشواهد المتقدمة ، إلا أن بعض العبارات المسموعة من فصحاء العرب جاءت فيها الحال معرفة كقولهم : ذهبت وحدي . أي : منفرداً . وفعلته جهدي . أي : جاهداً . وجاؤوا قضَّهم بقضيضهم ، أي : جميعاً ، ورجع عوده على بدئه . أي : عائداً . ودخلوا الأول فالأول . أي : مرتبين .

٣ ـ وقد تتكرر الحال ، كما ترى في قول الشاعر :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبةٌ فما لك بعد الشيب صباً متيماً

وتقول : تبدو بين أقرانك نشيطاً ، ذكياً ، متحمساً لواجباتك ، قائماً عليها . . .

ب ـ حين تكون جملة :

١ ـ وفي مواضع كثيرة تقع الجملة موقع الحال المفردة ، ويشترط فيها

أن تكون خبرية لا إنشائية ، فإن كانت جملة فعلية كان الفعل فيها إما مضارعاً، وإما ماضياً . تأمل قول الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نارٍ عندها خيرُ موقدِ

فقوله : تعشو ، جملة حالية ، فعلها مضارع ، كأنه قال : متى تأته عاشياً إلى ضوء ناره . وتأمل أيضاً قول النابغة :

وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات الهواطلُ

فقوله : قد غير البلى . هي الحال ، وفعلها ماض ، لا مضارع . وهي ـ كما ترى ـ مصدرة بـ « قد » وهذا شرط لابد منه في الفعل الماضي ، على حين لا يشترط في الفعل المضارع . غير أن « قد » حذفت من الكلام لفظاً ، وحينئذٍ لابد من أن تكون مقدرة ، كما في قول الهذلي :

وإنـي لتعـرونـي لـذكـراك هـزة كما انتفض العصفور بلله القطر

أي : قد بلله القطر . على أنها إذا وقعت بعد أداة الحصر عريت غالباً من « قد » والواو مثل : ما رأيتك إلا تذكرت أبي . وما تحدث فلانٌ إلا قال خيراً .

ويكثر مجيء الحال جملة اسمية ، كما في قوله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى ﴾ (النساء : ٤٣) ومثله : خرجت من البيت والناس نيام ، ثم عدت إليه والشمس في المغيب .

٢ ـ ولابد للجملة الحالية من رابط يربطها بصاحبها ، وهو إما ضمير يرجع إلى صاحب الحال ، وإما واو تسمى واو الحال أو واو الابتداء . ففي قول الهذلي : « بلله القطر » تجد ضميراً يعود إلى العصفور، وفي قوله تعالى : ﴿ وأنتم سكارَى ﴾ تجد واواً تتصدر الجملة الحالية ، وقد يجتمع الاثنان معاً كما في الآية نفسها ، فـ «أنتم » هو الضمير الرابط ، وقد اجتمعت معه واو الحال . ولكن قد تحذف واو الحال من ظاهر العبارة ، وتبقى منويّة في نفس القائل ، كما في قول امرىء القيس :

وتضحي فَتِيتُ المسكِ فوقَ فراشها نَؤومُ الضحى لم تَنْتطِقْ عن تفضل

أي : وفتيت المسك فوق فراشها .

٣ ـ صاحب الحال

١ ـ صاحب الحال هو الذي تبين الحال هيئته ، وغالباً ما يكون فاعلاً أو نائباً عن الفاعل ، وأقل من ذلك أن يكون مفعولاً به ، وقد يكون خبراً أو مجروراً بحرف جر ، أو بالإضافة ، ويندر أن يقع منادى أو مبتدأ . ودونك الأمثلة على ذلك :

ـ جاؤوا أباهم باكين .	صاحب الحال فاعل .
ـ رأيت البحر هائجاً .	صاحب الحال مفعول به .
ـ هذا بعلي شيخاً .	صاحب الحال خبر .
ـ مررت بالحديقة مزهرة .	صاحب الحال مجرور بالحرف .
ـ « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » .	صاحب الحال مضاف إليه .
ـ أخوك جندياً خير منه طالباً .	صاحب الحال مبتدأ .
ـ يا بؤس للحرب ضراراً لأقوام .	صاحب الحال منادى .

٢ ـ وفي هذه الأمثلة جميعاً تجد صاحب الحال إما معرفاً بأل ، وإما بالإضافة وتعريفه هو الأصل المستقرى من لغة العرب . ولكنه في بعض الأحيان يكون نكرة مفيدة ، كأن تكون موصوفة أو مضافة إلى نكرة مثل : ﴿ فيها يُفْرَق كل أمر حكيمٍ أمراً من عندنا ﴾ (الدخان : ٤ ـ ٥) ، فـ «أمر» هنا نكرة ، إلا أنه حين وصف بـ « حكيم » صح أن يقع صاحباً للحال « أمراً » . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ في أربعةِ أيامٍ سواءً للسائلين ﴾ (فصلت : ١٠) ففيه صاحب الحال « أربعة » نكرة مضافة إلى نكرة مثلها « أيام » .

وانظر هذه الشواهد أيضاً :

ـ ﴿ وما أهلكنا من قريةٍ إلا لها منذرون ﴾ (الشعراء : ٢٠٨) صاحب الحال « قرية » وهي نكرة ، وإنما صح ذلك لأنها اعتمدت على النفي . وكذلك يصح إذا اعتمدت الاستفهام أو النهي .

ـ ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ﴾ (البقرة : ٢٥٩) صاحب الحال « قرية » ، وقد صح أن تكون نكرة لأن الحال جملة مقرونة بواو الحال .

ـ قال كثير عزة :

لمية موحشاً طلل   يلوح كأنه خَلَلُ

صاحب الحال « طلل » وهو نكرة ، وصح ذلك لأن الحال « موحشاً » كانت في الأصل صفة له : « لمية طللٌ موحشٌ » ولكن حين تقدمت على موصوفها صارت حالاً .

٣ ـ ويقع صاحب الحال في الجملة قبل الحال ، وقد يتأخر عنها ، كما رأيت في بيت كثير عزة ، وفي بعض المواضع يجب تقديمه ، وفي مواضع أخرى يجب تأخيره ، وستوضح لك الأمثلة ذلك :

ـ ما جاء سعيد إلا راكباً .	وقعت الحال بعد أداة الحصر فوجب تقديم صاحبها .
ـ تمتعت بجمال الحديقة مزهرةً .	جاء صاحب الحال مضافاً إليه فوجب تقديمه .
ـ جئت والصباح في بدايته .	وقعت الحال جملة مقرونة بالواو فوجب تقديم صاحبها .
ـ ما جاء راكباً إلا سعيد .	هنا وقع صاحب الحال بعد أداة الحصر فوجب تأخيره .
ـ لمية موحشاً طلل .	هنا كان موصوفاً في الأصل فوجب تأخيره .
ـ كيف استقبلت أخاك .	الحال هنا اسم له الصدارة فوجب تأخير صاحبها .

٤ ـ العامل في الحال

١ ـ يعمل في الحال ثلاثة أشياء : الفعل ، وشبه الفعل ، وما فيه معنى الفعل . أما عمل الفعل فيه فالأمثلة المتقدمة كلها شواهد عليه ، وأما ما يشبه

الفعل فمثل قولك : أذاهب أنت راكباً ، ومنه قول النابغة :

أمن آل ميّة رائحٌ أو مغتدي ... عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّد

ومثله قوله تعالى : ﴿ وكلهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً ﴾ (مريم : ٥٩) وأما معنى الفعل فنعني به ما يدل على معناه من الأدوات والأسماء ، كما في قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفةً ... لو شئت ساقكُم إليَّ قطينا

فاسم الإشارة « هذا » يحمل معنى الفعل ، ولذلك نصب الحال « خليفة » . ومن ذلك قول النابغة :

كأنه خارجاً من جنب صفحته ... سفودُ شَرْب نسوه عند مُفْتأدِ

فالأداة « كأن » فيها معنى الفعل ، ولذلك نصبت الحال « خارجاً » . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾ (النساء : ٨٨) وقوله : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ (المدثر : ٤٩) فأداة الاستفهام « ما » فيها معنى الفعل ، ولذلك نصبت الحال في الآيتين « فئتين » و« معرضين » .

٢ ـ وقد يحذف العامل لقيام الدليل عليه ، هب أن سائلاً سألك : كيف ترى البحر ؟ فأجبته : هائجاً . فقولك : هائجاً . حال ، عمل فيه فعل محذوف ، تقديره : أراه هائجاً . وإنما حذفته لأن في جملة السؤال ما يدل عليه .

على أن هناك مواضع يحذف فيها عامل الحال وجوباً ، كما ترى في الأمثلة التالية :

ـ أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي .	الحال هنا مؤكدة لمضمون جملة ، ولذلك وجب حذف العامل .
ـ يباع هذا بليرة فصاعداً .	أي : فيزيد السعر صاعداً .
ـ أمتوانياً وقد جد الناس ؟	وقعت الحال بعد استفهام للتوبيخ .

٣ ـ وهناك مواضع يتقدم فيها العامل على الحال أو يتأخر عنها وجوباً ، لا نرى موجباً لعرضها ، لأنها مما يعرف بالأمثلة والبديهة .

شواهد للتدريب

١ ـ قال أنيف بن جبلة يصف حصاناً :

وإذا اعترضت به استوت أقطاره   وكأنه مستدبراً مُتصَوِّبُ

٢ ـ وقال سالم بن وابصة :

أحب الفتى ينفي الفواحشَ سمعُه   كأن به عن كل فاحشةٍ وقرا

٣ ـ قال إبراهيم بن هرمة :

بالله ربك إن دخلت فقل له   هذا ابن هرمةَ واقفاً بالبابِ

٥ ـ قال عروة بن حزام :

لئن كان برد الماء هيمانَ صادياً   إليَّ حبيباً إنها لحبيبُ

٦ ـ وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها   بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ

٧ ـ وقال أحد الخوارج :

يمضون قد كسروا السيوفَ إلى الوغى   متبسمين وفيهم استبشارُ

٨ ـ وقال المتنبي :

بدتْ قمراً ومالت غُصنَ بانٍ   وفاحت عنبراً ورَنَتْ غزالا

* * *

التمييز

هو اسم نكرة . وظيفته في الكلام أن يبين إبهاماً تقدمه لفظاً أو تقديراً ، فإذا قلت : عندي عشرون . لا يعرف السامع ماذا تعني بلفظ « عشرون » ، لأنه مبهم غير محدد ، فقد يكون كتباً أو أقلاماً أو دفاتر أو . . . ولهذا يحتاج هذا اللفظ وأمثاله إلى ما يميزه ويُبيّنه ويفسره ، نقول : عندي عشرون كتاباً ، وأنا أكثر من ذاك مالاً . فكلمتا « كتاباً ، ومالاً » تمييزان ، لأن الأولى وضحت الإبهام في « عشرون » ، والأخرى وضحته في « أكثر » .

١ ـ نوع التمييز

آ ـ تمييز المفرد :

قد يكون الإبهام في المفرد ، ويسمى التمييز الذي يوضحه : تمييز المفرد ، وله في كتب النحو مصطلحات ثلاثة : تمييز الذات ، لأن اللفظ المبهم يدل على ذات ، وتمييز الملفوظ ، لأن الإبهام وارد في كلمة ملفوظة . ويقال له : تمييز المفرد ، كما تقدم .

واللفظ المبهم أنواع :

١ ـ العدد وتمييزه :

والأعداد كلها ألفاظ مبهمة لابد لها من كلمة توضحها وتميزها ، وتحدد المقصود منها ، أما تمييزها فقد يكون منصوباً ، وقد يكون مجروراً بالإضافة أو بالحرف ، وذلك على الشكل التالي :

ـ تمييز العدد المفرد وأشباهه :

تقول : عندي عشرة كتبٍ ، وثلاثة أقلامٍ ، وأمامَ المنزل سبعُ شجراتٍ ، وفي الطريق أربعُ فتياتٍ ، وخاض المعركة مئة جنديٍّ بل ألفُ بطلٍ . وعند فلان بضعةُ أعمالٍ ، وعدةُ مهماتٍ .

في هذه الأمثلة جاء العدد مفرداً ، أي : يتألف من لفظ واحد ، وجاء

بعده تمييز مجرور بالإضافة ليوضح إبهامه ويفسره ، ويلاحظ أنه بصيغة الجمع ، إلا ما جاء منه بعد المئة والألف .

وتقول : عندي عشرة من الكتب ، وجاء ثلاثةٌ من الجند ، وغادرنا عشرة من الرجال ، وفي القرآن الكريم : ﴿ فخذ أربعةً من الطير ﴾ (البقرة : ٢٦٠) فالتمييز في هذه الأمثلة مجرور بمن .

فتمييز العدد المفرد إذاً يجر بالإضافة أو بمن .

ـ تمييز العدد المركب تركيب مزج :

العدد المركب ما تألف من لفظين يدلان على العدد ، رُكّب أحدهما مع صاحبه تركيباً مزجياً ، مثل : أحد عشر ، واثنتا عشرة ، وثلاثة عشر ، الخ .

والتمييز بعده يأتي مفرداً منصوباً ، كما في قوله تعالى : ﴿ إني رأيتُ أحد عشر كوكباً ﴾ (يوسف : ٤) ، ومثله قوله : ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ (البقرة : ٦١) .

وقد يفصل بينه وبين التمييز بشبه جملة ، فلا يتغير الحكم فيه ، كما في قول جرير :

لي خمسَ عشرةَ من جُمادى ليلةً ما أستطيعُ على الفراشِ رُقادي

ـ تمييز ألفاظ العقود :

أما ألفاظ العقود فهي : عشرون ، ثلاثون ، أربعون . . . تسعون . والتمييز بعدها مفرد منصوب ، سواء أكان لفظَ العقد مفرداً أو معطوفاً على عدد آخر ، انظر قول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفتُ الدارَ بعد توهُّمِ

فقوله : حجة . تمييز وقع بعد « عشرين » ، فجاء مفرداً منصوباً . وانظر أيضاً قوله تعالى : ﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ﴾ (ص : ٢٣) وقول عنترة :

فيهـا اثنتـان وأربعـون حلـوبـةً سوداً كخافية الغراب الأسحمِ

في الآية القرآنية جاء التمييز « نعجة » بعد لفظ العقد « تسعون » مفرداً منصوباً ، وكذلك جاء في قول عنترة « حلوبة » . وكل من العقدين كما ترى معطوف على عدد مفرد قبله .

ـ كنايات العدد :

وللعدد ثلاث كنايات : هي : كم ، كأين ، كذا . ولكل منها استعمال :
فأما « كم » فنوعان : خبرية ، واستفهامية .

والخبرية ما دلت على كثرة مبهمة ، مثل : كم شهيدٍ هوى على الأرض !! فـ « كم » هنا ليست للاستفهام ، لأنها لا تحمل معنى السؤال ، ولكنها تعني : كثير من الشهداء هووا على الأرض . وتمميزها مجرور بالإضافة كما مرَّ أو بمن ، نحو قول زهير :

جعلن القنان عن يمينٍ وَحزْنَهُ   وكم بالقنان من محل ومُحْرِمِ

وأحياناً يُفصل بينها وبين تمييزها بفاصل ، فينصب أو يجر بمن ، ولا يجوز جره بالإضافة ، مثل : كم عند فلان دفتراً ، أو : كم عنده من دفتر . وإنما امتنع أن يكون مجروراً بالإضافة لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة ، والفصل بينهما قبيح .

أما « كم » الاستفهامية ، فتمييزها لا يختلف عن تمييز ألفاظ العقود ، فهو مفرد منصوب ، مثل : كم كتاباً عندك ؟ وكم دفتراً اشتريتَ ؟ . وأجازوا جره بـ « من » مقدرة إذا سبقت « كم » بحرف جر ، مثل : بكم ليرةٍ اشتريتَه ؟ والنصب أقوى .

وقد يحذف تمييز « كم » بنوعيها : الخبرية والاستفهامية ، تقول : كم سرتَ ؟ أي : كم ميلاً سرتَ ؟ وكم شكوت البَينَ !! أي : كم مرةٍ شكوت البين .

ومن كنايات العدد « كأيِّنْ » ، وفي لفظها أربع لغات : كأيِّنْ ، وكأيِنْ ، وكائِنْ ، وكئِنْ . أما معناها فلا يختلف عن معنى « كم » الخبرية في دلالته على الكثرة . وتمييزها مفرد مجرور بمن[1] ، كقول زهير :

وكائِنْ ترى من صامتٍ لك معجب   زيــادتــه أو نقصــه فــي التكلــمِ

وقوله تعالى : ﴿ وكأيِّنْ من دابةٍ لا تحمل رزقها ﴾ (العنكبوت : ٦٠) وقوله : ﴿ وكأيِّن من نبي قاتل معه ربيون كثير ﴾ (آل عمران : ١٤٦) .

أما « كذا » فهي من كنايات العدد أيضاً ، وتشبه « كم » الاستفهامية في المعنى ، لدلالتها على الكثرة والقلة ، وفي نصب تمييزها وإفراده ، تقول :

(١) ورد في الشعر منصوباً على قلة .

عندي كذا وكذا كتاباً . جاء كذا طالباً .

٢ ـ تمييز المقادير وأشباهها :

والمقادير أيضاً أسماء مبهمة تحتاج إلى ما يفسرها ويوضحها من الكلمات، وهي المساحة ، والوزن، والكيل، والمقياس ، وأشباهها . تقول: سرت ميلاً أرضاً ، واشتريت رطلاً عسلاً ، وليتراً حليباً ، ومتراً قماشاً .

وتقول : ما في السماء قدر راحةٍ سحاباً ، وفي القرآن الكريم : ﴿ فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره ﴾ (الزلزلة : ٧) ومن أمثلتهم : خبأت جرة عسلاً ، وبرميلاً دبساً ، ووقعنا مدَّ يدك عريضةً .

وثمة ما يجري مجرى المقادير ، ككلمتي : مثل ، وغير ، في قولك : عندي مثل ما عندك كتباً ، ويملك فلان غير ما تملك ذهباً .

٣ ـ تمييز الذوات المبهمة :

وثمة كلمات تدل على ذوات مبهمة المادة ، مثل : خاتم ، ساعة ، سوار ، حُلة ، فالخاتم يصنع من الذهب أو الفضة أو النحاس ، وكذلك الساعة والسوار ، والحلة قد تكون جوخاً وغيره . فإذا قلت : عندي خاتم . لا يعرف ممَّ صنع ، فلإزالة الإبهام تقول : عندي خاتم ذهباً ، أو فضةً ، أو نحاساً . ولبست فاطمة سواراً ذهباً أو فضة . واشتريتُ حلة جوخاً .

ب ـ تمييز النسبة :

على أن الإبهام لا يكون في المفردات فقط ، فقد يكون في نسبة شيءٍ إلى آخر ، فإذا قلت : أعجبتني أشجارُ الحديقةِ . نسبت فعل الإعجاب إلى الأشجار لا إلى الحديقة ، فإذا تصرفت في ذلك وقلت : أعجبتني الحديقةُ أشجاراً ، نسبت فعل الإعجاب هنا إلى الحديقة كلها ، ولكنك عدت فميزتها بقولك : أشجاراً . لتحدد نسبة الإعجاب تحديداً دقيقاً .

وهذا التمييز إما أن يكون محولاً ، وإما أن يكون غير محول .

١ ـ التمييز المحول :

يحول التمييز عن أحد ثلاثة : عن فاعل ، ومفعول به ، ومبتدأ . وذلك واضح في الأمثلة الآتية :

ـ اشتعل الرأس شيباً أصله : اشتعل شيبُ الرأسِ . فتحول الإسناد

ونسب إلى الرأس كله ، ثم ذكر الشيب ليميز إبهام النسبة ، فنصب على التمييز المحول عن فاعل ومثله : أعجبتني الجامعة بناءً ، وراعني الكتاب طباعة .

ـ فجرنا الأرض عيوناً . أصله : فجرنا عيونَ الأرضِ . ثم أوقع فعل التفجير على الأرض كلها ، وذكرت العيون لتمييز إبهام النسبة ، فنصبت على التمييز المحول عن مفعول به .

ـ السيف أصدق إنباءً من الكتب . أصله : إنباء السيف أصدقُ من إنباء الكتب . ثم أسند الصدق إلى السيف كله ، وذكر المصدر بعده (إنباء) ليحدد نسبة الإسناد بدقة . فهو تمييز محول عن مبتدأ[1] ومثله ما يقال عن ذي الرمة : هو أحسن الإسلاميين تشبيهاً . وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمة .

٢ ـ التمييز غير المحول :

من صور هذا التمييز ما يأتي في صيغ التعجب ، نحو : لله دره فارساً . ما أعظمه بطلاً ، أكرم به رجلاً . وهو تمييز يبين إبهام النسبة ، فبعد أن يكون التعجب منسوباً إلى المتعجب منه عامة ، يخصص وتحدد النسبة فيه ، بالفروسية ، أو البطولة ، أو الرجولة . وهو غير محول عن فاعل أو مفعول أو مبتدأ .

٢ ـ أحكام التمييز

إعرابه :

يعمل في تمييز المفرد المبهمُ قبله ، أما تمييز الجملة فيعمل فيه الفعل وأشباهه نحو : طاب فلانٌ نفساً . ونحو : فلان طيب قلباً . أو : مُعْجِب خلقاً . ويكون منصوباً طوراً ، ومجروراً طوراً آخر ، وذلك على الشكل التالي :

ـ يكون واجب النصب : إذا كان تمييزاً محولاً عن فاعل أو مفعول ، أو مبتدأ ، كما تقدم في الأمثلة ، وإذا وقع بعد العدد المركب أو بعد لفظ من

(١) يرى بعض النحويين أن التمييز في مثل هذا التركيب محول عن فاعل ، لأن ما بعد اسم التفضيل فاعل في المعنى .

ألفاظ العقود ، أو بعد « كم » الاستفهامية التي لم تسبق بحرف جر .

أما قولك : اشتريت عشرين من الكتب . أو : خمسة عشر من الكتب ، فلا يدل على أن التميز في هذا الموضع جائز الجر ، لأنك عرفت أن التمييز بعد هذا النوع من الأعداد يجب أن يكون مفرداً منصوباً ، وهو هنا كما ترى جمع ، ولو أنك حاولت أن تأتي به مفرداً مجروراً لما أتيت بكلام عربي ، إذ لا يقال : اشتريت عشرين من كتابٍ .

ولك في المثالين السابقين ، أعني : عشرين من الكتب ، وخمسة عشر من الكتب ، وجه لا يخلو من دقة ، وهو أن يكون التمييز محذوفاً لأن شبه الجملة أغنت عنه ، لأن « من » فيها بيانية ، فكأنك قلت : اشتريت عشرين نسخة من الكتب ، وهذا واضح جداً في قول الحارث بن حلزة اليشكري :

وثمانون من تميم بأيديـ ـهم رماحٌ صُدورُهُنَّ القضاءُ

فكأنه قال : وثمانون فارساً من تميم .

ـ ويكون واجب الجر : بعد الأعداد المفردة ، وبعد « كم » الخبرية إذا لم يفصل بينهما بفاصل ، وزعم ابن عصفور أن جره بعد « كأيّن » واجب ، وقد ورد في الشعر منصوباً قليلاً . كقول الشاعر :

اطرد اليأس بالرجا فكأيّنْ آلماً حُمَّ يُسْرُه بعد عُسْرِ

ـ يجوز فيه النصب والجر : في غير ما ذكر ، مثل : عندي ليترٌ حليباً ، أو : ليترُ حليبٍ ، أو ليترٌ من حليب . الخ . . . وكذلك تمييز « كم » الاستفهامية المسبوقة بحرف جر ، مثل : بكم ليرةٍ أو ليرةً اشتريت هذا .

٢ ـ تنكيره :

والتمييز اسم نكرة في الأصل ، إلا أنه ورد في شواهد فصيحة قليلة معرفة لفظاً ، نكرة معنى ، كقوله تعالى : ﴿ ومن يرغبُ عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة : ١٣٠) والتقدير : سفه نفساً وقوله : ﴿ كم أهلكنا من قريةٍ بطرت معيشتَها ﴾ (القصص : ٥٨) والتقدير بطرت معيشةً ، وكقول رشيد اليشكري :

رأيتُك لما أن عرفت وجوهنا صددتَ وطبتَ النفسَ يا قيسُ عن عمرِو

والتقدير : طبت نفساً .

٣ ـ جموده :

والتمييز أيضاً اسم جامد ، وبهذا يختلف عن الحال التي تتميز بأنها اسم مشتق . إلا أن للتمييز حالات يظهر فيها مشتقاً كما في قولهم : لله دره فارساً . والحق أن التمييز هنا محذوف حلت محله صفته ، وكان التقدير : لله دره رجلاً فارساً . وهذا في العربية كثير ، فكما تنوب الصفة عن موصوفها الفاعل والمفعول و . . . مثل : جاء البطلُ ، والتقدير : جاء الرجل البطل . كذلك تنوب عن موصوفها التمييز وتعرب إعرابه . ويكون هذا غالباً في تمييز الجملة .

٤ ـ تأخيره :

ويقع التمييز متأخراً عن العامل فيه ، فلا يقال : عسلاً اشتريت رطلاً ، ولا كتاباً ابتعت عشرين ، ولكن النحاة مختلفون في جواز تقديم التمييز حين يكون عامله فعلاً متصرفاً ، فأجازه بعضهم محتجين بهذا البيت الذي ينسب إلى المخبل السعدي ، وأعشى همدان ، ومجنون ليلى :

أتهجر ليلى بالفراقِ حبيبها ... وما كان نفساً بالفراقِ تطيبُ

وبقول شاعر من قبيلة طيء :

أنفساً تطيب بنيل المنى ... وداعي المنون ينادي جهارا

وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا : إن في البيتين شذوذاً يخرج بهما عن سننِ العربية ، فلا يجوز لأحد أن يجعلهما أصلاً يقيس عليه .

شواهد للتدريب

١ ـ قال زهير :

وذاك أحزمهم رأياً إذا نبأٌ ... من الحوادثِ غادى الناس أو طرقا

٢ ـ وقال يصف قطاة يلاحقها الصقر :

لا شيءَ أسرعُ منها وهي طيبةٌ ... نفساً بما سوف ينجيها وتَتْرِكُ

٣ ـ قال جرير :

لم تلقَ أخبَث يا فرزدقُ منكم ليلاً ، وأخبثَ بالنهارِ نهارا

٤ ـ وقال :

هلا تحرجتِ مما تفعلين بنا يا أطيبَ الناسِ يومَ الدجن أرْدانا

٥ ـ وقال ذو الرمة :

تزداد للعين إبهاجاً إذا سفَرَتْ وتَحْرَجُ العينُ فيها حين تنتقِبُ

* * *

المستثنى

المستثنى هو الاسم الذي تسبقه أداة استثناء ، ويخالف في الحكم ما قبلها ، مثل : رجع الجندُ إلاَّ عليّاً . فالحكم هنا هو رجوع الجند ، ولكن « عليّاً » لم يرجع فخالف الحكم الذي سرى على الجند .

وفي جملة الاستثناء ، مستثنى ، وهو هنا « علي » ، ومستثنى منه وهو « الجند » وأداة استثناء وهي « إلاَّ » ، وحكمه وهو « الرجوع » .

آ ـ أنواع الاستثناء

للاستثناء أنواعٌ ثلاثةٌ ، يرجع اثنان منها إلى طبيعة الصلة بين المستثنى والمستثنى منه ، ويرجع الآخر إلى طبيعة العامل النحوي ، وإليك تفصيل ذلك :

١ ـ الاستثناء المتصل :

إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه سمي استثناءً متصلاً ، مثل : سافر أخوتُك إلاَّ سميراً ، فسميرٌ من إخوتك ، وقد خالف في حكم السفر بقيةَ الإخوة ، ومثله : جاء الناسُ إلاَّ علياً . ونجح الطلاب إلا خالداً ، فعليٌّ من جنس الناس ، وخالدٌ من جنس الطلابِ .

٢ ـ الاستثناء المنقطع :

وهذا ضربٌ مقابلٌ للاستثناء المتصل ، وهو ما كان فيه جنس المستثنى مخالفاً لجنس المستثنى منه ، تقول : خرج الطلابُ من القاعة إلاَّ كتبَهُمْ . فالكتب ـ وهي المستثنى ـ ليست من جنس الطلاب ، وهم المستثنى منه ، وكقوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم ، إلاَّ اتباعَ الظنّ ﴾ (النساء : ١٥٧) فاتباع الظن مخالف في الجنس للعِلم . ومثله قول النابغة الذبياني :

وقفتُ فيها أصيلاً كي أسائِلَها عَيَّتْ جواباً ، وما بالربع من أحَدِ
إلاّ الأواريَّ لأياً مـا أُبيِّنُها والنؤيُ كالحوْضِ بالمظلومة الجَلَدِ

فالأواريُّ ـ وهي محابس الخيل ـ ليست من جنس المستثنى منه وهو : أحد .

٣ ـ الاستثناء المفرَّغ :

وهذا النوع يرجع إلى طبيعة العامل النحوي ، إذ يحذف فيه المستثنى منه ، ويتفرَّغ العامل قبل « إلاّ » ليعملَ فيما بعدها . كما يوضحه لك المثالُ الآتي :

« ما جاء إلاّ المجدُ »

فالفعل جاء لم يرفع فاعلاً قبل « إلاّ » ، ولم يؤثر في اسم معرب ، ولذلك تجاوز تأثيرهُ الأداةَ ، ووصل إلى الاسم بعدها وهو « المجدُ » فرفعه على أنه فاعلٌ له . وعلى هذا يكون الاستثناء المفرّغ ما جاء فيه العامل قبل « إلاّ » مؤثراً فيما بعدها ، وذلك لحذف المستثنى منه . كما في الأمثلة الآتية :

ـ مارأيت إلا علياً .

فالفعل رأيت قبل « إلاّ » تفرغ للعمل فيما بعدها ، فنصب عليّاً ، على أنه مفعول به ، وقد حذف المستثنى منه .

ـ ما هذا إلاّ كتابٌ . المبتدأ : هذا ، رفع الخبر بعد « إلا » وقد حذف المستثنى منه .

ـ ما مررتُ إلاّ بأخيك . فالفعل « مررت » عمل في شبه الجملة : بأخيك ، لأنها تُعلّق به ، وقد حذف المستثنى منه .

ـ ما رأيتك إلاّ باسماً . الفعل « رأيت » نصب الحال بعد « إلاّ » وقد حذف المستثنى منه .

وأنت تلاحظ في الأمثلة السابقة أنَّ الاستثناء المفرَّغ سُبقَ بأداةَ النفي ، وهو الأصل الكثير المستَقْرَى من لغة العرب ، إلاّ أنه في بعض الأحيان ، يسبق بما يشبه النفي ، وهو ثلاثة أشياء :

١ ـ النهي : تقول : لا تُعطِ إلاّ الفقيرَ ، ولا تذهبْ إلا إلى السوق ، ولا تَنَمْ إلاّ مطمئناً .

٢ ـ الاستفهام الذي خرج عن معناه إلى معنى النفي . وغالباً ما تكون أداتُهُ « هل » مثل : ﴿ فهل يهْلَكُ إلاَّ القومُ الفاسقون ﴾ (الأحقاف : ٣٥) . أي : لا يُهْلَكُ إلاَّ الفاسقون .

٣ ـ الفعل الذي فيه معنى النفي ، تقول : أبي أخوك إلا النجاح . فالفعل « أبي » فيه معنى النفي . فكأنك قلت : لم يرضَ أخوك إلا النجاحَ .

ب ـ أدواتُ الاستثناء

أدوات الاستثناء تسعٌ ، هي : إلاَّ ، غير ، سوى ، خلا ، عدا ، حاشا ، ليسَ ، لا يكون ، بيد . وهي كما ترى مختلفة ، فبعضها حرف ، وبعضها : اسمٌ ، وبعضها : فعلٌ ، ولنتحدَّثْ عن كلٍّ منها .

١ ـ إلاَّ :

هي أمُّ أدوات الاستثناء ، وأكثرها استعمالاً ، إلاَّ أنها في بعض الأحيان تخرج عن معنى الاستثناء إلى معنى آخر ، ونحن مضطرون هنا إلى أن نذكر معانيها كلَّها لأنها تدخل في البحث .

ـ الاستثناء : وهو أم معانيها . إذ يكون ما بعدها خارجاً من حكم ما قبلها مثل : هربَ الناسُ إلاَّ أخاك .

ـ الحصر : وذلك إذا جعلتَ الحدثَ مقصوراً على ما بعدها ، في هذه الحال يكون الاستثناء مفرغاً ، وقد مرَّت بك أمثلته الكثيرة ، وهي هنا تشبه أداة الاستثناء السابقة من حيث الدلالة ، لأن ما بعدها يخرج من حكم ما قبلها ، إلا أن هذا ليس هو المهم في استعمالها ، فالغاية منها أن تجعل الحدث الذي يسبقها مقصوراً علي ما بعدها ، تأمل قول النابغة :

أبـــى الله إلاَّ عــــدْلَـــه ووفـــاءَهُ فلا النكر معروفٌ، ولا العُرْفُ ضائعُ

فمعنى جملة الاستثناء هنا هو : أبى الله كل شيءٍ إلاَّ عدْلَهُ ، فالعدلُ يخرج من حكم ما قبله ، ولكن ليس هذا هو المهم ، بل المهم التعبير عن قَصْر نفي الإباء على العدل والوفاء .

وأحياناً يأتي بعد أداة الحصر جملة مؤولة بمفرد ، كقول الأعشى :

لم تمشِ ميلاً، ولم تركب على جملٍ ولـم تـرَ الشمسِ إلاّ دونها الكِلَلُ

وتأويلها هنا : أي : لم تر الشمس إلاّ مظَّللة بالكلَّة . ومثله قولهم : ما تكلم فلانٌ إلاّ قال خيراً . أي : إلا قائلاً خيراً ، وكقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ (الشعراء : ٢٠٨) . أي : منذرين إياها ، وإعراب الجملة في مثل هذا : في موضع نصب على الحال .

ـ الاستدراك : وهذا موضع آخر لا تكون فيه « إلاّ » أداة استثناء وإنما تكون فيه بمعنى لكن ، ولا يكون ما بعدها خارجاً من حكم ما قبلها ، والكلام قبلها تامٌ كامل المعنى ، كما في قوله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (طه : ٣٠٢) ، أي : ما أنزلناه لشقائك ، لكن أنزلناه تذكرة[1] .

ـ بمعنى « غير » : وكذلك لا يخرج ما بعدها عن حكم ما قبلها في هذه الحال ولكنها تؤدي معنى « غير » تأمل قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ، فهل يمكن أن يكون معنى « إلاّ » الاستثناء ؟ لو كان كذلك لصار المعنى كمايلي : لو كان فيهما آلهة ليس الله معهم لفسدتا . وهذا يعني أنَّ الفساد حصل لأنَّ الله لم يكن مع الآلهة ، ولو كان معهم لما حصل الفساد ، وهذا معنى لا تؤديه الآيةُ ، لأن معناها : لو كان في السماء والأرض آلهةٌ أخرى غيرُ الله لفسدتا ، وبهذا لا تكون « إلاّ للاستثناء ، بل بمعنى « غير » .

وإعراب « إلاّ » هنا يختلف عن إعرابها في المواضع الأخرى ، إذ تكون هي وما بعدها صفةً لجمع بصيغة التنكير ، كما في الآية السابقة ، فالموصوف فيها قوله : « آلهة » والصفة قوله : « إلاّ الله » ، وقد يبدو غريباً جداً وصف النكرة بالمعرفة ، إلاّ أن هذا محضُ صناعة نحوية ، وتفصيل ذلك أنَّ « إلاّ » وحدها هي الصفة في المعنى ، لأنها بمعنى « غير » ، ولكنها حرف لا يتحمل الإعرابَ ، فانتقل إلى الكلمة بعدها ، وهذا التعليل ـ وإن لم يذكره النحاة ـ هو الوجه الذي يُقبل به ، وهو الوجه الذي أرادوه .

---

(١) للنحاة في إعراب إلاّ تذكرة: كلام واختلاف . انظر تفسير القرطبي : ١٦٩/١١ ، والبحر المحيط : ٢٢٥/٦ ، وانظر كتابنا : المختار من أبواب النحو ص ٣٣٢ وما بعدها .

٢ ـ غير ، سوى :

وهذان اسمان ، ولذلك يعربان إعراب الاسم الذي بعد « إلاَّ » ، نحو : جاء الناسُ غيرَ خالدٍ ، فغير اسم منصوبٌ على الاستثناء ، و« خالد » الذي هو المستثنى في المعنى صار مضافاً إليه في اللفظ ، وتستطيع فَهْمَ هذا إذا وازنت بين الجمل الآتية :

رأيت الناسَ إلا خالداً = رأيت الناسَ غيرَ خالدٍ = رأيت الناسَ سوى خالدٍ .

حملتُ أمتعتي إلا الكتبَ= حملت أمتعتي غيرَ الكتب = حملت أمتعتي سوى الكتب .

ما جاء إلا خالدٌ = ما جاء غيرُ خالدٍ = ماجاء سوى خالدٍ.

و« غير وسوى » في هذا التركيب اسمان معربان ، تظهر فيه الحركات على « غير » وتقدر على « سوى »[١] .

وكثيراً ما يكون الاستثناء بـ « غير » منقطعاً ، كقول النابغة الذبياني في مديح الغسانيين :

ولا عَيْبَ فيهمْ ، غير أنَّ سيوفَهم   بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

فكون سيوفهم بهن فلول من القراع ليس من جنس العيب .

٣ ـ خلا ، عدا ، حاشا :

وهذه الأدوات تؤدي معنى الاستثناء ، تقول : جاء القومُ خلا زيداً ، أو زيدٍ ، ومررتُ بهم عدا أخاك أو أخيك ، وسرق الأولاد حاشا أخاك أو أخيك .

فمعنى هذه الأدوات كما ترى لا يختلف عن معنى « غير » و« إلا » ، ولكنها من حيث الإعراب لا تعرب أدوات استثناء ، ولا أسماءً منصوبة على الاستثناء ، وإنما تُعرب كمايلي :

ـ جاء القومُ عدا زيداً ، أو خلا زيداً ، أو : حاشا زيداً .

---

(١) يرى جمهور البصريين أن « سوى » ظرف مكان ، فإذا قلت : لا أبتغي جاراً سواك . كان المعنى : لا أبتغي جاراً مكانك . ولهم في هذا كلامٌ طويل .

. عدا أو خلا أو حاشا : فعل ماضٍ جامدٌ ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره هو « على غير المألوف » ، يعود إلى مصدر منتزع من الفعل المتقدم « جاء » . والتقدير : عدا مجيئُهم زيداً[1] .

وزيداً : مفعول به منصوب .

وجملة : عدا زيداً : في محل نصب ، حال[2] .

وهناك صورة أخرى لهذه الأدوات ، وهي أنْ يكونَ ما بعدها مجروراً ، فتكون حروفَ جرّ ، مثل : جاء القوم عدا زيدٍ ، خلا زيدٍ ، حاشا زيدٍ .

والجار والمجرور يتعلقان بالفعل المتقدم عليها[3] .

وثمّة صورة ثالثة لاستعمالها ، وهي أن تدخل عليها « ما » المصدرية . وحينئذٍ لا تكون إلا أفعالاً تنصب ما بعدها ، لأن « ما » المصدرية تكاد تختص بالدخول على الأفعال ، تقول : جاء القومُ ما خلا زيداً ، وما عدا زيداً ، وما حاشا زيداً . وتعرب كمايلي :

ما : مصدرية .

خلا ، عدا ، حاشا : فعل ماضٍ جامد ، والفاعل ضمير مستتر . . . الخ . . والمصدر المؤول في محل نصب حال . والتقدير : جاء القومُ مجاوزين زيداً ، والجملة صلة الموصول الحرفي ، لا محل لها من الإعراب . وقد قدّر المصدر ـ كما ترى ـ اسم فاعل لأن الأفعال الجامدة ليس لها مصادر .

وقد يحذف الفعل وتبقى اختصاراً وتخفيفاً في النطق ، كما في قول العرب : « كل شيءٍ مَهَهٌ ـ أي : سهلٌ ـ ما النساءَ ، وذكرَهُنَّ » والتقدير : ما خلا النساء وذكرهُنّ .

٤ ـ ليس لا يكون :

وهذان فعلان ناقصان ، إلا أنهما في الاستثناء يستتر اسمهما وجوباً :

(١) هناك آراء أخرى ليست بذات شأن .

(٢) لم تلحق « قد » الجملة لأن فعلها جامد .

(٣) يرى بعضهم أنها حروف جر شبيهة بالزائدة ، وما بعدها مجرور لفظاً ، منصوب محلاً على الاستثناء ، وليس ببعيد ، لأنها لا توصل معنى الفعل إلى مجرورها ، وبهذا تشبه « ربّ » . ولكن النحاة الثقات لا يقولون بذلك .

تقول : جاء الناسُ ليس زيداً ، أو لا يكون زيداً ، ومنه قول تأبّط شراً :

لا شيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذَرٍ وذا جناحٍ بجنبِ الرَّيْدِ خفَّاقِ[1]

٥ ـ بيْدَ :

وهي ملحقة بأدوات الاستثناء ، وليست أصيلة فيها ، لأنها لا تتصرف كما تتصرف « غير ، وسوى » مثلاً ، إذ يشترط في استعمالها أن يكون الاستثناء منقطعاً ، وأن يأتي بعده مصدرٌ مؤول مجرور بالإضافة مثل : ذهبت إلى الشاطيء بَيْدَ أني لم أطِلْ الوقفةَ[2] .

جـ ـ إعراب المستثنى

النحاة مختلفون في ناصب المستثنى بـ « إلاّ » ، وخير آرائهم ما يذهب إلى أنه الفعلُ بوجود « إلاّ » ، أما « غير وسوى » ، فالعامل فيهما الفعل قبلهما .

أمّا إعرابه فعلى الشكل التالي :

١ ـ واجب النصب :

ـ يجب نصب المستثنى حين يكون الكلام قبل « إلاّ » مثبتاً تاماً ، كقوله تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين ﴾ (الزخرف : ٦٧) .

ـ ويجب نصبه إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه كقول كعب بن مالك :

النـاسُ ألبٌ علينا فيكَ ليسَ لنا إلاّ السيوفَ وأطرافَ القنا وَزَرُ

وقولِ الكميت بنِ زيد :

ومـا لـيَ إلا آلَ أحمـدَ شيعـةٌ وما ليَ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ[3]

(١) عذر : جمع عذرة ، وهي ناصية الفرس . الرَّيْدُ : أعلى الجبل .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابنا « المختار من أبواب النحو : ص ٣٣٦ ـ ٣٤٢ » .

(٣) وتفصيل ذلك أن المستثنى إمّا أن يكون منصوباً على الاستثناء ، وإما أن يكون =

ـ ويجب نصبه في لهجة سكان الحجاز إذا كان منقطعاً ، فقد كانوا ينشدون قولَ النابغةِ بنصب « الأواريَّ » :

وقفتُ فيها أُصَيْلاناً أسائلُها عيَّتْ جواباً ، وما بالربعِ من أحدِ

إلاّ الأواريَّ . . . الخ . . .

أمّا التميميّون فقد كانوا يبدلونه من المستثنى منه ، وينشدون شعر النابغة بالرفع ، بدلاً من محل « أحد » .

٢ ـ جواز النصب وغيره :

ويجوز نصبه إذا كان الكلام قبل « إلاّ تاماً منفيّاً مثل : ما جاء القومُ إلا سعيداً ، ويجوز هنا وجه آخر ، وهو جعل الاسم بعد « إلا » بدلاً تابعاً في إعرابه للمستثنى منه ، مثل : ما جاء القوم إلا سعيد ، وما رأيت القومَ إلا سعيداً .

ويلحق بالنفي في هذا الأسلوب : النهي ، والاستفهام الإنكاريُّ ، والفعل الذي فيه معنى النفي مثل : أبى .

ومرَّ بنا أيضاً أن بني تميم يجعلون المستثنى في الاستثناء المنقطع بدلاً من المستثنى منه .

٣ ـ الاستثناء المفرَّغ :

أما في الاستثناء المفرغ فالاسم بعد « إلا » يخضع للعامل الذي قبلها ، وقد مرَّ بنا هذا فلا نعيده .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار ، بلاغ ، فهل يهلك إلاّ القوم الفاسقون ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

= بدلاً من المستثنى منه وحين يتقدم على المستثنى منه لا يمكن أن يكون بدلاً منه ، ولذلك وجب نصبه على الاستثناء .

٢ ـ ﴿ ويأبى الله إلاَّ أن يتمَّ نوره ، ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة : ٣٢).

٣ ـ قال ذو الرمة :

هلِ الناسُ إلا نحن أم هل لغيرنا بنـي خِنْـدِفٍ إلا العَـوَاريَّ مِنْبَـرُ

٤ ـ قال الأخطل :

رأيتُ الناسَ ما حاشا قريشاً فـإنـا نحـنُ أفْضَلُهـم فَعـالا

٥ ـ قال النابغة الذبياني :

فما وجدتُ بها شيئاً ألوذُ بهِ إلا الثمامَ ، وإلا موقِدَ النارِ

٦ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

وكـلُّ أخٍ مفـارقُـهُ أخـوهُ لَعَمْرُو أبيك إلاَّ الفرقدانِ

٧ ـ قال زهير :

وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقْتُمُ وما هو عنها بالحديثِ المرجَّمِ

* * *

المنادى

النداء أسلوب من أساليب العربية يكثر استعماله في الكلام ، ولذلك يُحذف فيه ما لا يحذف في غيره من الأساليب ، ولهذا كان القدماء يقولون : النداء باب حذفٍ وتغيير .

آ ـ أدوات النداء :

١ ـ يا :

هذه أولى أدوات النداء ، وأكثرها استعمالاً ، ولذلك كانت أمَّ الباب ، كما يقول القدماء ، نادى بها العربُ القريبَ والبعيد ، واستعملوها في نداء الاستغاثة والتعجب والندبة ، ولا ينادى لفظ الجلالة إلا بها ؛ ولا يقدَّر من أدوات النداء غيرها مع المنادى الذي حذفت أداته ، ولم يستعمل القرآن الكريم غيرها من الأدوات .

ولا يجوز حذف « يا » إلاّ مع المنادى المعرفة ، كقوله تعالى : ﴿ يوسف أعرضْ عن هذا ﴾ (يوسف : ٢٩) ، أي : يا يوسف ، ومثله : ﴿ اعملوا آلَ داودَ شكراً ﴾ (سبأ : ١٣) أي : يا آل داود . وقول صخر بن عمرو يرثي أخاه معاوية :

إذا ما امرؤ أهدى لمَيْتٍ تحيةً فحيَّاكَ ربُّ العرشِ عني مُعاويا

أي : يا معاويَ .

ولا يجوز حذفها مع المنادى النكرة ، لأن النكرة عامة شائعة ، فإذا لم تُذكر قبلها أداة النداء حدث اللبسُ ، فلا تقول : رجلاً أقبلْ .

إلا أن النصوص المنقولة من الشعر والأمثالِ حملت هذه الظاهرة ، إذْ حذفت « يا » فيما أشبه المعرفة ، كالنكرة المقصودة ، يقول الأعشى :

وحتى يبيتَ القومُ في الصفِ ليلةً يقولون : نوِّر صبحُ ، والليلُ عاتِمُ

وتقديره : نوّرْ يا صُبحُ . ويقول بشر بنُ أبي خازم :

فباتَ يقولُ : أصْبِحْ ليلُ ، حتى ... تجلّى عن صريمتهِ الظلامُ

أي : أصبحْ يا ليلُ . ومن أمثالهم المسموعة : أصبح ليلُ[1] ، وأطرق كرا[2] ، وافتدِ مخنوقُ[3] ، وتقديرها : يا ليلُ ، ويا كروانُ ، ويا مخنوقُ .

٢ ـ أ ـ أي :

وهاتان الأداتان لنداء القريب[4] ، لخلوّهما من الصوت الممدود ، كقولك : أخالدُ أقبلْ . أيْ بُني ، وكقول كثيّر عزَّة :

ألمْ تسمعي أيْ عَبْدَ في رونقِ الضحى ... بكاءَ حماماتٍ ، لهنَّ هديرُ

وقول عبدِ يغوث الحارثي :

أقولُ وقد شدّوا لساني بنسعةٍ ... أمعشرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيا

٣ ـ آ ، أيا ، هيا :

وهذه الأدوات ينادى بها البعيد ، لما فيها من أصوات المد التي تنبّه المنادى ، كقول ذي الرمَّة :

أيا ظبية الوعساءِ بينَ جُلاجلٍ ... وبين النقا آأنتِ ، أم أمُّ سالمِ

وقول قيس بنِ الملوّح :

أيا جَبَلَيْ نعمانَ باللهِ خليا ... نسيمَ الصبَّا يَخلصْ إليَّ نسيمُها

وكقول الآخر :

هيا أمَّ عمروٍ هل ليَ اليومَ عندكمْ ... بغيبةِ أبصارِ العُداةِ سبيلُ

٤ ـ وا :

وهذه أداةٌ تستعمل غالباً في الندبة ، وهو أسلوب من أساليب النداء سيمر بك بعد قليل ، كقولهم : واعُمراه . ويرى بعض النحويين أنها تستعمل أحياناً

(١) انظر مجمع الأمثال : ١/٤٠٣ ، برقم : ٢١٣٢ .

(٢) نفسه : ١/٤٣١ ، برقم : ٢٢٧٣ .

(٣) نفسه : ٢/٧٨ ، برقم : ٢٧٦٥ .

(٤) يرى ابن مالك أن (أي) تستعمل لنداء البعيد ، لإمكان مَدّ الياء ، كما يمكن أن تمد في مثل : بيت .

في النداء الحقيقي ، وبين أيديهم بعض الشواهد .

وتستعمل هذه الأدوات مع المنادى المجرد من « أل » ، فلا يقال : يا الرجلُ ، ويا الخادمُ ، بل يؤتى بـ « أي » مع « ها » التي للتنبيه ، وتجعل منادى ، ثم يؤتى بالمنادى الأصلي ويجعل تابعاً لها مثل : يا أيها الرجلُ ، أو يؤتى باسم الإشارة ، فينادى ، ويجعل المنادى تابعاً أيضاً ، تقول : يا هذا الرجلُ[1] .

هذا هو أسلوب العربية في نداء ما لحقته « أل » ، ولكن هذا الأسلوب لا يتَّبع مع لفظ الجلالة « الله » على الرغم من لحاقها به ، فهو ينادى بأداة النداء « يا » مباشرةً ، تقول : ياالله ، وعلة هذا أنه اسم لزمته « أل » لزوماً دائماً ، وكثر في كلام العرب ، فصارت « أل » كأنها من أصوله .

على أنه قد تحذف « يا » ، ويعوض عنها بـ « ميم » مشددة في نهاية اللفظ ، فيصير : اللَّهُمَّ .

ب ـ إعراب المنادى

وبين النحاة خلاف ليس بذي قيمة في عامل المنادى ، فهم يجعلونه مفعولاً به غير مباشر ، وينصبه في زعم بعضهم فعلٌ محذوف تقديره : أنادي أو أدعو ، ويرى فريق آخرُ أنه منصوب بأداة النداء التي حلت محلَّ الفعل المحذوف .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فإن المنادى في إعرابه نوعان :

١ ـ معربٌ منصوب :

وذلك في ثلاث حالات :

آ ـ أن يكون مضافاً : نحو قوله تعالى : ﴿ يا أختَ هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ ، وما كانت أمُّكِ بغيّا ﴾ (مريم : ٢٨) . ونحو قول عبد الله بنِ كعب العميري :

---

(١) وفي هذه الحال يجب إعراب (الرجل) وأمثاله صفة أو عطفَ بيانٍ ، لا بدلاً ، لأن البدل على نية إسقاط المبدل منه ، وإذا حصل هذا دخلت (يا) على المعرف بأل .

أيا نخلَتَيْ مُرّانَ هلْ لي إليكما   على غَفَلاتِ الكاشحين سبيلُ

ب ـ أن يكون شبيهاً بالمضاف : وهو ما جاء بَعْده شيء متممٌ لمعناه ، وذلك أن يكون المنادى عاملاً فيه أو موصوفاً له ، كما في الأمثلة الآتية :

ـ يا رافعاً علمَ البلادِ . المنادى « رافعاً » اسم فاعل ، جاء بعده اسم تمَّم معناه ، إذ خصَّصَ الرفع بعلم البلاد ، وهو مفعول به للمنادى « رافعاً » .

ـ يا محموداً ذكرُهُ : المنادى اسم مفعول ، و« ذكرُه » نائب فاعل له .

ـ يا حسناً وجهُهُ : المنادى صفة مشبهة ، ووجهه فاعل له .

ـ يا أكرمَ من حاتمٍ : المنادى اسم تفضيل ، ومن حاتم ، معلقان به .

ـ يا عشرينَ رجلاً : المنادى اسم مبهم ، ورجلاً : تمييز موضح له .

ويلحق بهذا المنادى النكرة الموصوفة ، نحو : « يا عظيماً يرجى لكل عظيم » وكقول ذي الرمة :

أداراً بحزوى هِجْتِ للعين عَبْرَةً   فماءُ الهوى يرفضُّ أو يترَقْرقُ

فجملة : يرجى ، صفة للمنادى : عظيماً . وشبه الجملة : بحُزْوى : معلقة بصفةٍ محذوفة للمنادى : داراً . والصفة متممة لمعنى الموصوف[1] .

جـ ـ أن يكون نكرة غير مقصودة : النكرة ضربان ، ضرب يكون معيناً مقصوداً ، وآخر لا يقصد منه تعيين ، فإذا قال الرجل الجاهلُ : يا متعلماً هنيئاً لك ، فإنه لا يقصد إنساناً متعلماً خاصاً ، يراه أمامه ، أو يتخيَّلهُ ، وإنما يعني كل إنسان تعلم ، ومن ذلك قول عبد يغوث :

فيـا راكبـاً إمَّـا عـرضـتَ فبلِّغـنْ   ندامايَ من نَجْرانَ أن لا تلاقيا

فالشاعر هنا لا ينادي راكباً خاصاً معيناً ، بل يشمل بندائه كلَّ راكب .

٢ ـ مبني على ما يُرفَعُ به :

ويبنى على الضم في حالين :

آ ـ أن يكون علماً مفرداً : وذلك إذا كان المنادى اسم علم ، لا يزيد على

(١) يرى بعض النحويين أنّ الشبيه بالمضاف يقتصر على ما كان فيه المنادى عاملاً أو معطوفاً عليه ، ولا يلحقون به المنادى الموصوف . ثم هم يقولون بترجيح نصب المنادى الموصوف دون أن يدخلوه بحالٍ من الحالات الثلاث التي ينصب فيها المنادى . ويرى آخرون أن من الشبيه بالمضاف ما كان له تابع مّا .

لفظ واحد ، كما لو نودي : أحمد ، أو سمير ، أو عدنان ، أو زينبْ ، أو . . . كقول عروةَ بن حزام :

أعفراءُ كم مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ أذقْتِني   وحُزْنٍ ألجَّ العينَ بالهمَلانِ

فقوله : أعفراءُ ، منادى علم مفرد ، مبني على الضم في محل نصب .

ب ـ أن يكون نكرةً مقصودة : وذلك كقول الأعشى :

قـالـتْ هُـرَيْـرةُ لمَّـا جئـتُ زائـرَهـا   ويلي عليكَ ، وويلي منكَ يا رجُلُ

ومثله قولك : يا قارئان ، ويا سابحون ، فالأول مبني على الألف في محل نصب . والثاني : مبني على الواو في محل نصب .

وقد يكون المنادى مبنياً قبل النداء، كما لو ناديت : سيبويهِ ، أو حَذامِ ، أو اسمَ الإشارة ، وفي هذه الحال يكون البناء على الضم مقدراً تقديراً ، تقول مثلاً في نداء اسم الإشارة : يا هذا ، مايلي : يا : أداة نداء ، وهذا ، منادى مبني على الضم المقدر على آخره ، منع ظهوره اشتغال المحل بالبناء السابق على السكون ، في محل نصب .

٣ ـ حالات خاصة في إعرابه :

يكثر نداء العلم المفرد في كلام العرب متبوعاً بـ : ابن ، ابنة ، مثل : يا خالدُ بنَ الوليدِ ، يا سعدُ بنَ معاذ ، ولهذه الكثرة تسامحوا في إعرابه فكانوا ينصبونه تارةً إتباعاً لكلمة : ابن ، ويبنونه على الضم تارة أخرى . يقولون : يا خالدَ بنَ الوليد ، ويقولون : يا خالدُ بنَ الوليد .

ويفعلون مثل هذا في المنادى إذا كُرِّر مثل : يا خالدَ خالدَ العربِ . قال جرير :

يا تيمَ تيمَ عديٍّ لا أبا لكمُ   لا يَلْقَيَنَّكُـم فـي سـوءةٍ عُمَـرُ

فكان العرب ينشدونه بنصب المنادى حيناً ، وببنائه على الضم حيناً آخر .

وفي الشعر قد ينوّن المنادى ، وهو علم مفرد ، ومن حقه أن يكون مبنيّاً ، ويظهر أنّ العربَ لم يكونوا يلتزمون في تنوينه إعراباً خاصاً . فمنهم مَن يُلحق به التنوين ، وهو مبني على الضم كالأحوص في قوله :

سـلامُ الله يـا مطـرٌ عليهـا   وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

وبشر بن أبي خازم في رثاء أخيه « سمير » :

يـا سميـرٌ مَـنْ للنسـاءِ إذا مـا   قحـطَ الفقـرُ أمَّهـاتِ الميـالِ

ومنهم مَن ينونّه ، ويرده إلى النصب كما فعل المهلهل في قوله :

ضربتْ صدرَها إليَّ وقالتْ :   يا عديّاً ، لقد وَقَتْكَ الأواقي

وقد اختلف النحاة في أفصح الأسلوبين ، ولم يصلوا إلى شيء ، لأنهما كليهما من كلامهم .

جـ ـ أساليب النداء

وللنداء حالات ، فقد يكون طلباً للمعونة ، وقد يكون تعبيراً عن دهشة وتعجب ، وقد يكون تفجعاً على مفقود ، أو توجعاً من ألم ، ولكل حالٍ من هذه الحالات ، أسلوب من النداء يختلف عن الآخر .

١ ـ أسلوب نداء الاستغاثة :

وينوّع ـ كما قلنا ـ معنى النداء ، فأحياناً يُهرَع الإنسان إلى غيره ، ويناديه مستغيثاً به ، لينقذه من شدة ، أو يعينه على مشقة ، وتتألف الجملة في هذا الأسلوب من ثلاثة أشياءَ هي : الأداة ، والمستغاث به ، والمستغاث له ، كما في قول بشر بن أبي خازم :

فيـا للنّـاسِ لِلـرَجـلِ المعنّـى   طوالَ الدهرِ ، إذْ طالَ الحصارُ

فالأداة هي : يا ، والمستغاث به هو : الناس ، والمستغاث له ، هو الرجلُ المعنّى .

على أنه كثيراً ما يحلُّ محل المستغاث له ، مستغاث منه ، كما في قول قيس بنِ ذريح :

تكَنَّفَني الوشاةُ فأزعجوني   فيـا لَلنـاسِ لِلـواشـي المُطـاعِ

فهو يستغيث بالناس من الواشي .

ومن الواضح في البيتين أن المستغاث به جُرّ بلام مفتوحة ، على حين جُرَّ المستغاث له أو منه بلام مكسورة ، وهذا هو الأصل المستقرى من كلام

العرب . ومن الواضح أيضاً أن الأداة في البيتين « يا » ، وهي كذلك في أسلوب الاستغاثة لا يستعمل غيرها .

على أن الصورة التي يأتي عليها المستغاث به قد تتغير ، فربما استُغني عن اللام المفتوحة ، بألف مدٍّ تَلْحَقُ آخره ، كما في قول الشاعر :

يـا يـزيـدا لآمـلٍ نيـلَ عِـزٍّ   وغِـنـى بَعْـدَ فـاقـةٍ ، وهَـوانِ

وقد يخلو منهما جميعاً كقوله :

ألا يا قوم لِلعجبِ العجيبِ   وللغفـلات تعـرض لـلأريـب

أما الإعراب في هذا الأسلوب فعلى الشكل التالي :

١ ـ يا للأغنياء للفقراء :

يا : أداة نداء واستغاثة . للأغنياء : اللام : حرف جر ، الأغنياء : منادى مستغاث به ، مجرور باللام، وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره ، والجار والمجرور معلقان بفعل النداء المحذوف ، أو بأداة النداء[١] .

للفقراء : اللام حرف جر ، الفقراء : مستغاث له ، مجرور باللام ، والجار والمجرور معلقان بحال محذوفة من المستغاث به ، والتقدير : مدعوّين للفقراء ، أو بفعل محذوف تقديره أدعوكم للفقراء .

٢ ـ يا يزيدا لآملٍ :

يزيدا : منادى مستغاث به ، مبني على الضم في محل نصب ، وحركة البناء مقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة للألف . والألف للاستغاثة .

٣ ـ يا قومِ لِلعَجَبِ :

قومِ : منادى مستغاث به ، منصوب لأنه مضاف ، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة للياء ،

(١) وهناك رأي ثالث يذهب إلى أن اللام زائدة ، والمستغاث به منادى ، منصوب أو مبني على الضم ، بحسب ما تقتضيه القواعد الإعرابية وما أثبتناه في المتن أصح ، وأجرى على الأصول .

و« ياء » المتكلم المحذوفة للتخفيف ضمير متصل مبني على السكون في محل جر ، مضاف إليه .

٢ ـ أسلوب نداء التعجب

وهناك أسلوب آخر ، يدل على تعجب من شيءٍ مّا ، وهو في تركيبه الأسلوبي يشبه أسلوب الاستغاثة شبهاً كبيراً ، فإذا تعجبت من جمال النجوم قلت : يا لَلنجوم !! أو يا لجَمالِ النجوم !! ، وإذا استهواك منظر البحر قلت : يا لَلبحر !! أو يا لَرَوعة البحرِ .

ومن هذه الأمثلة يتضح لك أن المنادى المتعجَّب منه ، يُجرُّ بلام مفتوحة ، كما يُجرُّ المستغاث به في أسلوب الاستغاثة ، وأن الأداة المستعملة فيه هي « يا » دون غيرها .

وهو مثله أيضاً في جواز الاستغناء عن اللام المفتوحة الجارة بألف تلحق آخره، تقول مثلاً: يا نُجوماً، بدلاً من: يا لَلنجومِ، ويا بحراً، ويا سماءاً، و. .

على أننا نجد في هذا الأسلوب ـ وهو قائم على المجاز ـ ظاهرةً لا نجدها في أسلوب الاستغاثة هي : أنهم قد ينادون العجب نفسه ، كما في قول امريء القيس :

ولمّا عقرتُ للعذارى مَطيَّتي ... فيا عَجَبا من رحلها المتحمّلِ

ومثله قول كثيّر عزَّة :

فوا عَجَبا للقلبِ كيف اصطبارُهُ ... وللنفسِ لمّا وُطِّنَتْ كيفَ ذَلَّتِ[1]

وفي نداء المتعجب منه ضرب من المبالغة والتعظيم ، لأنه يشخّصه ، ويجعله ذا فهمٍ وإدراك ، ويثير في السامع تنبُّهاً ، حتى لكأنه يقول له : انتبه للعجب .

والإعراب الذي قدمناه في أسلوب الاستغاثة هو نفسه الذي يُقدم في إعراب المنادى المتعجب منه ، فلا حاجة بنا للتمثيل .

٣ ـ أسلوب نداء الندبة

ويستعمل هذا الأسلوب للتفجع ، أو للتوجع ، وينادى به مايلي :

(١) استعمل الأداة هنا « وا » وهو قليلٌ جداً .

١ ـ الفقيد : كقولهم مثلاً لفقيد اسمه أحمد : وا أحْمَداهْ .

٢ ـ من ينزل منزلة الفقيد : كقول الخليفة عمر ، وقد نبيء بجدْبٍ أصاب بعض العرب ، ومجاعة حلت بهم : وا عُمرَاهْ . فكأنه أشار في هذا إلى أنه بمنزلة مَن مات لسماع هذا الخبر .

٣ ـ المتوجع له : كقولهم : وا كبداهْ .

٤ ـ المتوجع منه : نحو : وا مصيبتاه .

وفي هذا الأسلوب صوت مدٌّ في بدء النداء ونهايته ، لأن ذلك أكثر تعبيراً عن التحسر وأقرب إلى أن يكون صورة بدائية عن اللغة العاطفية .

أما الصور التي يتشكل بها هذا الأسلوب فهي كمايلي :

١ ـ وا أحمداه :

وا : أداة نداء وندبة . أحمداه : منادى مندوب ، مبني على الضم المقدر على آخره ، منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة المناسبة ، والألف للندبة ، والهاء هاء السكت . وهاء السكت هذه تحرك بالضم في ضرورة الشعر . وفي المنادى المركب تلحق هاء السكت آخر الجزء الثاني ، مثل : واحرَّ قلباهْ .

٢ ـ وا أحمدا : استغني عن هاء السكت .

٣ ـ واعمرُ : استغني عن ألف الندبة والهاء .

٤ ـ يا عُمرَا : حلت « يا » محل « وا » لأمن اللَّبسِ .

والمنادى المندوب يجب أن يكون معرفة غير مبهمة ، كما في الأمثلة السابقة ، أما النكرات ، والمعارف المبهمة فلا تندب ، وكيف يندب الإنسان من لا يعرف ؟. إذ لا يقال : وا رجلاهْ ، وا هذاهْ ، وا مَنْ ذهب . . . غير أنهم نادوا الاسم الموصول حين تكون صلته على شهرة ، قالوا : وامن حفر زمزماه .

د ـ الترخيم في النداء

قلنا في بداية الكلام : إن النداء باب حذف وتغيير ، والترخيم دليل من أدلة كثيرة على ذلك . وقد أُخذ الترخيم من قولهم : امرأة رخيم الكلام .

أي : أن كلامها مرتَّلٌ محذوف الفضول ، أو أنها ناعمة النغمة ، فسموا الحذف في المنادى ترخيماً ، لأنه تخفيف اللفظ وتسهيله . كقولهم في نداء فاطمة : يا فاطمَ ، وفي نداء ، أسماء : يا أسْمَ ، وفي نداء سليمان : يا سُليمَ ، وللترخيم شروط ثلاثة هي :

١ ـ أن يكون المنادى مفرداً علماً ، ويعني هذا أنه لا ينادى ما ليس بعلم ، كالنكرة المقصودة ، وغير المقصودة ، فلا يقال مثلاً : يا فلا . أي : يا فلاَّحُ ، أو : يا فلاَّحاً . على أنه سمع من العرب ترخيم النكرة المقصودة ، ففي مثلٍ لهم قالوا : أطرِقْ كرا . أي : يا كروان ، وقالوا : يا صاح ، أي : يا صاحِبُ : قال امرؤ القيس :

أصاح ترى برقاً أريك وميضَه كلمع اليدينِ في حَبِيٍّ مُكلَّلِ[1]

وقالوا : يا شا ارحبي أي : يا شاةُ أقيمي ولا تسرحي . وقالوا : يا ناقَ . أي : يا ناقةُ ، قال أبو النجم العجلي :

يـا نـاقَ سيـري عَنَقـاً فسيحـاً إلى سُليمانَ ، فنستريحا[2]

ولكن هذا شيء قليل .

هذا ما تعنيه كلمة « علم » . أمّا ما تعنيه كلمة « مفرد » فهو أنه لا يجوز ترخيم المنادى إذا كان جزءاً من تركيب الإضافة ، فلا يقال مثلاً : يا عَبَ الكريم ، أي : يا عبدَ الكريم .

على أنه ورد في لغة الشعر ترخيمٌ من هذا القبيل ، ولكن جرى الحذف فيه على آخر المضاف إليه ، لا على آخر المنادى نفسه ، قال زهيرُ بن أبي سُلمى :

خذوا حظَّكم يا آلَ عِكْرِمَ واذكروا أواصِرنا ، والرحْمُ بالغيبِ تُذْكَرُ

وهذا لا يجوز في النثر[3] .

(١) لمع اليدين حركتهما . الحبي : السحاب الذي يحبو في الفضاء . والمكلّل : الذي يعلو بعضه بعضاً .

(٢) العَنق : ضربٌ من السير . وسليمان هو : سليمان بن عبد الملك .

(٣) اختلف النحاة في جواز ترخيم المنادى إذا كان مركباً تركيب مزج ، مثل : حضرموت ، وبعلبك ، ودار بجرد ، و . . وهو شيء لم يسمع في لغة العرب الفصيحة ، فلا حاجة بنا إلى الحديث عنه .

٢ ـ أن يكون بناؤه على أكثر من ثلاثة أحرف : وبهذا لا يجوز ترخيم ما كان على ثلاثة ، لأنك إن حذفت منه حرفاً أبقيته على حرفين ، وهذا مُخِلٌّ ببناء الأسماء العربية التي لا تقلّ عن ثلاثة ، فلا يقال : يا حَسَ ، أي : يا حَسَنُ ، ولا يا مُضَ ، أي : يا مُضَرُ . ويقال : يا عُثْمَ ، ويا مَرْوَ ، ويا أَسْمَ ، أي : يا عثمانُ ، ويا مروانُ ، ويا أسماءُ ، قال الفرزدق :

يـا مَـرْوَ إن مطيَّتـي محبـوسـةٌ ترجو الحِباءَ ، وربُّها لم ييأسِ

وقال عمرُ بنُ أبي ربيعة :

قفي فانظري يا أَسْمَ هل تعرفينه أهذا المغيريُّ الذي كان يُذكرُ

٣ ـ أن يكون منتهياً بتاء : وهذا كثير في لغة العرب ، يقولون : يا فاطمَ ، وياعَنْترَ ، ويا معاويَ ، ويا بُثَيْنَ[1] ، و . . . وقال الفرزدق :

أبوكَ وعمي يا معاويَ أورثا تراثاً ، وأولى بالتراثِ أقاربُهْ

وقال حاتم الطائي :

أماويَّ إنَّ المالَ مالٌ بذلتُهُ فـأولـه شكـرٌ ، وآخـره ذِكْـرُ

وفي المنادى المرخم لغتان :

الأولى : أن تعدّ الاسمَ بعد الحذف تاماً سويّاً لا نقص فيه ، فكأنه لم يحذف منه شيء ، وعلى هذا تبنيه على الضم ، تقول : يا فاطمُ ، يا عُثْمُ ، يا بُثَيْنُ ، الخ . . . ، وتسمى هذه اللغة : لغة من لا ينتظر ، أي : أن المنادي لم ينتظر مجيء المحذوف من المنادى حتى يلحق به البناء على الضم .

الثانية : أن تجعل الاسم بعد الحذف غير تام ، وتقدر في نفسك ما حذف منه ، ومن هنا تبقي الحرف الذي صار أخيراً على الحركة التي كانت له قبل النداء والترخيم ، تقول : يا فاطمَ ، يا عُثْمَ ، يا بُثَيْنَ ، وتسمى هذه اللغة ، لغة من ينتظر ، أي : ينتظر المحذوف ليحمل البناء .

هـ ـ توابع المنادى

وتوابع المنادى كثيرة التفرعات في كتب النحاة ، تبدو معقدة ، يتداخل

(١) ويجوز أن يرخم من هذا ما كان على ثلاثة ، مثل : يا هَب ، في ترخيم : هبة (اسم فتاة) .

بعضها في بعض ، ويمكن ترتيبها على الشكل الآتي :

١ ـ توابع المنادى المنصوب :

يكون تابع المنادى منصوباً إلا في حالين ، هما :

آ ـ أن يكون بدلاً .

ب ـ أن يكون معطوفاً مجرّداً من « أل » والإضافة .

تقول : يا أخانا الكريمَ ، ويا أخي أبا فؤاد ، ويا إخوتَنا كلَّكم ، أما في الحالين السابقين ، فيعامل معاملة المنادى المستقل ، كما في المثالين الآتيين :

يا أبا الحسَنِ عليُّ

بُني (عليٌّ) على الضم ، لأنه بدلٌ من أبي الحسن ، فكأنه نوديَ نداءً مستقلاً ، فقيل : يا أبا الحسنِ ، يا عليُّ .

يا أبا الحسَنِ وعليُّ

وكذلك بُني هنا على الضم لأنه معطوف ومجرّد من « أل » والإضافة .

٢ ـ توابع المنادى المبني على الضم :

آ ـ إذا كان غير معرّف بـ « أل » عومل معاملة المنادى المستقل : يا زيدُ بشرُ . يا زيدُ وبشرُ ، يا خالدُ صديقَ المعسرين ، يا رجالُ كلَّكم ، يا خالدُ أبا سليمانَ .

ب ـ أما إذا كان معرفاً بـ « أل » فله حالان :

الأول : أن يُرفع حملاً على لفظ المنادى ، وذلك إذا كان المنادى اسم إشارة . أو : أيُّها ، أيَّتُها ، نحو : يا هذا الرجلُ ، ويا أيها الرجل .

قال عبيد بن الأبرص :

يـا ذا المخـوّفُنـا بمقتـلِ شيخـهِ حجر ، تمنّيَ صاحبِ الأحلامِ

والثاني : يجوز فيه الرفع على اللفظ ، والنصب على المحل ، تقول : يا زيدُ . الكريمُ ، والكريمَ .

و ـ صور المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم له صور لفظية كثيرة ، هي :

١ ـ حذف ياء المتكلم : يا غلام أقبلْ . وهذه هي اللغة الشائعة الكثيرة .

٢ ـ إثبات ياء المتكلم ساكنة أو مفتوحة : يا غلاميْ أقبلْ ، أو : يا غلاميَ أقبلْ . ومن ذلك قول الراجز ، وهو عبد الله بن عبد الأعلى القرشي :

وكنتَ إذ كنتَ إلٰهي وحدكا لم يَكُ شيءٌ يا إلٰهي قبلكا

٣ ـ قلب ياء المتكلم ألفاً مثل : يا غلاما ويجوز حذفها وإبقاء الفتحة نيابة عنها : يا غلامَ .

٤ ـ حذف الياء وبناء الاسم على الضم : يا غلامُ ، وهذه لغة بعض العرب .

٥ ـ وإن كان معتل الآخر فتحت الياءُ ، تقول : يا فَتايَ ، يا قاضيَّ .

٦ ـ وإن كان المنادى أحدَ اللفظين : أب ، أم ، جاز فيه ما تقدم من الأوجه الأربعة الأولى ، وجاز فيه قلب الياء تاءً مفتوحة أو مكسورة ، مثل : يا أبتَ ، يا أُمَّتَ . و : يا أبتِ ، يا أمَّتِ . ويلحق بذلك قولهم : يا بن عمِّ ، يا بن أمِّ ، ويا بن عمَّ ، ويا بن أمَّ ، ويا بنة عمِّ ، ويا بنة عمَّ .

ملاحظة :

يذهب فريق من النحاة إلى أن المنادى قد يحذف بعد « يا » ويحتجون بشواهد شعرية ، وبقراءة للكسائي وغيره . والصحيح أنّ « يا » هنا أداة تنبيه ليس غيرُ ، لأن معظم ما احتجوا به يرد فيه المنادى مذكوراً بعد قليل ، فلا داعي لحذفه ثم ذكره ، من ذلك قول الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدْرِ وإن كان حيانا عِدىً آخرَ الدهرِ

فإذا قدرنا المنادى بعد « يا » كما يذهبون ، لكان الكلام على صورة غير فصيحة ، إذ يصير : ألا يا هندُ اسلمي يا هندُ هندَ بني بدْرِ . ومثل هذا ما احتجوا به من شعر ذي الرمّة ، والمرقش والكميت ، والعجاج .

وقد يكون المنادى متقدماً ، كقول العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي بسَمْسَمٍ ، وعن يمينِ سمسمِ

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره ﴾ (هود : ٨٤) .

٢ ـ ﴿ يا أبتِ إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً ﴾ (يوسف : ٤) .

٣ ـ ﴿ قال : يا بنَ أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ (طه : ٩٤) .

٤ ـ ﴿ وجاءت سيارة ، فأرسلوا واردهم ، فأدلى دلوه ، قال : يا بشرى ، هذا غلام ﴾ (يوسف : ١٩) .

٥ ـ ﴿ قالت : يا ويلتا ، أألدُ وأنا عجوز ، وهذا بعلي شيخاً ﴾ (هود : ٢٧) .

٦ ـ ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا : يا ليتنا نردُّ ولا نكذِّب ﴾ (الأنعام : ٢٧) .

٧ ـ قال زهير :

فلمَّا عرفتُ الدارَ قلتُ لربعها ... ألا عِمْ صباحاً أيها الربعُ ، واسلم

٨ ـ قال عنترة :

يا دار عبلةَ بالجواءِ ، تكلمي ... وعِمي صباحاً دارَ عبلة ، واسلمي

٩ ـ قال عمرو بنُ كلثوم :

بأي مشيئةٍ عمروُ بن هندٍ ... تطيعُ بنا الوشاةَ ، وتزدرينا

١٠ ـ قال امرؤ القيس :

فيا لكَ من ليلٍ كأن نجومَهُ ... بكلّ مغار الفتل ، شدتْ بيذبُلِ

١١ ـ قال مالك بنُ الريب :

يا عاملاً تحتَ الظلامِ مطيَّة ... متخايلاً ، لا بلْ وغيرَ مخاتلِ

* * *

الاسم المجرور

المجرور بحرف الجر

١ ـ وظيفة حرف الجر

إن الجملة اللغوية بنية مركبة من عناصر مترابطة ، ولكل عنصر فيها وظيفة خاصة تتحدد بها قيمته . فما وظيفة حرف الجر ومجروره في التركيب اللغوي ؟.

الحق أننا لا نستطيع أن ندرك وظيفة حرف الجر بعمق إلا إذا فهمنا الكلمات .

فللفعل أثر معنوي تتعلق به مجموعة من الأسماء في البنية ، غير أن هذا التعلق يختلف من حيث الشكل والمعنَى ، كما تَرى في هذه الجملة :

لَفَّ الطبيبُ جُرْحَ الجندي بضمادة لدفع الجراثيم عنه .

ففي هذه الجملة نجد نوعين من التعلق بالفعل ، فهناك اسمان يتعلقان به مباشرة من دون واسطة ، هما : الطبيب ، و« جرح » وهناك اسمان آخران لا يتعلقان بالفعل مباشرة بل احتاجا إلى واسطة ، هما : ضمادة ودفع . وهذه الواسطة هي حرف الجر ، ولو أننا حاولنا إسقاط هذا الحرف الوسيط لاضطرب الكلام ، إذ لا يقال : لف الطبيب جرح الجندي ضمادةً دفعَ الجراثيم عنه . وكذلك لا يقال : قعد فريدٌ الأرضَ . بل : على الأرضِ . ولا يقال : أكل الطعامَ الملعقةَ . بل : بالملعقةِ . وهكذا .

وبهذا تكون وظيفة حرف الجر مزدوجة :

فهو أولاً أداة تربط بين الفعل أو شبهه ، والاسم الذي لا يمكن أن يتعلق به مباشرة ، أي : أن حرف الجر يصل بين الاسم والفعل وصلاً معنوياً .

وهذه الوظيفة تؤدي بشكل طبيعي إلى الوظيفة الأخرى . وهي التحديد . أي : أن الفعل يكون عاماً فيتخصص . فلو قلت : قعد فريد . لأديت معنًى عاماً للقعود . ولكن لو قلت : قعد فريد على الأريكة للراحةِ . حددتَ مكان القعود ، وسببه .

ووظيفة التحديد هذه ترتبط بالمعاني المنوطة بالحروف الجارة ، فما هي ؟

٢ ـ معاني حروفِ الجر

ولكل حرفٍ من حروف الجر معانٍ من شأنها أن تجعله ومجروره مكملين لمعنى الفعل أو شبهه ، وسنوجز الحديث عنها لكثرتها .

١ ـ مِنْ :

أهمُّ معانيها ابتداء الغاية في المكان ، نقول : خرجتُ من المنزلِ ، فابتداء الخروج كان من المنزلِ ، وقد تأتي لابتداء الغاية في الزمان ، كقوله تعالى : ﴿ لمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أوَّلِ يومٍ ، أحقُّ أن تقومَ فيه ﴾ (التوبة : ١٠٨) . وقولِ الحصين بن الحمام :

من الصبح حتى تغربَ الشمسُ لا ترى ... من الخيلِ إلاَّ خارجياً مُسَوَّماً

وقولِ بشامةَ بن الغدير :

من عهدِ عادٍ كان معروفاً لنا ... أسْرُ الملوكِ ، وقتْلُها ، وقتالُها[١]

وتأتي بمعنى بعض وتسمى البعضيّة ، كقولك : أكلت من التفاح . وقد تبين جنساً لمبهم قبلها ، مثل : عندي خاتمٌ من ذهب ، وما تفعلْ من خير تجده .

وقد تكون معلّلةً للحدث ، كقول الفرزدق :

يُغضي حياءً ، ويغضى من مهابتِهِ ... فما يكلَّمُ إلاَّ حينَ يبتسمُ

وقد تحذف نونها من الشعر ، كقول أبي صخرٍ الهذليّ :

كأنهما مِلآنَ لم يتغيَّرا ... وقد مرَّ للدارينِ من بعدنا عصْرُ

أي : مِن الآن ، وسبب الحذف أنّ نونها ساكنةٌ ، واللام بعدها ساكنة أيضاً ، فحذفت النون لأنها أشبهت حروفَ اللين التي تحذف عند التقاء الساكنين ، لما فيها من غُنَّة تضارع ما في أحرف اللين من مدٍّ .

(١) مجيئها لابتداء الغاية في الزمان قليل ، ولذلك منعه بعض النحويين ، وتأولوا الآية القرآنية . انظر شواهد للتدريب في آخر البحث .

٢ ـ عن :

معناها العام المجاوزة كقولك : صفحتُ عنه . ومن معانيها البدلية ، كقوله تعالى : ﴿ واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده شيئاً ﴾ (لقمان : ٣٣) .

٣ ـ على :

ومعناها الاستعلاء ، وهذا قد يكون استعلاءً حسيّاً ماديّاً ، وقد يكون استعلاءً معنوياً . والنوع الأول نفسُهُ قسمان :

ـ حقيقي ، كما لو قلت : قعد فلانٌ على الأرض . فاستعلاء القعود على الأرض حسيٌّ حقيقي .

ـ مجازي : كقولهم : قعدنا في مقهى على البحر . فالمقهى ليس مستعلياً على البحر نفسه ، ولكنه على مكانٍ قريب منه ، إلاَّ أنه لشدَّة القرب جُعِلَ فوق البحر من باب المجاز .

أما الاستعلاء المعنوي فهو نقيضُ الحسي المادي ، كقوله تعالى : ﴿ من عملَ صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ﴾ (فصلت : ٤٦) .

وتأتي للتعليل ، كقولك : كافأته على عمله وبمعنى « في » كقول النابغة :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصبّا وقلتُ : ألمّا تَصْحُ والشيبُ وازعُ

وبمعنى « مع » مثل : رضيتُهُ على علاته .

وقد تحذف ألِفُها في الشعر قبل « أل » كقول قطريّ بنِ الفجاءة :

غداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بكرُ بنُ وائلٍ وعجنا صدورَ الخيلِ نحو تميمِ

أي : على الماء .

٤ ـ إلى :

معناها الأصيل انتهاء الغاية في المكان مثل : وصلتُ إلى الجامعة ، والزمان كقوله تعالى : ﴿ ثم أتموا الصيامَ إلى الليل ﴾ (البقرة : ١٨٧) .

وقد تكون بمعنى « مع » كقول العرب : الذودُ إلى الذودِ إبل[1] . أو « عند » ، كقول أبي كبير الهذلي :

أمْ لا سبيلَ إلى الشبابِ ، وذكرُهُ أشهى إليَّ من الرحيقِ السَلْسَلِ

٥ ـ حتى :

وهي مثل « إلى » ، في دلالتها على انتهاء الغاية المكانية والزمانية ، تقول : سأمشي حتى بابِ الحديقة ، وسأراقب السماءَ حتى مطلع القمرِ . وفي القرآن : ﴿ سلامٌ هي حتى مطْلَعِ الفجر ﴾ (القدر : ٥) . وقد تأتي للتعليل كقوله تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ﴾ (البقرة : ٢١٧) وقد تكون بمعنى « إلا أن » كقول المقنَّع الكندي :

ليس العطاءُ من الفضولِ سماحةً حتى تجودَ ، وما لديك قليلُ

٦ ـ في :

معناها الأول : الظرفية ، سواء أكانت حقيقةً مثل : نمتَ في البيت ، ورأيتك في الصباح ، أم مجازاً مثل : لي في هذا أربٌ . وتكون للتعليل ، كما جاء في الحديث : « دخلت امرأةٌ النار في هرَّةٍ حبستها » .

٧ ـ اللام :

ولها معانٍ كثيرةٌ جداً ، أهمها الاستحقاق ، مثل : الحمد لله ، والعزَّةُ له . والاختصاص نحو : الباب للدار والتعليل : كقول امريء القيس :

ويومَ عقرتُ للعذارى مطيَّتي فيا عجبا من رحلها المتحمَّلِ

وتكون للملك : السيارة لك . وللتعدية : يهب لمن يشاء إناثاً ، وقد تكون بمعنى « إلى » كقوله تعالى : ﴿ ولو رُدُّوا لَعَادُوا لما نهوا عنه ﴾ (الأنعام : ٨) . أي : إلى ما نُهوا عنه . وتأتي ظرفية بمعنى « في » كقوله : ﴿ يسألونك عن الساعة أيّان مرساها ، قلْ : إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلاّ هو ﴾ (الأعراف : ١٨٧) أي : في وقتها . وتكون زائدة : إن كنتم للرؤيا تعبرون .

(١) الذود : من ثلاث إلى عشر من النوق ، وهو مَثَلٌ عربيٌ يعني أن القليل إذا جُمع إلى القليل كثر . انظر : جمهرة الأمثال للعسكري : ١/ ٤٦٢ .

٨ ـ الكاف :

أهم معانيها التشبيه ، مثل : أنت كالأسد ، والمعاني الأخرى التي تذكرها كتبُ النحوِ ثانويةٌ ، ومختلف فيها .

٩ ـ الباء :

معانيها كثيرةٌ ، أهمها الإلصاق مثل : مررتُ بك ، والتعليل نحو : عاقبته بذنبهِ ، والمصاحبة : خرجتُ بالسيف . والظرفية مثل « في » نحو : ﴿ ولقدْ نصركم الله ببدرٍ ﴾ (آل عمران : ١٢٣) والبدل كقول قريط بن أنيف العنبري :

فليتَ لي بهمُ قوماً إذا ركبوا شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا

أي : فليتَ لي بدلاً منهم قوماً . . . وتكون الباء للتعدية نحو : ﴿ ذهبَ الله بنورهم ﴾ (البقرة : ١٧) .

٣ ـ قيمة حرف الجر ومجروره

وتتحدد قيمة الجار والمجرور بوظيفتهما في التركيب اللغوي ؛ وبمدَى ارتباطهما بالحدث ، فأحياناً نراهما إذا حذفا من الكلام لم يُخِلَّ حذفهما في التركيب ، ولكن ينقصه تفصيلاً كان فيه ، وأحياناً لا يمكن إسقاطهما البتة لأن ذلك يؤدي إلى اختلال المعنى ، أو اختلافه ، أو يؤدي إلى اضطراب التركيب . وسنفصل هذا المجمل في الفقرات التالية :

١ ـ يمكن إسقاطهما : وذلك حين تكون وظيفتهما في التركيب إعطاء الحدث مزيداً من التفصيل ، كما في هذه الجملة :

ضربَ الطفلُ الهرةَ بالعصا ، وإذا بني الفعل للمجهول لم يحتج إليهما ، نقول : ضُرِبتْ الهرةُ .

فإن أنت أسقطت الجار والمجرور بقيت الجملة صحيحة من حيث المعنَى والتركيب ، ولكنك نقصته تفصيلاً ، إذ أفقدته آلةَ الحدث .

٢ ـ يمكن إسقاطهما في صيغة المبني للمعلوم ، ولكنهما يرجعان وجوباً

في صيغة المبني للمجهول . كما في الجملة الآتية :

قعد فريد على الأريكة .

فأنت هنا تستطيع إسقاط الجار والمجرور ، كما في الجملة السابقة لها ، غير أنك إذا بنيت الكلام للمجهول رأيت نفسك مضطراً إلى إعادة ما أسقطت ، تقول : قُعِد على الأريكة . لأن الجار والمجرور هنا قاما مقام المسند إليه ، أي : نابا عن الفاعل .

٣ ـ لا يمكن إسقاطهما البتة : وفي هذا ضربان ، فأحياناً يختل المعنَى ، وأحياناً يختلف ، فإذا قلنا : تقع مدينة الرباط على المحيط . فإننا لا نستطيع إسقاط الجار والمجرور ، لأن ذلك يؤدي إلى اختلال في الدلالة ، إذ لا معنًى لقولنا : تقع مدينة الرباط . أما إذا قلنا : قضَى فريد على عدوه . فإن إسقاط الجار والمجرور سيؤدي إلى معنىً ، ولكنه مخالف للمقصود ، فقولنا : قضَى فريد . يعني : مات فريد . وهذا معنًى آخر .

ومما لا يمكن إسقاطه أيضاً أن يكون الجار والمجرور في موقع المسند ، أو في موقع المسند إليه . فمن النوع الأول قولنا : في العمل لذة . فالجار والمجرور وقعا موقع خبر المبتدأ ، ولا يمكن إسقاطهما . ومن النوع الثاني قولنا : ذُهِبَ إلى السوق ، واحتُفِلَ في المدرسة ، إذ أن الجار والمجرور هنا نابا عن الفاعل .

٤ ـ حروف الجر الزائدة

الفرق بين حرف الجر الأصلي ، وحرف الجرْ الزائد ، أن الأخير لا يوصل أثرَ الفعل القاصر إلى الاسم ، ويمكن الاستغناء عنه ، وبهذا لا يحقق غرضاً معنوياً في الكلام ، فـ « من » الزائدة مثلاً ، لا تكون لابتداء الغاية المكانية ، ولا للتعليل ، ولا لغيرهما من المعاني التي تحملها « من » الأصلية ، ولكنها تكون للتوكيد فقط .

ولايأتي زائداً من حروف الجر إلا « من والباء » ـ وهما اللذان اتفق النحاةُ على مجيئهما زائدين ـ واللام والكاف ، وفي زيادتهما خلافٌ .

١ ـ **مواضع زيادة « من » :**

ـ أن تُسبَقَ بنفي أو ما يشبه النفي : وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ما اتَّخَذَ الله من ولدٍ ، وما كان معه من إلٰهٍ ﴾ (المؤمنون : ٩١) . فمن في الموضعيْنِ زائدةٌ ، لأنها خلت من المعاني التي تُناط بالحرف الأصلي ، فلا توصل أثر العاملِ النحوي إلى الاسم الذي جرّه . وعلى هذا يكون التقدير : ما اتخذ الله ولداً ، وما كان معه إلٰهٌ .

وتقول : لا تضربْ من أحدٍ . والتقدير : لا تضربْ أحداً ، وقد سبقت بـ « لا » الناهية الجازمة ، وهي مما يشبه النفي .

وتقول : هل ذهبَ من أحدٍ ؟ من : هنا زائدة ، سُبِقَتْ باستفهام أداتُه « هَلْ » ، وهو مما يشبه النفي أيضاً . ومثله فيْ القرآن : ﴿ هلْ من خالقٍ غيرُ الله يرزقكم ﴾ (فاطر : ٣٠) .

ـ والشرط الثاني أن يكون مجرورها نكرةً ، كما يتَّضح لك من الأمثلة السابقة ، فإذا قلت : ماقرأتُ من الكتابِ شيئاً . كانت « من » أصليةً لا زائدة . وكذلك لا تكون زائدة في مثل : ما أكلت من التفاح ، ولا : شربتُ من الماء ، لأن المجرور معرَّف لا منكر .

ـ والشرط الثالث : ألاَّ يتعدى إعرابُ مجرورها أحدَ ثلاثة أشياء :

ـ الفاعل : مثل : ما جاء من أحدٍ . أي : ما جاء أحدٌ .

ـ المبتدأ : مثل : هل فيكم من بطل . أي : هل فيكم بطلٌ .

ـ المفعول به : مثل : ما رأيت من أحدٍ . أي : ما رأيتُ أحداً[1] .

---

(١) هناك آراءٌ أخرى في « من » الزائدة ، فقد ذهب بعضهم إلى أنها قد تُزادُ في الإيجاب ، وقد يكون مجرورها معرفة ، واحتجَّ بقوله تعالى : ﴿ ونكفر عنكم مِنْ سيئاتكم ﴾ . وقوله : ﴿ وننزل من السماء من جبالٍ ﴾ وبقول العرب : قدْ أصابنا من مطر ، وقد كان من حديث . [معاني القرآن ، للأخفش . مصوَّرة عن مخطوطة طهران : اللوحات ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٤٠] .

وأضاف نحويٌّ آخر أنَّ موضع مجرورها قد يكون نصباً على أنه مفعول مطلق ، واحتجَّ بقوله تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام : ١٣٨) . أي : ما فرطنا شيئاً .

فشيئاً : مفعولٌ مطلق حلَّ محل المصدر : تفريطاً ، لأنَّ الفعل : فرَّطَ، لازم.

٢ ـ مواضع زيادة الباء :

أما الباء فتزاد في المواضع الآتية :

ـ في الخبر المنفي ، كخبر « ليس » مثل : ليس أخوك ببخيل . وخبر « ما » العاملة عمل « ليس » أو المهملة ، مثل : ﴿ وما ربُّك بظلَّامٍ للعبيد ﴾ (آل عمران : ١٨٢) ، وخبر « لا » كما في قول سواد بن قارب :

وكنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ   بمغنٍ فتيلاً عنْ سوادِ بنِ قاربِ

وخبر « كان » المنفية ، كقول الشنفرى :

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ   بأعجلِهمْ ، إذْ أجشعُ القوم اعْجَلُ

ـ وتزاد أيضاً مع النفي عامةً ، حتى جعله بعضُهمْ قياساً ، كقوله تعالى : ﴿ أوَلمْ يروا أنَّ الله الذي خلق السمٰواتِ والأرضَ ، ولم يَعْيَ بخلقهنَّ بقادر ﴾ (محمد : ٣٣) ، وكقول الشاعر :

فما رجعتْ بخائبةٍ ركابٌ   حكيمُ بنُ المُسيَّبِ منتهاها

فقد زيدت الباء في قوله : بقادرٍ ، وهي خبر « أنَّ » ، لوجود « لم » في بداية الآية ، وكذلك زيدت في قوله : بخائبةٍ ، وهي حالٌ ، لمكان « ما » النافية قبلها .

وعلى هذا يمكن أن تقول : ما أظنّك بقائم ، وما أرى أنك بقائم ، وما جاء بضاحك ، قياساً على الكلام السابق .

ـ في فاعل الفعل « كفى »[1] أو مفعوله ، مثل : كفى بأخيك بطلاً ، والتقدير : كفى أخوك بطلاً . وزيادتها قليلةٌ في المفعول به ، مثل : كفى بك داءً رؤيتك الأمورَ عسيرةً ، والتقدير : كفاك داءً .

ـ في فاعل فعل التعجب الذي يأتي على صورة الأمر : أفعل به ، نحو : أكرم بأخيك . وتقديره : كَرُمَ أخوك .

ـ في كلمة « حَسْبُ » حين تكون مبتدأ ، كقول الأشعر الأسدي :

بحسبكَ في القومِ أنْ يعلموا   بأنَّك فيهم غنيٌّ مُضِرْ

وقد تزاد في الاسمَ الذي بعدها ، فيكون مبتدأ ، وهي خبره المقدم كقول عمران بن حطّان :

---

(١) على أن يكون بمعنى « حَسْبُ » .

فـاعمـل فـإنـك منعـيٌّ بـواحـدةٍ   حسْبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ

ـ وتزاد في مفعولات بعض الأفعال ، كما في هذه الآيات : ﴿ ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥). ﴿وهزي إليكِ بجذع النخلة﴾ (مريم : ٢٥) ﴿ ومن يُرِدْ فيه بإلحاد ﴾ (الحج : ٢٥) . ﴿ فطفقَ مسحاً بالسوق ﴾ (ص : ٢٣) . ومنه : سمع بالخبر ، وعلم بالأمر ، كقول المثقَّب العبدي :

ولقد علمتُ بأنَّ قصري حُفْرةٌ   غَبْراءُ يحملني إليها شَرْجَعُ

٣ ـ زيادة اللام :

ويرى بعضُ النحاةُ أنَّ اللامَ زائدةٌ حين تأتي لتقوية العامل مثل : أنتَ ضاربٌ لأخيك . فاسم الفاعل (ضارب) ينصب مفعولاً به ، وكان يمكن أن يقال : أنت ضاربٌ أخاك ، إلاَّ أنَّ اللام دخلت على المفعول لتقوية عمل اسم الفاعل ، وتوصيله إلى المعمول .

وسميت « لام التقوية » لأن اسم الفاعل أضعفُ من الفعل عملاً فتأتي لتقويّه كما قلنا ، ولذلك لا تأتي بعد الفعل المتعدي ، إذ لا يقال : أنت ضربت لأخيك ، إلا إذا تقدَّم معموله عليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (الأعراف : ١٥٤) ، وتقديره : للذين هم يرهبون ربَّهم .

٤ ـ زيادة الكاف :

ورأى بعضُ النحاة أنَّ الكاف في قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورى : ١١) زائدة ، لأن المعنى لا يستقيم أن تكون أصليةً ، إذْ يصير : ليس مثلُ مثلهِ شيء ، وهذا محال[١] .

٥ ـ أحرف الجرّ الشبيهة بالزائدة

وأحرف الجر الشبيهةُ بالزائدة تختلف عن الأصلية وعن الزائدة ، فهي

(١) جعل أبو عبيدة « عن » زائدة في قوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ (النور : ٦٣) . وذلك في كتابه : مجاز القرآن ٢/٦٩ ، وهذا لا يقبله النحاة الآخرون .

تنزل بينهما منزلة الوسط ، فالأصلية ما كان لها معنى من المعاني التي ذكرناها من قبلُ ، وما أوصلت معنى الفعل إلى الاسم ، أما الزائدة فلا معنى لها ـ عدا التوكيدَ ـ ولا توصل معنى الفعل إلى الاسم ، أما الشبيهة بالزائدة فلها معنىً كالأصلية ، ولكنها لا تصل بين الاسم والفعل كالزائدة ، وعلى هذا تحمل صفة من صفات الأصلية ، وصفة أخرى من صفات الزائدة ولهذا سميّت : شبيهة بالزائدة .

وحرف الجرّ الشبيه بالزائد هو : رُبَّ .

والنحاة مختلفون في أحرف الاستثناء : خلا ، عدا ، حاشا ، حين يُجرُّ ما بعدها ، ومن الأفضل جعلها أحرفاً أصلية ، وكذلك يجعل بعضهم « لعلَّ » و« لولا » في بعض استعمالاتهما شبيهةً بالزائد من الحروف الجارّة ، أما الأولى فتقتصر على لغة قبيلة عربية هي « عُقيل » ، وما انفردت به قبيلةٌ لا لزومَ لذكره ، وأما « لولا » فلا تأتي جارّةً إلاّ في لغة شعريّة تُستعمل في الضرورة ، وذلك حين يتصل بها الضمير المتصل كقول يزيد بن الحكم :

وكم موطنٍ لولايَ[1] طحتَ كما هوى بأجرامهِ من قُلَّةِ النيقِ منهوي

الكلامُ على « رُبَّ »[2]

١ ـ معناها :

تأتي « رُبَّ » لمعنيين متناقضين ، فحيناً تدلُّ على الكثرة ، وحيناً آخرَ تدلُّ على القلة ، كما ترى في الأمثلة الآتية :

ـ ربَّ مستمعٍ إليك ، وقلبه في صممٍ عنك .

فالمعروف أن الذي يصغي إلى محدثه يعي قوله ، ولكن قد يكون المستمع في بعض الأحيان على غير وعي لما يقال له ، وهذا قليل .

ـ ويقول امرؤ القيس :

فيا ربَّ يوم قد لهوتُ وليلةٍ بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

فالشاعر هنا يفخر بكثرة ما يقضي مع الحسان من ليالٍ لاهيةٍ ، ولهذا كانت « رُبَّ » تدل على الكثرة لا على القلة ، كما كانت في المثال السابق .

(١) كان يجب أن يقول : لولا أنا .

(٢) وتلفظ أحياناً : ربَّتَ ، بتشديد الباء ، ورُبْ بتخفيفها .

ـ قال أحدُ الأعراب ، وقد رأى هلالَ رمضان : « يا رُبَّ صائمه لن يصومه ، ويا ربَّ قائمه لن يقومه » ربَّ هنا تدل على الكثرة أيضاً ، لأن الأعرابي يعني أن كثيراً ممن صام رمضان في هذا العام لن يبقى حياً للعام المقبل يتاح له صوم رمضان فيه .

٢ ـ إضمار « رُبَّ » :

وكثيراً ما تضمر « رُبَّ » ، ويبقى عملها ، مثلما تضمر « أنْ » وتبقى ناصبة للمضارع .

ويكثر إضمار « رُبَّ » بعد الواو المستأنفة[١] ، كقول امريء القيس :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدولَهُ ... عليَّ بأنواع الهمومِ ليبتلي

ويقلُّ بعد الفاء المستأنفة أو غيرها ، كما في قول امريء القيس أيضاً :

فمثلِكِ حُبْلى قد طرقتُ ومرضعٍ ... فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

وقول المتنخل اليشكري :

فحورٍ قد لهوتُ بهنَّ عينٍ ... نواعم في المروط وفي الرياطِ[٢]

ويقلُّ أيضاً إضمارها بعد «بَلْ» الابتدائية ، كما في قول رؤبة بن العجاج :

بل بلدٍ مِلْءِ الفِجاجِ قَتَمُهْ ... لا يُشْترى كتَّانُه وجَهْرَمُهْ[٣]

وأقلّ من ذلك كلهِ أن تضمر من دون هذه الأحرف الثلاثة ، كما ترى في قول جميل بثينة :

رسمِ دارٍ وقَفْتُ في طلَلِهْ ... كِدْتُ أقضي الحياةَ من جَلَلِهْ

وينبغي أنْ تعلمَ أن إضمار « رُبَّ » لا يرد إلا في لغة الشعر ، ولم يعرف شاهدٌ نثريٌ أضمرت فيه البتة .

٣ ـ محل المجرور بها :

ولمجرورها ـ كما لمجرور الحرف الزائد ـ محلٌّ من الإعراب ، بحسب

---

(١) يقول النحاة الذين يذهبون هذا المذهب : إن الواو عاطفة ، تعطف كلاماً على كلام ، وحين تقع في بدء القصيدة ـ وهذا غير قليل ـ يزعمون أن الكلام بعدها معطوف على ما في نفس الشاعر ، والمستأنفة عندهم نوع من العاطفة .

(٢) المروط : الأزُر المعلمة ، والرياط : جمع مفرده ريطة ، وهي الملاءة .

(٣) القتم : الغبار ، والجهرم : بسطٌ من الشعر .

العامل بعدها ، وصلته بما تجرُّ من الأسماء ، وذلك على الصور الآتية :

آ ـ الرفع على الابتداء :

وهذا هو الكثير الشائع في التراكيب الفصيحة ، فحين تعود إلى بعض الشواهد الشعرية السابقة تجد مجرورَ « رُبَّ » في محل رفع ، مبتدأً ، كما في بيت امرىء القيس : وليل كموج البحر . . . ، وبيت المتنخِّل ، وبيت رؤبة ، وبيت جميل .

ب ـ النصب على المفعولية :

وهذا أقلُّ ، ولكنه واردٌ في الكلام ، وذلك إذا جاء بعدَها فعلٌ متعدٍ مسلطٌ على مجرورها ، كما في قول الأعشى :

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ　　　وأخرى تداويتُ منها بها

فالفعل : شربتُ ، متعدٍ مسلطٌ عمله على « كأس » فكأنه قال : كم من مرة شربتُ كأساً على لذَّةٍ . . . ومثل هذا قول الأعشى نفسه :

وخَرْقٍ مخوفٍ قد قطعتُ بجسْرةٍ　　　إذا خبَّ آلٌ وسطهُ يترقْرَق[1]

والمعنى : قد قطعت خرقاً مخوفاً مرّاتٍ كثيرة .

جـ ـ النصبُ على الظرفية الزمانية :

وهذا أقلُّ من سابقه ، وذلك إذا جرّت « رُبَّ » ظرف زمان ، وعمل فيه عاملٌ بعده ، كقولك : رُبَّ صباحٍ تمتَّعت بجمالِ الطبيعة . ومنه قول امرىء القيس :

فيا رُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ　　　بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

فالتقدير في الجملة الأولى : في مرّات كثيرة ، تمتعت صباحاً بجمال الطبيعة . وفي الجملة الثانية : لهوتُ في أيامٍ وليال كثيرةٍ بأوانسَ جميلاتٍ .

ومنه قول عمارة بن عقيل :

فيا رُبَّ يومٍ قد شربتُ بمشربٍ　　　شفيتُ به غيم الصدى ، باردٍ عَذْبِ

د ـ النصب على المفعولية المطلقة :

وقد يكون المجرور بـ « رُبَّ » مفعولاً مطلقاً ، نحو قولك : ربَّ نظرةٍ

---

(١) الخرق : الفلاة . الجسرة : الناقة القوية السريعة . خبَّ الآل : اضطرب السراب .

نظرتُ إلى جمالِ الطبيعة . ونحو : ربَّ سوطٍ ضربت منْ يستحق . ومنه قول الشاعر الحماسي :

ألمْ تعْلمَنْ يا رَبِّ أنْ رُبَّ دعوةٍ … دعوتك فيها مخلصاً لو أجابُها

أحكام « رُبَّ »

ولهذه الأداة أحكامٌ استقراها النحاة من كلام العربِ ، هي :

١ ـ يجب أنْ تكونَ في أول الجملة : وهذا واضحٌ في الأمثلة المتقدمة كلّها ، ويعني هذا أن المجرورَ بها لا يعملِ فيه عاملٌ قبله ، بل بعده .

٢ ـ ويجب أن يكون مجرورها نكرةً : كما ترى فيما تقدّمَ من الشواهد ، ويجوز أن يكون كالنكرة ، أي : ليس بنكرة محضة ، كقول جرير :

يا رُبَّ غابطِنا لو جاءَ يطلبكمْ … لاقى مباعدةً منكم وحرمانا

فقوله : غابطنا ، مضافٌ إلى ضمير المتكلمين ، ولكنه لم يكتسب منه التعريف لأن الإضافة لفظية لا معنوية ـ كما سترى في بحث الإضافة ـ ولهذا كان نكرة غير محضة . ومثل هذا ما مرَّ بنا من قول الأعرابي : يا ربَّ صائمه ، ويارُبَّ قائمه ، وقول امريء القيس : فمثلكِ حُبْلى . . لأن « مثل » مغرقة في التنكير .

٣ ـ وكثيراً ما يكون مجرورها موصوفاً ، كقول زهير بنِ أبي سلمى :

وأبيضَ فيَّاض يداه غمامةٌ … على مُعتفيه ما تُغبُّ فواضِلهْ

وكقول امريء القيس المتقدم : وليلٍ كموج البحر .

على أنه قد يُحذف الموصوف وتبقى صفته ، وهذا أسلوبٌ عربيٌّ تجده في أبواب النحو كلها ، كقول هند بنت عتبة :

يا رُبَّ قائلةٍ غداً … يا لهفَ أمَّ معاويهْ

والتقدير : يا رُبَّ امرأةٍ قائلةٍ .

وإذا كان محل المجرور بها نصباً على الظرفية أو المفعولية المقيدة أو المطلقة ، فكثيراً ما يأتي غير موصوف ، كما في قول الأعشى السابق : وكأس شربتُ على لذَّةٍ ، وقول الشاعر الحماسي : رُبَّ دعوة دعوتك . وقول امريء القيس : ربّ يوم قد لهوتُ بآنسة . أما إذا كان مبتدأ فالأكثر وصفه ، كما رأيت في الشواهد المتقدمة .

٦ ـ حذف الجار

وقد يحذف حرف الجر الأصلي ، أو الشبيه بالزائد ، في مواضع من الكلام ، ويكون ذلك سماعاً وقياساً .

١ ـ حذفه سماعاً :

ويحذف سماعاً بعد أفعال خاصة ، سُمعتْ من فصحاء العرب ، أو وردت في نصوص فصيحة ، لا يجوز القياس عليها ، من ذلك حذف الباء بعد الفعل « كفر » واللام بعد « نصح » و« شكر » ، و« إلى » بعد الفعل « دخل » و« من » بعد الفعل « اختار » ، قالوا : كفر النعمةَ ، وكفر بها ، ونصح له ونصحه ، وشكر له وشكره ، ودخل إلى البيت ودخله ، وجاء في القرآن الكريم : ﴿ واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ (الأعراف : ١٥٥) . أي : اختار من قومه . وجاء فيه : ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴾ (المطففون : ٣) أي : كالوا لهم ، أو وزنوا لهم . وجاء في شعر الفرزدق :

ومنّا الذي اختيرَ الرجالَ سماحة   وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع

أيْ : من الرجال . وكان العرب يقولون : أقمت ثلاثاً ما أذوقهنّ طعاماً ولا شراباً ، أي : ما أذوق فيهنْ .

وإذا حذف الجار سماعاً بطل عمَلُه ، ونصب الاسم الذي كان مجروراً به ، وأعرب : اسماً منصوباً على نزع الخافض .

٢ ـ حذفه قياساً :

ويحذف قياساً في المواضع الآتية :

ـ إذا دلّ عليه دليلٌ ، كأن يتقدم في جملة الاستفهام ، فيحذف من جملة الجواب ، مثل قولهم : مررتَ بمن ؟ زيد ، أي : بزيد .

ـ وتحذف واو القسم قبل لفظ الجلالة ، تقول : ألله لقد جئت .

ـ وتحذف « ربَّ » بعد الواو والفاء وبل ، كما مرّ بك .

ـ ويحذف حرف الجرّ قياساً إذا كان المجرور به مصدراً مؤولاً مثل : اضطررت أنْ أذهبَ ، أي : إلى أن أذهب .

وحين يحذف قياساً لا يبطل عملُه ، ويجرّ ما بعدَه على الرغم من

حذفه ، ولهذا رجح رأي من ذهب إلى أن المصدر المؤوّل في مثل اضطررت أن أذهب ، في محل جر بـ« إلى » محذوفة ، على من ذهب إلى أنه منصوبٌ بنزع الخافض .

٧ ـ تعليق حرفِ الجرّ

حرف الجرّ ، كما قلنا ، يوصل معنى الفعل أو شبهه إلى اسم لا يستطيع الفعل أن يصلَ إليه بنفسه ، وهذا هو معنى التعليق ، فحين نقول في الإعراب في مثل قولنا : نمت على السرير ، إن « على السرير » يتعلق بالفعل نمتُ ، نريد أن الجار والمجرور متممان لمعنى الفعل ، لأنهما يحددان مكانه .

ومعاني حروف الجر كما مرَّ بنا من قبل هي مكملة لمعاني الأفعال وأشباهها فقد تحدد زمانها كقولنا : ذهبت في الصباح ، وعدت في المساء ، وقد تحدد مكانها مثل : قعدت على الأرضْ . وقد تعللها مثل : نجحتُ بجدي ودأبي .

وفي الإعراب يجب أن نفكّر في هذا قبل أن نطلق حكمنا في التعليق ، ويجب ألاّ نعلق حرف الجرّ إلا بما يوصل معناه إلى المجرور ، وتتعلق حروف الجرّ بمايلي :

١ ـ بالفعل ، كما مرَّ في أمثلةٍ كثيرة .

٢ ـ بشبه الفعل ، كاسم الفاعل . مثل : أنت آكلٌ بالملعقة ، واسم المفعول نحو : إنه مضروب بالعصا ، والصفة المشبهة مثل : إنه لكريم في شمائله ، والمصدر مثل : إن التقائي بك لمن دواعي سروري ، واسم التفضيل مثل : العمل خيرٌ من الكلام . . . الخ .

٣ ـ باسم الفعل ، مثل : نزالِ من الباخرةِ ، وهلُمّ إليّ .

٤ ـ بما يؤول بشبه الفعل ، مثل : أنت أسدٌ في الشدائد ، أي : شجاعٌ .

إلا أن هذه المتعلّقات قد تحذف من الكلام ظاهراً ، ولكنها تبقى منْويّة مضمرة ويكون ذلك في الخبر والصفة والحال ، كقولك : أنت في البيت . فالمتعلق به هنا خبر « أنت » ، وتقديره : موجودٌ في البيت ، وكقولك كتابٌ

في يدك ، خيرٌ من كتابٍ على الرفِّ ، أي : كتاب موجودٌ في يدك ، خير من كتاب موجود على الرفّ ، أي : تعلّق شبه الجملة هنا بصفة محذوفة لـ « كتاب » . وكقولك : أخوك في عهد التلمذة ، خير منه في عهد الرجولة ، فالمتعلق به هنا حالٌ « من أخيك » ، أي : أخوك كائناً في عهد التلمذة . . .

ويجب أن نعلم أن تقديرنا للخبر والصفة والحال إنما هو للتمثيل ، ولكنه لا يستعمل في الكلام ، فلا يقول أحدٌ ممن يحسن العربية : أخوك كائناً في عهد التلمذة خير منه كائناً في عهد الرجولة .

٨ ـ أحرف وأسماء

هناك ما يستعمل اسماً في موضعٍ ، وحرفاً في موضع آخر ، من ذلك :

١ ـ الكاف :

تكون الكاف اسماً بمعنى « مثل » في مواضعَ خاصةٍ من الكلام ، أهمها : أن تقع فاعلاً ، كما في قول امريء القيس :

وإنـك لـم يفخـرْ عليـك كفـاخـرٍ ضعيفٍ ، ولم يغلبْكَ مثل مُغلَّبِ

فالكاف هنا اسم مبني على الفتح في محل رفع ، فاعلُ للفعل : يفخر . أي : لم يفخر عليك مثلُ فاخر .

ومن هذه المواضع أن تقع في محل نصب مفعولاً به ، كما في قول سَلَمَةَ بن جعفي يرثي أخاه :

وكنتُ أرى كالموتِ من بينِ ليلة فكيف ببَيْنٍ كان ميعادَه الحشْرُ

أي : أرى مثلَ الموت .

ومنها أيضاً إذا وقعت في محل جرّ بحرف الجر ، كقول الأخطل :

قليلُ غِرارِ النومِ حتى تقلَّصوا على كالقطا الجوني أفزعه الزَّجْر

٢ ـ عن :

ويكون هذا الحرف اسماً إذا دخل عليه حرف جر ، ويكون بمعنى « جهة » كقول قطري بن الفُجاءة :

ولقـد أرانـي للـرمـاح دريئـةً من عَنْ يميني مرّة وشمالي

وكقول القطامي :

فقلتُ للركب لمَّا أنْ علا بهمُ من عَنْ يمين الحُبيَّا نظرة قُبَلُ

٣ ـ على :

وتكون بمعنى « فوق »، ولذلك تدخلها حروف الجر كقول مزاحم العُقيلي :

غدتْ من عليه بعدما تمَّ خمِسُها تَصِلُّ ، وعن قيضٍ ببَيْداء مَجهلِ[١]

أي : غدت من فوقه .

٩ ـ زيادة « ما »

تزاد « ما » في لغة العرب أحياناً بعد العوامل النحوية ، فتبطل عمل بعضها ، ولا تقوى على إبطال عمل بعضها الآخر ، وحروف الجر من هذه العوامل التي تزاد بعدها « ما » ، ويكون لها معها شكلان من أشكال العمل :

١ ـ بقاء الجرِّ :

فإذا زيدت بعد الباء ، أو : من ، أو : عن ، لم تَقْوَ على إبطال عملها ، كما ترى في هذه الآيات القرآنية : ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ، ﴿ ممّا خطيئاتِهم أغرقوا ﴾ (نوح : ٢٥) ، ﴿ عما قليل ليصبحُنَّ نادمين ﴾ (المؤمنون : ٤٠) .

٢ ـ إلغاء الجرِّ :

وإذا زيدت بعد « رُبَّ » و« الكاف » ، أبطلت العمل ، وإذ ذاك لا تختصُّ « ربَّ » بالجملة الاسمية ، بل تدخل على الجملة الفعلية أيضاً كقوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ (الحجر : ٢٠)[٢] ، ومن دخولها على الجملة الاسمية قول أبي دواد الأيادي :

---

(١) يصف الشاعر قطاة ظمئت خمس ليالٍ ، حتى أخذ جوفها يصل ، أي : سمع له صليلٌ من اليبس والعطش ، والقيض : قشر البيض .

(٢) زعم الأخفش أنه يجوز أن تكون « ما » نكرة موصوفة في محل جز بربَّ ، وقدّر ضميراً في الفعل بعده على الشكل التالي : « ربّ ودّ يودّه الذين كفروا » .

ربَّما الجاملُ المؤبَّل فيهم وعنـاجيـجُ بينهـنَّ المِهـارُ[1]

وممّا دخلت فيه « ما » على الكاف وأبطلت عملها ، قول نهشل التميمي :

أخٌ ماجدٌ لم يخْزِني يومَ مشهدٍ كما سيفُ عمروٍ لم تخُنْهُ مضاربُهْ

وقول زياد الأعجم :

وأعلــمُ أننــي وأبــا حُمَيْــدٍ كما النشوان والرجل الحليمُ

ملاحظة :

قد يضطر الشاعر فيفصل بين حرف الجرّ ومجروره ، وهذا غير جائزٍ ، كقول بعضهم :

لو كنت في خلقاءَ أو رأس شاهقٍ وليـس إلـى منهـا النـزولِ سبيـلُ

وأصله : وليس إلى النزول منها سبيلَ .

وكذلك قد تدفعه الضرورة إلى أن يفصلَ بها بين شيئين لا يجوز الفصل بينهما ، كقولِ امرأةٍ سعدية جاهلية :

هما أخوا في الحربِ مَنْ لا أخا لهُ إذا خـاف يـومـاً نبـوةً فـدعـاهمـا

إذْ فصل بين المضاف « أخوا » والمضاف إليه « مَنْ » بقوله : في الحرب .

شواهد للتدريب

١ ـ قال جرير :

أراحَ الحــيُّ مــن إرَم الطِّــرادِ فمـا أبقـوْا لعينـكَ مـن سـوادِ

٢ ـ قال أبيُّ بن حمام المريُّ :

وسيانِ عندي أن أموتَ وأن أرى كبعض رجالٍ يوطنون المخازيا

---

(١) الجامل : جماعة الإبل ، والمؤبَّل : الكثير الإبل ، والعناجيج : أفضل الخيل .
هذا وهناك شاهدٌ عملت فيه « رُبَّ » على الرغم من زيادة « ما » بعدها ، هو قول عدي بن الرعلاء :

ربمـا ضـربـةٍ بسيـف صقيـلٍ بين بُصْرى وطعنةٍ نجلاءِ

٣ ـ قال عنترة :

فشككت بالرمحِ الأصمّ ثيابَهُ		ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

٤ ـ وقال :

ولرُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ		بمسوَّرٍ ذي بارقينِ مسَوَّمِ

٥ ـ قال البرج بن مسهر :

تركنا قومنا من حربِ عام		ألا يا قومِ للأمرِ الشَّتاتِ

٦ ـ قال النابغة الذبياني :

تُخيِّرنَ من أزمانِ يوم حليمة		إلى اليومِ قد جُرِّبنَ كل التجاربِ

المضاف إليه

الإضافة مصدرٌ للفعل : أضاف ، فإذا قلت : أضاف سعيدٌ الكرم إلى أخيه ، عنيتَ أنه نسب إليه صفةَ الكرم ، ووصفه بها ، وإذا قلت : أضفتُ العملَ إلى خالد . عنيت : أن العملَ منسوبٌ إلى خالد .

وكذلك المضاف إليه في نحْوِ العربية ، فهو اسمٌ ينسب إليه شيءٌ لأغراض معنوية ، كقولك : هذا كتابُ خالد ، فقد أضفت الكتابَ ونسبته إلى خالد . فالكتابُ مضاف ، وخالدٌ : مضافٌ إليه .

آ ـ معاني الإضافة

هناك تشابه بين الجرّ بالإضافة والجر بحرف الجر ، فلا تخرج الإضافة على المعاني التي تؤدى بأحدِ أحرف ثلاثة : اللام ، ومِنْ ، وفي .

١ ـ الإضافة بمعنى اللام :

وهذا أكثر معانيها استعمالاً ، وتكون إمّا للاختصاص ، وإما للملك ، يقول تأبط شراً :

يبيت بمغنى الوحشِ حتى أَلِفْنَه ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرْتَعا

فقولُه : بمغنى الوحشِ ، إضافة تفيد الاختصاص ، كأنه قال : بمغنى للوحش ومثله قولك : عجلة السيارة ، وماء البئر ، وأوراق الكتاب .

ويقول نهشل التميميُّ :

أخٌ ماجدٌ لم يخزني يومَ مشهد كما سيف عمرو لم تخنْه مضاربُه

فقوله : سيف عمرو : إضافة تفيد الملك ، وهي بمعنى اللام ، ومثلها : قلم خالد ، وكتاب سعيد ، ودفتر عدنانَ ، و . . .

٢ ـ بمعنى « من » البيانية :

ومن معاني الإضافة أن تبيّن مبهماً قبلها ، كقولك : خاتمُ ذهب ، وخاتم فضَّة ، وكرة حديد ، وهي هنا لا تختلف عن « من » البيانية ، فكأنك قلت : خاتم من ذهب ، وخاتم من فضَّة ، وكرةٌ من حديد ، وذلك إذا أضفت الشيء إلى جنسه .

٣ ـ بمعنى « في » الظرفية :

وقد تفيد الإضافة معنى « في » الظرفية ، كقولك : فلانٌ شجاعُ حرب ، وكريم مسألة ، ومنه قول العرب : يا سارق الليلةِ أهلَ الدارِ . وفي القرآن الكريم : ﴿ بل مكرُ الليلِ والنهار ﴾ (سبأ : ٣٣) ، ومنه أيضاً قول القطامي :

ألا إنمـا نيـرانُ قيـس إذا شتَـوْا ... لطـارق ليـل مثـلُ نـار الحبـاحـبِ

فقوله : طارق ليل يعني : طارق في الليل .

ب ـ نوعا الإضافة

١ ـ الإضافة المعنوية :

وحين تكون الإضافة على ماذكرنا من المعاني تكون إضافة معنوية ، ومن طبيعة هذا النوع أن تكسب النكرة فيه تعريفاً أو تخصيصاً .

فإذا قلت : غرست في الحديقة شجرة ، كانت كلمة « شجرة » نكرة غير بيّنة ، ولكن لو قلت ، سقيت شجرة حديقتي ، صارت معرفة ، لأنك أضفتها إلى معرفة ، فاكتسبت منها التعريف .

وإذن تكتسبُ النكرة التعريف إذا أضيفت إلى معرفة .

ولكن تأملْ هذه العبارة : غرست في حديقتي شجرة ليمون ، فكلمة « شجرة » هنا لم تتحول إلى المعرفة بإضافتها إلى « ليمون » لأن المضافَ إليه نكرة لا معرفة ، غير أنها حدّدت وخصّصت ، فهي شجرة ليمون لا شجرة عامة لا يعرف جنسها .

وبهذا تكتسب النكرة التخصيص إذا أضيفت إلى نكرة .

على أن هناك كلمات مغرقة في التنكير والإبهام نحو : مثل ، غير ، شبه ، نظير ، . . . وهي تظل نكرة ، وإن أضيفت إلى معرفة ، بيد أنها تكون نكرة مخصَّصة ، انظر هذه العبارة : مررت برجل مثلِ خالد ، فكلمة « مثل » أضيفت إلى اسم العلم : خالد ، وكان يجب أن تتحول إلى معرفة ، ولكنها ظلت نكرة ، يدلك على ذلك أنها صفةٌ « لرجل » . وكذلك يمكن أن تقول : عرفتُ رجلاً شبهَ خالد ، أو نظير خالد ، أو غيرَ خالد ، وهي جميعاً نكرات خصّصت بالإضافة ، ولم تعرَّف ، على الرغم من أنها أضيفت إلى معرفة .

٣ ـ الإضافة اللفظية :

وإذا خلت الإضافة من معاني أحرف الجر السابقة ، كانت إضافة لفظية مجرَّدة ، تلجأ إليها اللغة لتخفيف اللفظ ، وتعرف بشيئين :

أولهما : أن يكون المضاف أحد المشتقات الثلاثة : اسم الفاعل ، أو اسم المفعول ، أو الصفة المشبهة .

ثانيهما : أن يصحّ قلب التركيب بحيث يصبح الاسم المشتق عاملاً عمل فعله في المضاف إليه ، كما في قولك : فلانٌ كريمُ الطبع ، فكلمة « كريم » صفة مشبهة ، وهذا هو الشيء الأول ، ونستطيع أن نحوِّر في التركيب فنقول : فلانٌ كريمٌ طبعُه ، فتجعل الصفة المشبهة عاملة في « طبعُه » عمل فعلها ، وهذا هو الشيء الثاني .

وهذا النوع من الإضافة لا يكتسب فيه المضاف تعريفاً وإن أضيف إلى معرفة ، ويمكنك أن تستدلَّ على ذلك من أربعة أوجه :

١ ـ أن المضاف إضافة لفظية يعرف بـ « أل » ، ولا يعرَّف بها إلا النكرات ، كما في قوله تعالى : ﴿ والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ﴾ (الحج : ٣٥) . وتقول : جاء الرجلُ الطويلُ القامة .

٢ ـ وأنَّ المضاف إضافة لفظية يقع صفةً للنكرة تقول : رأيت رجلاً كثيرَ المعرفةِ .

٣ ـ وأنه يقع حالاً ، والحال نكرة ، يقول شعبة بن قمير :

إذا ما جئتُ زائرَهم دعاني   شريدُهمُ ، وهل لهمُ شريدُ

فقوله : زائرهم ، جال ، فهو إذن نكرة على الرغم من إضافته إلى الضمير .

٤ ـ وإنه يقع مجروراً بـ «ربَّ» وهي لا تجرُّ إلا النكرات ، كما في قول جرير :

يا رُبَّ غابطنا لو جاء يطلبكمْ لاقى مباعدةً منكم وحِرمانا

جـ ـ ما يلازِم الإضافة

١ ـ ما يلازم الإضافة إلى المفرد :

من الأسماء ما يلازم الإضافة لفظاً ، ولا يجوز قطعه عن الإضافة ، وهو نفسه متنوع في إضافته ، وذلك على الشكل التالي :

ـ ما يضاف إلى اسم ظاهر وضمير متصل : وهذا كثير ، منه : كلا وكلتا ، وعند ، وغير ، وسوى . أما « كلا ، وكلتا » فلا تضافان إلا إلى كلمة واحدة ، معرفة ، تدل على اثنين ، مثل : ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ (الكهف : ٣٣) ومن إضافتهما إلى الضمير : جاء الرجلان كلاهما ، ومررت بأختيك كلتيهما . وتقول في سائر ما ذكرنا : رأيت رجلاً غيرك أو مثلك أو سواك . ورأيت رجلاً غير عدنان ، أو مثل عدنان ، أو سوى عدنان .

ـ ما يضاف إلى اسم ظاهر فقط ، ولا يجوز أن يضاف إلى ضمير : أولو ، ذو ، ذات ، تقول : هؤلاء الرجال أولو مالٍ . وهذا ذو مالٍ ، وهذه ذات مال .

ـ ما يضاف إلى ضمير فقط ، ولا يجوز أن يضاف إلى اسم ظاهر : وحده ، حنانيك ، لبيك ، و . . . ومن الأسماء الملازمة للإضافة ما يجوز قطعه عنها لفظاً ؛ مع بقاء الإضافة معنى ، كالكلمات : كل ، وبعض ، وأي . تقول : كل الرجال آتون . وكلٌ آتٍ أو آتون .

٢ ـ ما يلازم الإضافة إلى الجملة :

ـ ما يلازم الإضافة إلى الجملتين : الاسمية والفعلية ، مثل : إذ ، حيث . نحو : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ﴾ (الأنفال :

٢٦) ونحو : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ (مريم : ١٦) . وقد تحذف الجملة بعد « إذ » ويعوض عنها بتنوين ، مثل : حينئذٍ ، يومئذٍ . .

أما « حيث » فأكثر ما تضاف إلى الجملة الفعلية ، وقل أن تضاف إلى الاسمية ، فلم تأت في القرآن إلا والجملة بعدها فعلية مضارعية أو ماضوية ، من ذلك : ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ (البقرة : ١٩١) ، ﴿ الله أعلمُ حيث يجعل رسالته ﴾ (الأنعام : ١٢٤) . وإذا أردت إضافتها إلى الجملة الاسمية قلت : سأذهب إلى حيث الحياة هنيئة . وقد يحذف الخبر كقولهم : سعيد من حيث الأخلاقُ نبيل . وهو تعبير مولَّد .

ـ ما يلازم الإضافة إلى الجملة الفعلية . وهو الظرف « إذا »[(١)] ، تقول : إذا جئتَ أكرمتك ، وإذا جاء بعدها اسم مرفوع أو منصوب ، فالعامل فيه فعل محذوف يفسره ما بعده ، كقول تأبط شراً :

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جَدّ جِدُّهُ   أضاعَ وقاسى أمْرَه وهو مُدْبر

فالمرءُ : هنا ليس مبتدأ ، لأنه لو كان كذلك ، لكانت جملته اسمية ، و(إذا) لا تضاف إلا إلى جملة فعلية . وقال ذو الرمة يخاطب ناقته التي تحمله إلى الممدوح :

إذا ابنَ أبي موسى بلالاً بلغتِهِ   فقامَ بفأسٍ بَيْنَ وِصْليكِ جازرُ

والتقدير : إذا بلغت ابنَ أبي موسى[(٢)] .

د ـ من أحكام الإضافة

١ ـ حذف التنوين وما يقابله :

التنوين لا يجتمع مع الإضافة البتة ، وكذلك ما يعوض عنه في المثنى وجمع المذكر السالم ، تقول : رأيتُ طالباً = رأيتُ طالبَ الجامعةِ . حذفت

(١) هذا رأي جمهورهم ، ويرى بعضهم أن « إذا » حين تكون شرطية تحمل على « متى » وأيان ، و . . . » فلا تضاف إلى ما بعدها ، وهذا هو الرأي الصحيح .
(٢) والبيت يروى بالرفع أيضاً . انظر كتاب سيبويه : ١/ ٤٢ .

التنوين حين أضيفت . وتقول : جاء طالبان = جاء طالبا الجامعة . حذفت النون من المثنى حين أضفت لأنها عوض من التنوين . وكذلك تقول : جاء طالبو الجامعة . وكان هذا التنافر بين التنوين والإضافة موحياً لأحد الشعراء في قوله لخصمه :

كأنيَ تنوينٌ وأنت إضافةٌ فأين تراني لا تحل مكانيا

٢ ـ ما يكتسبه المضاف من المضاف إليه :

كثيراً ما يكتسب المضاف من المضاف إليه تذكيراً أو تأنيثاً، وهذا أسلوب عربي فصيح ، وعليه شواهد كثيرة ، كقول الأعشى :

وتَشْرَقُ بالقول الذي قد أذعتُهُ كما شَرِقتْ صدرُ القناةِ من الدَّمِ

فقوله : « صدر » مذكر ، ولكنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو « القناة » ، ولذلك قال الشاعر : شرقتْ ، بالتأنيث . ومثله ما يُنسبُ إلى مجنون بني عامر :

وما حُبُّ الديارِ شَغَفْنَ قلبي ولكنْ حُبُّ مَنْ سكنَ الديارا

فأعاد نون النسوة إلى « حب » وهو مذكر ، لأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه « الديار » .

ويشترط هنا أن يصحَّ قيام المضاف إليه مقام المضاف ، فلك أن تقول في بيت الأعشى : شرقتِ القناةُ من الدم . دون أن يفسد المعنى الذي أراده . ولك أيضاً أن تقول في بيت المجنون : وما الديارُ شغفن قلبي . . . أما إذا لم يصح ذلك فلا يكتسب المضاف تذكيراً أو تأنيثاً ، فلا يجوز أن تقول : جاءتْ أخو دعدٍ . لأنك لا تستطيع أن تقول : جاءت دعدٌ ، وأنت تريد المعنى نفسه .

٣ ـ حذف المضاف :

وكثيراً ما يحذف المضاف ويحل المضاف إليه محله ، كأن تقول : سألتُ الجامعة كلها عن أخيك . فأنت هنا حذفت المضاف ، لأنك أردت : سألت طلاب الجامعة كلهم . ولكنك لما حذفت المضاف أقمت المضاف إليه مقامه في الموضع الإعرابي . وفي القرآن : ﴿ واسأل القريةَ التي كنا فيها ، والعير التي أقبلنا فيها ﴾ (يوسف : ٨٢) والتقدير : اسأل سكان القرية ،

وراكبي العير أو أصحابَها . ومثله : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العِجلَ بكفرهم ﴾ (البقرة : ٩٣) أراد : أشرِبوا حُبَّ العجلِ . ومن الشعر قول جميل :

يقولون جاهدْ يا جميل بغزوةٍ   وإن جهاداً طيّئٌ وقتالُها

يريد : وإن جهاداً جهاد طيئ .

ويحذف المضاف أيضاً جوازاً إذا سبق له ذكر في الكلام ، ودل عليه السياق ، كقول العرب : ما كلُّ بيضاءَ شحمة ، ولا سوداءَ تمرة . أي : ولا كلُّ سوداءَ تمرة .

٤ ـ حذف المضاف إليه :

أما المضاف إليه فلحذفه نوعان : نوع فصيح قياسي . ونوع آخر غير مستحب في النثر ، مقبول في الشعر .

أما النوع الأول فحذفه بعد أسماءٍ ملازمة للإضافة كالظروف مثل : قبل ، وبعد ، وتحت ، وفوق ، وأمثالها ، وغير الظروف مثل : غير وكل ، وبعض . مثل : ﴿ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ﴾ (الروم : ٤) أي : من قبلِ هذا ومن بعدِه . وتقول : نظف الخادم الجدارَ من فوقُ ومن تحتُ . أي : من فوقِه ومن تحته . وتقول : بعض الشر أهون من بعضٍ . أي : من بعضِه . وتقول : كلٌّ منا مسؤول عن أعماله . أي : كل واحدٍ منا . أو كل إنسانٍ منا .

وأما النوع المستهجن في النثر فما شاع في لغة الصحافة وبعض الكتاب مثل : العدو يعترف بتطورِ وتقدمِ العمليات الفدائية . وجاء مديرُ ومعلمو المدارس . والأحسن أن يقال : بتطور العمليات الفدائية وتقدمها . ومديرو المدارسَ ومعلموها ، أما في الشعر القديم فقد جاء منه قول الفرزدق :

يا من رأى عارضاً أُسَرُّ به   بين ذراعي وجبهة الأسدِ

أي : بين ذراعي الأسد وجبهته .

* * *

التوابع

معنى التوابع

هي أسماء تتبع ما قبلها في الإعراب ، ويتمم أكثرها معنى ما تتبعه ، وعلى هذا تكون التبعية فيها من جهتين : تبعية إعرابية ، وتبعية معنوية .

أما الأولى منهما فلا يشذ عنها تابع من التوابع ، سواء أكان مكملاً لمتبوعه أم لم يكن ، مثل : جاء خالدٌ الطويلُ ، ومعه الطلابُ كلُّهم ، ومعهم أخواك سَعْدٌ وسعيدٌ .

أما التبعية المعنوية فمختلفة بين تابع وآخر ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ توابع تكمل المتبوع :

من التوابع ما يكون مكملاً لمعنى متبوعه ، ويمكن الاستغناء عنه ، لأنه غير مقصود بالحكم ، كالصفة ، والتوكيد ، وعطف البيان ، فإذا قلت : جاء الرجلُ الطويلُ . دلت الصفة « طويل » ، على معنى متمم للرجل ، لأنها بينت صفة جزئية منه وهي الطول ، ولكنها ليست مقصودة بالحكم الذي تعبر عنه الجملة ، وهو مجيء الرجل .

وإذا قلت : اشتريت الكتبَ كلَّها . حملت كلمة التوكيد « كلها » معنى متمماً للمفعول به وهو الكتب ، ولكنها ليست مقصودة بالحكم . ومثله كذلك : هذا ابنُ الوليد خالدٌ . لأن « خالد » هنا لم تؤد وظيفة معنوية غير توضيح : ابن الوليد ، لتميزه من إخوته أبناء الوليد الآخرين ، فهي عطف بيان ، أي : أنها بينت الاسم الذي تبعته .

٢ ـ توابع تكون هي المقصودة بالحكم :

كالبدل والمعطوف بـ « بل » ، نحو : هذا ولدي عليٌّ . فالاسم « علي » هو المقصود بالحكم كأننا قلنا : هذا عليٌّ . وإذا قلت : جاء سعيدٌ بل خالدٌ . فالذي جاء هنا « خالد » ، أما سعيد فقد أخطأنا في نسبة المجيء إليه ، لأنه لم يجيء .

وعلى هذا يكون هو المهم في الجملة ، والاسم الذي قبله لا أهمية له ، أما تسمية النحاة له بالتابع ، وإلحاقه بما ذكرنا ، فلأنه يتبع ما قبله في الحركة الإعرابية .

وهناك نوع من التوابع ، هو المعطوف بالواو ، يشبه هذا ويختلف عنه . أما وجه الشبه بينهما فيقوم على أن كليهما مقصود بالحكم ، ولكنهما يختلفان في أن البدل والمعطوف بـ « بل » ، ينفردان بالحكم ، أما هذا فلا ينفرد به ، بل يشترك فيه ، فإذا قلت : جاء سعيد وخالدٌ ، فأنت لا تريد أن تنفي المجيء عن سعيد ، وإنما تريد أن تبين أنهما كليهما اشتركا في فعل المجيء .

٣ ـ تابع لا يقصد بالحكم ولا يتمم متبوعه :

هو المعطوف بـ « لا » ، كقولنا : جاء سعيدٌ لا خالدٌ . فالتابع هنا « خالد » ، غير مقصود بالحكم ، بل ينفي عنه الحكم ، ثم إنه لا يبين في متبوعه « سعيد » صفةً ما ، وعلى هذا لا يبقى من مظاهر التابع إلا الوجه الإعرابي .

* * *

الصفة

قبل أن نبحث في الصفة نحب أن نشرح مصطلحين اثنين يتصلان بالموضوع ، ويدوران في كتب اللغة والنحو ، وقد يلتبسان على الشادين .

١ ـ المصطلح الأول :

قول الصرفيين : هذه الكلمة وَصْف أو صفة . وهذا يعني أنها تدل على معنى خاص في ذاتٍ مَّا[١] ، ولا تشمل الذات كلها[٢] . فقولنا : شجاع . صفة أو وصف ، لأنها تدل على معنى جزئي غير شامل ، ثم إنها تصلح أن تستعمل صفة لرجل . أما كلمة « بيت » فليست صفة ، لأنها تدل على الذات دلالة شاملة ، ومثلها : كرسي ، وطاولة ولوح ، وقلم ، وورقة ، و . . ومن الصفات : كريم ، نبيل ، خالد ، أكبر ، مضروب ، مَسبَح ، مِلْقط . وتسمى في المطلح الصرفي : المشتقات .

٢ ـ المصطلح الثاني :

قول النحاة صفة ، وهؤلاء لا يعنون بهذا المصطلح ، إلا أن كلمة أو جملة وقعت بعد اسم آخر ، فحددت معنى فيه ، أو بينت شكلاً له ، ككلمة « طويل » في قولنا : مررت برجل طويل .

وعلى هذا يكون معنى الصفة عند اللغويين أعمَّ من المعنى الذي يريده النحاة من المصطلح .

ويستعمل بعض المعربين مصطلح « نعت » بدلاً من « الصفة » لئلا يلتبس الأمر بالمعنيين : النحوي والصرفي . ولكن مِّن الأفضل أن نستعمل كلمة « نعت » في الصفات المحمودة ، أما كلمة « صفة » فتستعمل في المحمودة والقبيحة ، لأنها أعم منه .

---

(١) يقابل هذا مصطلح adjctive في الإنكليزية .

(٢) أي : ليست اسماً يقابل مصطلح noun في الإنكليزية .

وللعربية في الصفة ـ بمعناها النحوي ـ نظام خاص ، ففي غيرها من اللغات تأتي الصفة قبل الموصوف[1] ، أما هي فلا تأتي إلا بعدها ، لأنها كما قلنا ـ في المعنى الصرفي ـ لا تدل على الذات دلالة شاملة ، بل تحدد شيئاً خاصاً منها ، نحو : هذا زيدٌ الكريمُ . فالكرم صفة من صفات كثيرة يتصف بها زيد ، كالإنسانية ، والرجولة ، والأبوة ، والذكاء ، و . . .

أما إذا قلت : هذا هو الكريمُ زيدٌ . فإن « زيد » هنا ليست صفة ، لأنها تدل على شمول الذات في المسمى ، وإنما هي بدل ، ومثل هذه العبارة تختلف في المعنى عن السابقة اختلافاً دقيقاً ، ففي الأولى تأتي الصفة « الكريم » لتوضح المسمى بزيد ، وتدفع وهماً قد يقع فيه السامع ، لكثرة من يعرف من الرجال الذين يسمون بهذا الاسم . أما الثانية فتدل على أن زيداً يُعرف بهذه الصفة ويشهر بها ، فإن قيل : الكريم . عرف من دون غيره ، ولا حاجة إلى ذكر اسمه . وعلى هذا تكون كلمة « زيد » ليست أساساً في بناء الجملة ، كما كانت في الجملة الأولى .

وللصفة في العربية وظائف يحددها السياق ، وتتوقف على العلاقة الذهنية بين المتكلم والسامع ، وإليك البيان .

آ ـ الوظائف الدلالية للصفة

١ ـ التوضيح :

قد يشترك في الاسم الواحد عدد من الناس ، ولذلك إذا ذكر مجرداً وقع الالتباس ، فإذا قلت : جاء سمير ، فقد يتوهم السامع سميراً غير الذي تريد ، ولذلك تصف من تعني لتدفع الوهم الذي تتوقعه ممن يسمعك ، فتقول : جاء سميرٌ الكبير . وفي تاريخ النحو العربي ثلاثة رجال يلقبون بـ « الأخفش » ، ولذلك ترى الكتب تعين كلاً منهم بصفة خاصة حين تذكره ، فتقول : الأخفش الأكبر ، والأخفش الأوسط ، والأخفش الأصغر . وكذلك تفعل أحياناً حين تذكر الأعشى ، صاحب المعلقة ، فتقول : الأعشى الأكبر ، لتفرق بينه وبين

(١) إلا في مواضع قليلة لغرض معنوي ، كما في الإنكليزية .

ثلاثة شعراء أخَر يلقبون بلقبه ، وكذلك يقولون : المرقش الأكبر ، تمييزاً له من غيره ، وقد يأتي هذا النوع من الصفات لزيادة البيان ، كما في قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسولِه النبي الأميّ ﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

٢ ـ التخصيص :

ويعني التخصيص تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات ، فكلمة « رجل » من قولك : مررت برجل . شاملة عامة يشترك فيها كل من يتصف بالرجولة ، فإذا وصفناها خصصنا المقصود وحددناه في صفة ما ، فنقول : مررت برجل عالم . وبهذا يقل الاشتراك ، ويتخصص المقصود .

٣ ـ المدح أو الذم :

وقد يكون الموصوف معروفاً باسم خاص ، لا يشاركه فيه غيره ، وهنا تؤدي الصفة وظيفة أخرى ، فتمدح الموصوف أو تذمه . كقولك : توكلتُ على الله القادر على كل شيء . فلفظ الجلالة خاص ، والصفة بعده لا توضح ، لأن التوضيح يكون خشية الالتباس ، ولا تخصص ، لأن التخصيص يكون للنكرات الشائعة ، بل تؤدي معنى المدح والثناء .

وعلى النقيض من ذلك قولك : هذا من عمل الشيطان اللعين ، فاللعين ، صفة للشيطان ، نصفه بها للذم والشتم ، لا للتوضيح ، ولا للتخصيص .

وقد يكون الاسم المعرف مشتركاً ، كالاسم « خالد » ، ولكن السامع والمتكلم يعرفان خالداً واحداً معهوداً عندهما ، فإذا قيل لهما « خالد » عرفاه ولم يلتبس عليهما ، فالصفة هنا أيضاً تستعمل للمدح أو للذم ، يقول أحدهما للآخر : جاء خالد الدنيء ، أو السخيف ، أو العظيم ، أو . . .

٤ ـ التوكيد :

وتستعمل الصفة أحياناً لتؤكد المعنى في موصوفها ، كما في قوله تعالى : ﴿ لا تتخذوا إلٰهين اثنين ﴾ (النحل : ٥١) فالموصوف هنا يدل على معنى واضح ، ولكن الصفة تزيده وضوحاً وتؤكده . ومثله قوله : ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رَجَعتم ، تلك عَشَرةٌ كاملة ﴾

(البقرة : ١٩٦) ومنه قول عمران بن حطان :

خَبَلَتْ غزالةُ قلبَهُ بفوارسٍ تركتْ منازِلَهُ كأمس الدابِرِ

ب ـ النعت السببي

وللعربية أسلوب في الوصف يختلف عن الأسلوب السابق ، إذ تذكر فيه الصفة لا لتصف الموصوف نفسه بل لتصف ما يتعلق به ، كثوبه ، وخلقه ، وبيته ، وأبيه ، وأخيه ، و . . . مثل : عرفتُ رجلاً وزيراً أخوه . فالصفة (وزير) لا تصف الرجل ، بل تصف أخاه ، ولهذا يقال لهذه الصفة سببية ، لأنها تصف ما يتعلق بالموصوف بسبب ، كما رأيت في المثال السابق ، وكما ترى في الأمثلة التالية : رُبَّ شابٍ موهوبٍ سيّىءٍ حظُه . ورأيتُ امرأةً كاذباً من يَعيبُها ، ولهشامٍ أخوانِ كريمٌ خلقهما ، وأخواتٌ بديعٌ حسنُهنَّ .

وهنا نلاحظ شيئين :

أولهما : أن الصفة تتبع لفظ ما قبلها في الإعراب ، رفعاً ونصباً وجراً ، وفي التعريف والتنكير ، وتتبع ما تصفه ـ وهو السببي ـ في التأنيث والتذكير .

والثاني : أنها ـ كما قدمنا ـ لا تؤدي غرضاً معنوياً يتعلق بما قبلها ، بل يتعلق بما بعدها .

جـ ـ أشكال الصفة

وللصفة شكلان : كلمة مفردة ، وجملة .

١ ـ الكلمة المفردة :

إذا كانت الصفة كلمة مفردة وافقت موصوفها في الإعراب[1] ، والعدد ،

(١) قد تتبع الصفة موصوفها في الإعراب على المحل لا على اللفظ ، مثل : يا سميرُ الطّيبَ . بنصب (الطيب) على محل المنادى . وهذا كثير . وقد تتأثر الصفة باسم مجرور لمجاورتها له فتجر مثله ، وحينئذٍ لا تتبع موصوفها ، كقولهم : هذا جحر ضب خَرِبٍ .

والجنس ، والتعريف ، إلا في النعت السببي الذي لا يرفع ضميراً مستتراً يعود إلى الموصوف . وقد تبيَّنَ لك في الأمثلة المتقدمة موافقة الصفة لموصوفها في الإعراب ، أما موافقتها إياه في العدد فمثل هذه الجمل : جاء رجل كريم ، جاء رجلان كريمان ، جاء رجال كرام .

وإذا كان الموصوف جمعاً مما لا يعقل : جاز أن تكون الصفة مفردة وجمعاً ، مثل : مررتُ بحقولٍ مزروعةٍ أو مزروعات . إلا إذا كانت على وزن « أفعل » في المذكر ، و« فَعْلاء » في المؤنث ، فحينئذ تجب المطابقة ، تقول : هذه قممٌ شُمٌّ ، وحقول خُضْرٌ ، ورجال سود ، و ندمان بيض ، وهكذا . . .

وأمثلة موافقتها إياه في الجنس : جاء طالبٌ طويل ، وطالبة طويلة ، وطلاب طوال ، وطالبات طويلات ، وموافقتها له في التنكير والتعريف كقولك : رأيت العلم المرفرف يرفعه جندي شابٌ .

أما إذا كانت نعتاً سببياً يرفع اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بارزاً فإنها تعطى حكم الفعل ، على الشكل التالي :

مررت برجل مقطوعةٍ يدُه . فالصفة (مقطوعة) لم تطابق (رجل) لأنها ترفع « يده » فأخذت حكم الفعل ، وتقديرها : مررت برجلٍ قُطعت يدُهُ ، ومثل ذلك قولك : مررت بامرأةٍ نبيلٍ أخوها . والتقدير : نَبُلَ أخوها . ومررت بامرأتين كريمٍ أبوهما أو أبواهما ، أي : كرم أبوهما ، أو أبواهما ، ومررت برجالٍ كريمةٍ أحسابُهم ، أي : كرمت أحسابهم . هذا ، ويجري النعت السببي مجرى النعت الخالص إذا لم يرفع ظاهراً مثل : مررت برجلين كريمين أباً . وبنساءٍ حسانٍ وجوهاً .

وقد تحذف الصفة ، وتدل عليها شبه جملة[1] ، كقوله : كتابٌ في يدِك تقرؤه خير من كتب على رفوف بيتك .

٢ ـ الجملة :

إذا كانت الصفة جملة فعلية أو اسمية وجب أن يكون موصوفها نكرة ،

(١) يرى بعضهم أن شبه الجملة نفسها هي الصفة .

معنى ولفظاً ، أو معنى لا لفظاً ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى الله ﴾ (البقرة : ٢٨١) ونحو : مررت برجل ثيابُه غيرُ نظيفة . فالجملة الأولى قوله : ترجعون فيه ، وصفت « يوماً » والثانية « ثيابُهُ غير نظيفة » وصفت « رجل » والموصوفان كلاهما نكرة لفظاً ومعنى .

أما قول شَمِر بن عمرو الحنفي :

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فمضيت ثُمّتَ قلتُ : لا يعنيني

فإن جملة الوصف فيه « يسبني » ، والموصوف قوله « اللئيم » ، وهو في ظاهر اللفظ معرف بأل ، إلا أن « أل » هذه لا تفيد الكلمة تعريفاً ، لأنها لا تحدد لئيماً معهوداً ، ولذلك يسميها النحاة أل الجنسية ، لأنها تحدد الجنس العام ، ولا تعرِّفُ نكرة بتعيينها . وعلى هذا تكون كلمة « اللئيم » نكرة في المعنى ، معرفة في اللفظ .

ولابد للجملة الوصفية من ضمير يربطها بالموصوف ، كما هو ظاهر في الأمثلة المتقدمة ، وهو يشبه العائد الذي نعرفه في صلة الموصول . ولكن هذا الضمير قد يحذف ظاهراً ، ويقدر ضمناً ، لأن حذفه لا يتعدى اللفظ ، أما معناه فثابت في الذهن والتقدير ، انظر إلى قول جرير :[1]

وما أدري أغَيَّرَهُمْ تناءٍ وطولُ الدهرِ أم مالٌ أصابوا

فالجملة « أصابوا » صفة لِـ « مال » ، ولكنها تخلو في ظاهر اللفظ من ضمير يربطها بالمال ويعود إليه ، إلا أن المعنى يوضح لك أن الشاعر قدَّر كلامه على إضمار الضمير ، وتقديره : أم غيَّرهم مالٌ أصابوه . ومثله قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ (البقرة : ١٢٣) وتقديره : لاتجزي فيه ، وهذا كثير في الكلام الفصيح ، شعره ونثره ، كقول كثيِّر عزة :

من اليوم زوراها خليليَّ إنها سيأتي عليها حقبة لا نزورها

أي : لا نزورها فيها والجملة الوصفية يجب أن تكون خبرية لا إنشائية ، كجملة الحال ، والأمثلة السابقة كلها شواهد على ذلك ، إلا أن أحد الرجاز وهو العجاج قال هذا البيت :

(١) نسبه ابن الشجري في أماليه إلى الحارث بن حلزة . انظر : ١/ ٥ .

حتـى إذا جـنَّ الظـلام واختلـط جاؤوا بمَذْقٍ هل رأيت الذئب قط[1]

فقدره النحاة تقديراً معنوياً بعيداً على الشكل التالي : جاؤوا بمذقٍ مقولٍ فيه : هل رأيت الذئب قط . وخير من هذا أن نقول : إن الجملة هنا إنشائية لفظاً ، خبرية معنى ، وتقديرها : جاؤوا بمذقٍ يشبه الذئب في لونه . ولهذا صور مماثلة في النحو العربي ، كتأويل الجامد بالمشتق ، وتأويل المعرفة بالنكرة ، وقد مرَّ بك ذلك في بحث الحال .

د ـ أحكام الصفة

١ ـ الاشتقاق :

الأصل في الصفة أن تدل على معنى في موصوفها ، وغالباً ما تكون أحد المشتقات الآتية : اسم فاعل ، مثل : هذا رجلٌ حامِلٌ محفظته . اسم مفعول : إنه إنسانٌ محمودُ السيرةِ . صفة مشبهة ، مثل : لبس ثوباً بديع النقش . اسم تفضيل : قرأتُ بحثاً أعمقَ من بحث أخيك .

وهناك أسماء يوصف بها وهي ليست بمشتقة ، غير أنها تؤول بمشتق ، هي :

ـ ما دل على تشبيه ، نحو : مررت برجلٍ أسد وتأويلها : مررت برجلٍ شجاعٍ .

ـ الاسم المنسوب ، نحو : هذا خُلُقٌ عربي .

ـ الاسم الموصول « الذي » وأخواته ، و« ذو » بلغة طيء ، أما « منْ ، وما » فلا يوصف بهما ، قال الحطيئة :

أنت الإمامُ الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليدَ النهى البشَرُ

« الذي » صفة لِـ « الإمام » ومثله قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ قتلننـا ثـم لـم يحيـينَ قَتْـلانـا

« التي » صفة للعيون . ومثله قول سِنان بن فحل الطائي :

فـإن المـاءَ مـاءُ أبـي وجـدّي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

(١) المَذْق : اللبن المخلوط بالماء .

« ذو » بمعنى الذي ، على لغة طيىء ، وهي اسم موصول صفة لِـ « بئري » .

ـ اسم الإشارة بعد المعرفة ، نحو : زرت المدينة هذه غير مرة ، وأقمت في فندقها هذا .

ـ ذو ، التي بمعنى « صاحب » نحو : هذا علم ذو قيمةٍ تاريخية ، وهذه مدينة ذات ماضٍ مجيد .

ـ العدد ، كقولك : له شروط ثلاثةٌ ، يتصف بخصالٍ خمسٍ ، وقال عبدة بن الطبيب :

يَخْفي الترابَ بأظلاف ثمانيةٍ في أربع مسُّهُنَّ الأرضَ تحليلُ[1]

ـ « ما » ، وهي نكرة مبهمة ، نحو : اتصلت برجلٍ ما . أي : مجهولٍ ، ومنه المثل العربي الشهير : لأمرٍ ما جدَعَ قَصيرٌ أنفه . ويُراد منه هنا التهويل والتعظيم ، وتقديره : لأمرٍ عظيم جدع قصير أنفه . ومنه قول الشاعر أنس بن مدركة الخثعمي :

عزمتُ على إقامةِ ذي صباحٍ لأمرٍ مّا يُسوَّدُ مَنْ يَسُودُ

ـ « كل » و« أي » : إذا دلتا على كمال في المعنى الذي يتصف به الموصوف ، كقولنا : فلان شاعر كلُّ الشاعر ، أو أيُّ شاعر . أي : كامل الشاعرية .

ـ المصدر : والمصدر في رأي النحاة اسم جامد ، ومع ذلك يقع صفة في تراكيب كثيرة كقولهم : أبو عمرو راوٍ ثقةٌ ، وابن الخطاب حاكم عَدْلٌ ، وهذه قضية حَقٌّ . ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ويغلب عليه أن يكون ثلاثياً ونكرة ، كما رأيت .

٢ ـ تعدد الصفات :

آ ـ يجوز أن تتعدد الصفات ، وأن تتنوع في تعددها ، تقول : كان سعيد رجلاً لطيفاً ، حلو الحديث ، محباً لزملائه ، يقوم بواجبه نحوهم تمام القيام . فالصفات الثلاث : لطيفاً ، حلو الحديث ، محباً ، تجتمع مع الجملة الوصفية « يقوم بواجبه » في كلام واحد .

(١) يصف ثوراً وحشياً . وَيخْفي التراب : يستخرجه لشدة عدوه .

ويرى بعض النحاة ـ كالخطيب التبريزي وابن عصفور ـ أن الصفات إذا تعددت وتنوعت كان الأفصح في الكلام أن تتقدم الصفة المفردة ، على الوصف بالجملة ، وهذا الرأي ظنيٌّ لا يعتمد على استقراء الكلام الفصيح ، ففي القرآن الكريم : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ فاتبعوه ﴾ (الأنعام : ١٥٥) ، ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ مصدِّقُ الذي بين يديه ﴾ (الأنعام : ٩٢) ﴿ فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين ، أعزةٍ على الكافرين ﴾ (المائدة : ٥٤) . ومثله قول النابغة الذبياني :

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب

وقول امريء القيس :

وفَرْعٍ يغشّي المتنَ أسودَ فاحمٍ ... أثيثٍ كقنْوِ النخلةِ المتعثكلِ

ومثلهُ قول تميم بن أبي بن مقبل :

وهبت شمالٌ تهتِكُ السِترَ قَرَّةٌ ... تكادُ قبيلَ الصُّبْحِ بالماءِ تنضَحُ

ب ـ وإذا وصفت مثنى أو جمعاً بصفة واحدة ، اكتفيت بلفظ التثنية والجمع ، تقول : مررت برجلين شاعرين . أما إذا اختلفت الصفتان فرقت بينهما وعطفت واحدة منهما على أخرى ، نحو : مررت برجلين : شاعرٍ وكاتبِ قصة . ومنه قول الشاعر :

بكيتُ وما بُكا رجلٍ حزينٍ ... على ربعَيْنِ : مسلوبٍ وبالِ

جـ ـ ويجوز عطف الصفات وموصوفُها واحد ، سواء أكانت متقاربة المعنى أم لم تكن كذلك ، وهذا لا يرضي كثيراً من النحاة ، وحجتهم في ذلك أن الصفة هي الموصوف ، ولا يعطف الشيء على نفسه ، وهذا دليل ذهني لايعتمد استقراء اللغة الفصيحة، ففي القرآن الكريم : ﴿ . الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين في الأسحار ﴾ (آل عمران : ١٧) فالصفات متقاربة ومعطوف بعضها على بعض . ويحمل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافرِ الذنبِ ، وقابلِ التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ﴾ (غافر : ٢ ـ ٣) فقوله : قابل التوب ، صفة ليست بعيدة عن قوله : غافر الذنب ، وقد عطفت عليها بالواو[1] . ومثل ذلك قول الشاعر :

(١) قال الفراء : « جعلها كالنعت للمعرفة وهي نكرة ، ألا ترى أنك تقول : مررت برجلٍ شديدِ القلبِ . إلا أنه وقع معها قوله : ذي الطول . وهو معرفة ، فأجْرِين =

إلى الملك القَرْم وابن الهُمام وليثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَمْ

وقول ابن زيابة بعد تهديد الحارث بن الهمام له :

يا لهف زيابة للحارثِ الـ ـصابح فالغانم فالآيبِ

ويكون العطف واجباً في بعض التراكيب ، مثل : ﴿ وظلٍ من يَحْمومٍ لا باردٍ ولا كريم ﴾ (الواقعة : ٤٣) .

ومجمل القول في هذا أن الصفة حينما تكون للتوضيح يختار منها أخصها بالموصوف ، وأحقها بالبيان ، حتى لا يحتاج الموضع إلى صفة أخرى موضحة ، كقولك : الأخفش الأوسط ، والأعشى الأكبر ، وسيبويه النحوي ، هذا إذا لم يحصل لبسٌ مّا .

أما الصفات التي يراد منها المدح أو الذم فيجوز تعددها مع العطف أو من دونه ، وإنما جاز العطف لتغاير المعاني وإن تقاربت .

٣ ـ حذف الموصوف :

وكثيرٌ جداً حذف الموصوف وإنابة الصفة منابه ، حتى إن بعض الصفات صارت على مر الأيام كالمرادفات لموصوفها ، فصفات السيف مثل : الحسام ، والمهند ، والأبيض ، والصارم ، كثيراً ما تستعمل دون ذكر موصوفها . ومثل هذا إطلاقهم : الأطلس ، دون ذكر الذئب ، والورقاء دون ذكر الحمامة ، والغبراء ، دون ذكر الأرض ، والذلول دون ذكر الناقة ، و . . . وفي القرآن يكثر هذا الأسلوب الفصيح ، من ذلك : ﴿ وزوجناهم بحورٍ عينٍ ﴾ (الدخان : ٥٤ ، والطور : ٢٠) ﴿ وعندهم قاصراتُ الطرفِ عينٌ ﴾ (الصافات : ٤٨) ﴿ أن اعمل سابغاتٍ ﴾ (سبأ : ١١) والتقدير : بنساء حورٍ عين ، ونساء قاصرات الطرفِ ، ودروعاً سابغات . وفي الشعر قول زهير في وصف الدار :

بها العِينُ والآرامُ يَمْشين خِلْفَةً وأطلاؤها ينهضْنَ مِنْ كلِّ مَجْثَمِ

أي : البقرات العين ، ومثله قول الأعشى :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يَضِرْها وأوهى قرنه الوعِلُ

= مُجراه » (معاني القرآن : ٣/ ٥) وانظر ما هو أوسع من هذا تفصيلاً في التفسير الكبير للرازي : ٢٧/ ٢٧ ـ ٢٨ .

والتقدير : كوعلٍ ناطح . ومن ذلك قول كثير عزة :

وما ذكرتُكِ النفسُ إلاَّ تفرَّقَتْ فريقين : منها عاذرٌ لي ، ولائمُ

أي : منها فريق عاذر لي ، وفريق لائم .

٤ ـ حذف الصفة :

أما حذف الصفة فقليل ، ولا تحذف إلا إذا كان الدليل واضحاً جداً ، من ذلك قول المرقش الأكبر :

ورُبَّ أسيلةِ الخدَّيْنِ بِكرٍ مهفهفةٍ لها فَرْعٌ وجيدُ

وتقديره : لها فرعٌ وجيدٌ طويلان . وفي القرآن : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غَصْباً ﴾ (الكهف : ٧٩) أي : كل سفينة صالحة .

هـ ـ النعت المقطوع

وهذا أسلوبٌ عربي في استعمال الصفات ، يُراد منه معنى غير المعنى الذي تحمله الصفة غير المقطوعة ، ويؤدي أحد معانٍ ثلاثة : التعظيم ، الشتم ، الترحم .

١ ـ النعت المقطوع للتعظيم :

نقل سيبويه في كتابهِ أنه سمع بعضَ العرب يقول : الحمدُ لله ربَّ العالمين . فلم يتبع الصفة « رب » لفظ الجلالة الموصوف بها ، ولكنه نصبها ، لمعنى المدح والتعظيم ، وجعلها مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً ، تقديره : أعظّم ، أو أمدح .

ومن الممكن أيضاً أن يقول : الحمدُ لله ربُّ العالمين . برفع (رب) . فيقطع الصفة عن موصوفها إعراباً ، وفي هذه الحال تعرب خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً . وهكذا تنصب الصفة أو ترفع إذا كان الموصوف مجروراً . أما إذا كان مرفوعاً فليس إلا النصب ، وإذا كان منصوباً فليس إلا الرفع .

كقول الخِرْنِقِ الشاعرة :

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين همُ سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ

النـــازليـــنَ بكـــل مُعْتــركٍ   والطيبـــونَ معـــاقِـــدَ الأُزْرِ

نصبت النازلين على أنها نعت مقطوع كما تقدم ، لأن الموصوف (قومي) مرفوع . وكان يمكن أن تقطع الصفة الثالثة (الطيبون) ، فتنصبها .

ويختلف الأمر بين أن يكون الموصوف نكرة أو معرفة ، فإن كان نكرة فلا يقطع نعته إلا إذا كان واحداً من نعتين أو أكثر مثل : قرأت شعراً جيداً متينُ السبك . أما إذا كان له نعت واحد فلا يجوز قطعه لأنه يخصص به . أما إذا كان الموصوف معرفة فيجوز قطع نعته الواحد إذا تعين وعرف من دون ذكر صفاته مثل : قرأت للعقادِ الكاتبَ . أما إذا لم يتعين إلا بذكر بعض صفاته فلا يجوز قطع ما يتعين به . مثل : قرأت للكاتبِ المصريِّ صاحبِ العبقريات .

٢ ـ الصفة المقطوعة للتحقير والشتم :

وكذلك تقطع الصفة أحياناً لغرض آخر ، وهو الشتم أو التحقير ، فتنصب على أنها مفعول به لفعل محذوف ، أو ترفع على الابتداء أو الخبرية ، نحو : أتاني زيدٌ الخبيثَ ، ورأيتُ سعيداً الحقيرُ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وامرأتُه حمالةَ الحطب ، في جيدِها حبلٌ من مَسَد ﴾ (المسد : ٤ ـ ٥) ، وتقديره : أذمُّ حمالةَ الحطب ، وهذا التقدير للتمثيل ، ولكنه لا يستعمل في الكلام .

٣ ـ الصفة المقطوعة للترحم :

وتقطع الصفة لتؤدي معنى الترحم ، كقولك : مررتُ بخالدٍ المسكينَ أو المسكينُ .

شواهد للتدريب

١ ـ قال مضرّس المُزَني :

أهـاجتـك آيـاتٌ عفـونَ خُلـوقُ   وطيـفُ خيـالٍ للمحـبِّ يَشـوقُ
تلـوحُ مغـانيهـا بحُجْـرٍ كـأنهـا   رداءُ يمـانٍ قـد أمـحَّ عتيـقُ
لياليَ لا تهوَيْنَ أن تشحط النوى   وأنـت خليـلٌ لا يُـلامُ صـديـقُ

٢ ـ قال حسان بن ثابت :

فـوافينـاهـمُ منـا بجمـعٍ   كأسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشِيبِ

٣ ـ قال المتنبي :

وهل ينفع الجيش الكثيرَ التفاتُهُ   على غيرِ منصورٍ وغيرِ مُعانِ

البدل وعطف البيان

يطلق مصطلح البدل على ما كان تابعاً لغيره في الإعراب، مقصوداً في الحكم الذي يُراد من الكلام، دون أن تقوم بينه وبين ما يتبعه واسطة، كحروف العطف. كقولك: هذا مقام الإمام عليٍّ. فالاسم «علي» تابع في الإعراب لما قبله، فكان مثله مجروراً، ولكنه هو المقصود في الحكم، ويمكن أن نحذف المبدل منه، ونقول هذا مقام عليٍّ. ومثل هذا قولك: تساقطت البيوتُ بعضُها على بعض. فكلمة «بعضها» بدل من «البيوت» ولذلك تبعتها في الإعراب مرفوعة، دون أن يتوسط بينهما حرف من حروف العطف، وهي المقصودة في الحكم.

١ ـ أحكام البدل

١ ـ بدل النكرة من المعرفة والعكس:

رأينا في بحث الصفة أن الصفة والموصوف يجب أن يتطابقا في الإعراب، والعدد، والجنس، والتعريف والتنكير، أما البدل فيطابق المبدل منه في هذا كله، ولكن من الجائز فيه أن نبدل نكرة من معرفة، ومعرفة من نكرة. فقوله تعالى: ﴿لنسفَعَنْ[1] بالناصية، ناصيةٍ كاذبة خاطئة﴾ (العلق: ١٥) فيه «ناصية» مبدلة من «الناصية»، أما قوله: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيمٍ، صراطِ الله﴾ (الشورى: ٥٢) ففيه أبدلت المعرفة «صراطِ الله»، من النكرة «صراط». ومثله: ﴿ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالاً وعدده﴾ (الهمزة: ١ و٢) إذ أبدلت المعرفة «الذي» من النكرة الموصوف بالهمزة اللمزة، واشترط بعض النحاة في هذا

(١) ترسم في القرآن: لنسفعاً. والتنوين الظاهر في الرسم إنما هو نون التوكيد الخفيفة.

أن يكون لفظا البدل والمبدل منه متفقين كما هو ظاهر في الآيتين ، غير أن ما جاء في النصوص الفصيحة من هذه الظاهرة يدل على أن هذا الشرط ليس بلازم ، من ذلك قول حميد بن ثور :

ولن يلبث العصرانِ : يومٌ وليلةٌ   إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

إذ أبدل الشاعر (يوم) وهو نكرة من (العصران) وهو معرفة وليس اللفظان متفقين .

٢ ـ إبدال الاسم الظاهر من الضمير :

ويجوز في البدل أيضاً أن نبدل اسماً ظاهراً من ضمير متصل ، وهو واضح في قول عدي بن زيد :

ذريني إن أمرَكِ لن يُطاعا   وما ألفيتني حِلمي مُضاعا

فقوله « حلمي » بدل من ياء المتكلم المتصلة بالفعل « ألفى » .

ولكن لا يجوز هنا العكس ، إذ لا يأتي الضمير بدلاً من الاسم الظاهر البتة ، أما قوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) فالضمير فيه وهو « أنت » توكيد للفاعل المستتر في فعل الأمر « اسكن » .

٣ ـ إبدال الفعل من الفعل :

ويجوز أيضاً أن يأتي الفعل مبدلاً من الفعل ، كقولك : منْ يأتنا يستعنْ بنا نُعنْه . فالفعل « يستعن » بدل من الفعل « يأتنا » ، وهو المقصود بالحكم . ومثله قوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك يَلقَ أثاماً ، يضاعف له العذابُ ﴾ (الفرقان : ٦٨) ، فقوله : يضاعف . بدل من : يَلقَ . ومنه هذا البيت الذي احتج به سيبويه في كتابه :

إنّ عليَّ الله أن تبايعا   تؤخَذَ كَرْهاً أو تجيء طائعاً

٤ ـ إبدال الجملة من الجملة :

وفي الأساليب العربية ما يتوخى فيها الإيجاز ، وما يقصد فيها إلى الإسهاب ، ومن النوع الثاني إبدال الجملة من الجملة ، كما في قوله تعالى : ﴿ أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأموال وبنين ﴾ (الشعراء : ١٣٢ و١٣٣) ،

ففي الجملة الأولى تعميم ، وفي الثانية تخصيص ، وتلك صورة من صور البدل المعنوية في لغة العرب .

٥ ـ إبدال الجملة من المفرد :

ويجوز أيضاً أن تأتي الجملة بدلاً من مفرد ، كقولنا : أريد أن أعرف أخاك كيف يدرس ، فنحن هنا لا نريد أن نعرف « الأخ » ، لأنه معروف لدينا من قبل ، إلا أن الذي نقصد إلى معرفته هو طريقة دراسته ، ولكننا ذكرناه في الكلام جرياً على أساليب العرب الكلامية ، وعلى هذا تكون جملة « كيف يدرس » بدلاً من « أخاك » .

ومنه قول الفرزدق :

إلى الله أشكو في المدينةِ حاجةً وبالشام أخرى كيفَ يلتقيانِ

كأنه قال أشكو تعذرَ التقائهما ، أي : أنَّ جملة : كيف يلتقيان ، بدل من : حاجة وأخرى . ومثله قول مبشر بن هذيل الفزاري :

فلا تتبعي العينَ الغَويَّةَ وانظري إلى عنصرِ الأحسابِ أين يؤول

فقوله : أين يؤول ، بدل من « عنصر » ، فكأنه قال : انظر إلى أين يؤول عنصر الأحساب .

٢ ـ ألوان البدل

وينقسم البدل من حيث علاقته بالمبدل منه أربعة أقسام : بدل الكل من الكل ، وبدل البعض من الكل ، وبدل الاشتمال ، والبدل المباين .

١ ـ بدل الكل من الكل[1] :

ويسمى أيضاً البدل المطابق ، وهو ما كان البدل فيه هو المبدل منه نفسه ، كما لو قلت : جاء زيدٌ أخوك ، فالأخ هو زيد نفسه . ومثله قوله

(١) تعريف « كل ، وبعض » بـ « أل » مما يضطر إليه في البحوث العلمية ، وإن كان غير معهود في العربية الصحيحة .

تعالى : ﴿ اهدنا الصراطَ المستقيم، صراطَ الذين أنعمت عليهم ﴾ (الفاتحة : ٥ و٦) .

٢ ـ بدل البعض من الكل :

ويقال له : بدل الجزء من الكل ، وهو ما كان فيه البدل بعضاً من المبدل منه ، كقول كثير عزة :

وكنت كذي رجلينِ : رجلٍ مريضةٍ ورجل رمى فيها الزمان فشلتِ[1]

وكالمثال الذي يدور في كتب النحو : أكلتُ الرغيف نصفَهُ . وكقوله تعالى : ﴿ ولله على الناسِ حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ (آل عمران : ٩٣) . والأكثر في هذا النوع من البدل أن يشتمل على ضمير المبدل منه ، مثل : أصبتُ النجاحَ بعضه . وليس هذا بواجب كما يصر بعض النحاة .

٣ ـ بدل الاشتمال :

وهذا يختلف عن الشكل السابق اختلافاً بيناً ، فالبدل فيه ليس جزءاً أو بعضاً من المبدل منه ، ولكنه مما يشتمل عليه ، فإذا قلت : أعجبني أخوك ذكاؤه . كان الذكاء بدل اشتمال ، و« أخوك » هو المبدل منه ، والذكاء ليس منفصلاً عن الأخ ، ولا بعضاً منه ، ولكنه شيء مستقر فيه ويشتمل عليه المبدل منه . ومثله قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ﴾ (البقرة : ٢١٧) فقوله قتالٍ : بدل اشتمال من ﴿ الشهر الحرام ﴾ لأن القتال يحدث في الشهر . ومنه قول الفرزدق :

ورثتُ أبي أخلاقَهُ عاجلَ القِرى وعُبْطَ المهاري كومُها وشُبوبُها[2]

فالأخلاق مما يشتمل عليه الأب . ومثله أيضاً قول النابغة الجعدي :

بلَغْنا السماءَ مجدُنا وسَناؤنا وإنا لنبغي فوقَ ذلك مَظْهرا

فالمجد مما يشتمل عليه قوم الشاعر .

---

(١) ويروى برفع « رجل » في الموضعين .

(٢) العُبُطُ : بضم العين والباء جمع مفرده : عبيط . وهو اللحم الطري . والمقصود به هنا : النوق . والمهارَى : (والمهارِيُّ أيضاً) جمع . مفرده : مَهْرية ، وهي إبل سريعة . والكوم : جمع ، مفرده : كوماء ، وهي الضخمة . والشَبوب من البهائم : الشاب .

٤ ـ البدل المباين :

وهذا اللون لا يكون في كلام الفصحاء ـ كما يزعم النحاة ـ وهو ما كان البدل فيه مغايراً للمبدل منه ، ويكون في إحدى حالات ثلاث تلابس المتكلم حين الكلام ، وذلك على الشكل الآتي :

ـ الغلط :

قد تريد أن تقول شيئاً فيسبقك لسانك بالغلط ، فتقول شيئاً آخر ، كقولك : رأيتُ سعيداً خالداً . فأنت لم تر سعيداً ، ولكنك رأيت خالداً ، إلا أنك حين أردت أن تخبر عن رؤيتك إياه ، غلطت ، فذكرت سعيداً ، ثم صححت الخطأ فقلت : خالداً .

ـ النسيان :

وقد يكون الأمر نسياناً ، فبعد أن يتم الكلام يتذكر المتكلم أنه لم يكن على صواب ، لأنه نسي الحقيقة ، فيذكرها ، مثل : سافرت إلى دمشقَ بغدادَ . فالمتكلم بعد أن قال : سافرت إلى دمشق ، تذكر أنه سافر إلى بغداد لا إلى دمشق ، فأردف الخطأ الصواب .

ـ الإضراب :

إذا قلت لك : اكتب بالحبر ، بقلم الرصاص . يكون في قولي بدل إضراب ، فبعد أن أمرتك بأن تكتب بالحبر ، عدلت عن ذلك وطلبت أن تكون الكتابة بقلم الرصاص . ومثله : خذ الكتابَ ، الدفترَ .

ملاحظة :

للعربية الفصيحة أسلوبان في استعمال البدل ، فأحياناً نُتْبعه ما قبله ، كما مَرَّ ، وأحياناً تقطعه عنه وترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، كما في قوله تعالى : ﴿ قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا ، فئةٌ تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ ﴾ (آل عمران : ١٣) فقد قرئت « فئة » بالرفع على تقدير : إحداهما فئةٌ تقاتل ، وقرئت بالجر على البدل من « فئتين » . ومثله قول كثير عزة :

وكنتُ كذي رجلين رجلٌ صحيحةٌ ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلَّتِ

وهذا كثير في الشعر والقرآن .

٣ ـ عطف البيان

يفصل النحاة بين بحثي البدل وعطف البيان ، ثم يقولون : إن كل عطف بيان يجوز أن يكون بدلاً مطابقاً إلا إذا رفضت ذلك أحكام البدل . ولهذا رأينا أن نجملهما في بحث واحد ، وإليك الفرق بينهما :

١ ـ عطف البيان ليس هو المقصود في الحكم ، وإنما يذكر في الكلام ليوضح متبوعه ، وهو في هذا يشبه الصفة ، فإذا قلت : ما كان أشجعَ أبا الحسن علياً . فإن قولك « علياً » يبيِّن المقصود من « أبا الحسن » .

٢ ـ لا يجوز أن تعطف النكرة على المعرفة عطف بيان ، ولا العكس ، لأن التطابق واجب ولهذا أخطأ الزمخشري حين أعرب « مقامُ إبراهيم » عطف بيان[1] ، في قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات ، مقامُ إبراهيم ﴾ (آل عمران : ٩٣) لأن التطابق معدوم ، ولهذا تعين أنها بدل .

٣ ـ وإذا امتنع الاستغناء عن المتبوع كان عطفَ بيان وجوباً ، ولا يجوز أن يكون بدلاً ، لأن شرط البدل ـ كما رأينا ـ أن يكون هو المقصود بالحكم ، ولهذا يجوز حذف المبدل منه .

وصناعة النحو هي التي لا تجيز الاستغناء عن المتبوع ، تأمل مثلاً قول طالب بن أبي طالب :

أيا أخوينا عبدَ شمسٍ ونوفلاً   أعيذكما بالله أن تحدثا حَرْبا

فإن « عبد شمس » عطف بيان لا بدل ، إذ لو كان بدلاً لجاز الاستغناء عن المتبوع وهو « أخوينا » ، وهذا لا يجوز هنا ، لأننا لو استغنينا عنه لصار الكلام : يا عبدَ شمس ونوفلا . وهذا لحن ، لأن المعطوف على المنادى ـ في هذه الحال ـ يعامل معاملة المنادى المستقل ، كما مرَّ بك من قبل ، أي : على نية تكرار العامل ـ كما يقول النحاة ـ وعلى هذا وجب أن يكون « نوفلاً » مبنياً على الضم . ولما كان منصوباً دل على أن « عبد شمس » ليس بدلاً ، ولكنه

(١) انظر تفسير الكشاف : ١/٤٤٧ .

عطف بيان ، وحينئذ يكون « نوفلاً » معطوفاً عليه بالنصب ، لأنه منصوب ، ولا يُنوى تكرار العامل .

ومثله قول المرار الفقعسي :

أنا ابن التاركِ البكريّ بِشْرٍ   عليه الطيرُ ترقُبُه وُقوعاً

إذ يتعيَّن أن يكون « بشر » عطف بيان لا بدلاً ، ولو كان بدلاً لجاز لنا أن نستغني عن المبدل منه ، وحينئذٍ يصير الكلام : أنا ابن التاركِ بشرٍ . وهذا لحن أيضاً ، لأننا أضفنا ما فيه « أل » إلى مجرد منها ، وهذا لا يجوز ، وإن كانت الإضافة لفظية .

وفي غير هذه المواضع يجوز أن يعرب عطف البيان بدلاً مطابقاً ، هذا وعطف البيان في الأسماء الجامدة كالصفة في الأسماء المشتقة ، فهو مثلها يوضح متبوعه ويزيده جلاءً ، إلا أن بعض الصفات الصرفية المشتقة تتحول إلى ألقابٍ تخص ناساً دون غيرهم ، مثل : الصدّيق ، والأعشى ، والنابغة ، والمتنبي ، والمتلمّس ، والممزَّق ، ولذلك تعرب هذه الألقاب عطف بيان في مثل : قال أبو الطيب المتنبي ، أو : قرأت شعر زياد بن معاوية النابغةِ ، أو كان هذا في زمن أبي بكر الصدّيق . وهكذا .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ . . . فيه آياتٌ بيناتٌ : مقامُ إبراهيمَ ومن دخله كان آمناً ﴾ (آل عمران : ٩٧) .

٢ ـ ﴿ ربَّنا وأدخلهم جناتِ عدنٍ التي وعدتهم ﴾ (غافر : ٨) .

٣ ـ قال الشاعر يخاطب بني هاشم :

بكمُ الأكابرِ والأصاغِرِ فخُرنا   أبداً بذاك نَزالُ معترِفينا

٤ ـ وقال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحدٍ   ولكنه بنيان قومٍ تهدَّما

☆ ☆ ☆

المعطوف عطف النسق

رأينا في الصفة ، والبدل ، وعطف البيان ، والتوكيد ، أن التابع يتبع ما قبله في الإعراب دون أن يقوم بين التابع والمتبوع حرفٌ ما ، أما عطف النسق فينفرد من دون التوابع بأنه يكون بتوسط حرف من حروف العطف ، وهي : الواو ، والفاء ، وثم ، وحتى ، وأم ، وأو ، وبل ، ولكنْ ، ولا[1] .

وتختلف هذه الأدوات من حيث وظائفها ، فبعضها يجعل المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه لفظاً ومعنى ، كالواو ، والفاء ، وثم ، وحتى ، وأم ، وأو . وبعضها الآخر يجعل المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه باللفظ ، مخالفاً له في المعنى ، وهي : بل ، ولا ، ولكن . فمثال القسم الأول : جاء أبوك وأخوك . فالمعطوف ، وهو « أخوك » يشارك المعطوف عليه وهو « أبوك » في الحكم ، فكلاهما قام بفعل المجيء ، ويشاركه أيضاً بالإعراب اللفظي ، فهو مرفوع مثله . ومثال القسم الثاني : جاء أبوك لا أخوك . فالمعطوف هنا لم يشارك المعطوف عليه بالحكم لأنه لم يقم بفعل المجيء ، على حين يشاركه في الإعراب ، كما هو واضح .

آ ـ أحرف العطف

١ ـ الواو :

إذا قلت : جاء سعيدٌ وخالدٌ . عرف السامع أن الرجلين كليهما قد قاما بفعل المجيء ، ولكنه لا يعرف من سبق صاحبه ، لأن الواو إذا عطف بها مفرد

(١) قد تقع (ليس) في التركيب حرف عطف وذلك حين تستعمل استعمال (لا) كقول لبيد :

وإذا أُقرِضْتَ قرضاً فاجزِهِ ... إنما يجزي الفتى ليس الجملْ

وزاد بعض النحويين : إما ، وكيف ، وأين ، وهَلّا .

على مفرد وتجردت من القرينة كانت لمطلق الجمع ، ولا تدل على ترتيب أو تعقيب كما تدل الفاء وثم ، وقد يعطف بها المتقدم على المتأخر ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنْ هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ (المؤمنون : ٣٧) ، فقد عطف « نحيا » وهو المتقدم ، على « نموت » وهو المتأخر .

وأحياناً يدل الكلام على مطلق الجمع دلالة واضحة ، كقولك : اخصص بودٍّ وثناء من كان صديقاً ، وقولك : أنت رجل فيك صدق ووفاء .

٢ ـ الفاء :

وإذا قلت : جاء سعيد فخالدٌ . عرف السامع أن سعيداً سبق خالداً في المجيء بوقت قصير ، لأن الفاء تدل على ترتيب وتعقيب ، كما ترى ، وتجمع إلى ذلك أحياناً السببية ، كقولنا : رفع العلم فتأهب الجند ، أو دخل القائد فنهض الجند .

٣ ـ ثم :

دلالة « ثم » تشبه دلالة الفاء ، إلا أنها تفيد التراخي لا التعقيب ، فإذا قلت : جاء سعيد ثم خالد ، عرف السامع أن خالداً تأخر في المجيء عن خالدٍ زمناً غير قصير ، وقد تلحقها تاء التأنيث ، كما في قول ثعلبة بن صُعَيْرٍ المازني :

وعَدَتك ثُمتَ أخلفت موعودها ... ولعل ما مَنَعَتكَ ليس بضائرِ

٤ ـ حتى :

العطف بها قليل ، حتى إن بعض النحويين ينكرونه ، وهي لا تعطف الجمل كالواو والفاء وثم وأو ، بل تقتصر على عطف المفرد الظاهر على أن يكون بعضاً من المعطوف عليه أو كبعضٍ منه ، وغاية له ، كهذا المثال الذي تذكره كتب النحو : أكلت السمكةَ حتى رأسَها . فالرأس معطوف على السمكة ، وهو اسم ظاهر ، وبعض من المعطوف عليه ، وغاية له . ومثله : قدم الناس من المتنزَّه حتى الذين يسيرون سيراً . ومنه قول أبي مروان النحوي :

ألقى الصحيفةَ كي يخففَ رحلَه ... والزادَ حتى نَعْلَهُ ألقاها

بنصب « نعله » ، فكأنه قال : ألقى ما يثقله حتى نَعْلَه .

٥ ـ أم :

إذا وقعت « أم » بعد همزة الاستفهام أو همزة التسوية كانت حرف عطف ، وإذا لم تتقدم عليها إحدى الهمزتين كانت حرف إضراب ، فما وقعت فيه عاطفة بعد همزة الاستفهام قولك : أكتبت أم قرأت ؟ وكقول زياد بن حمل التميمي :

زارتْ رُقَيَّـةُ شعثـاً بعـدمـا هجعـوا لدى نواحلَ في أرساغها الخَدَمُ
فقمـتُ للطيـفِ مرتـاعـاً فـأرقنـي فقلت : أهْي سَرَتْ أم عادني حُلُمُ

ومثله في القرآن كثير نحو : ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماءُ بناها﴾ (النازعات : ٢٧) ، وأما ما جاء منها بعد همزة التسوية فكقوله تعالى : ﴿ سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ (البقرة : ٦) .

وقد تحذف همزة الاستفهام لدلالة السياق عليها ، كقول عمر بن أبي ربيعة :

فـوالله مـا أدري وإن كنـتُ داريـاً بسبـع رميـن الجمـر أم بثمـانِ

والتقدير : أبسبع ، أما حذف همزة التسوية فكقراءة ابن محيصن : ﴿ سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ (البقرة : ٦) وهي على تقدير : أأنذرتهم .

وهمزة التسوية هي همزة الاستفهام نفسها ، ولكنها تكون للتسوية إذا وقعت بعد « سواء » ، وصح سبْكُ ما بعدها بمصدر مؤول .

٦ ـ أو :

لِـ « أو » معان كثيرة ، يجمعها قول ابن مالك في ألفيته :

خيِّر ، أَبِحْ ، قسِّم ، بأو ، وأَبْهِمِ واشكُك ، وإضرابٌ بها أيضاً نُمي

أي : أنهـا تكـون للتخييـر ، كقـولـك : خـذ هـذا الكتـاب أوْ ذاك . وللإباحة ، نحو : سافر مع أخيك أو ابن عمك . وللتقسيم ، نحو : الكلمة اسم ، أو فعل ، أو حرف . وللإبهام على السامع ، كقولك له وأنت تعرف الحقيقة : قرأتُ هذا الكتاب أو هذا . وللشك ، كقولك وأنت لا تعرف

الحقيقة : جاء عمك أو أبوك . وللإضراب ، أي : تكون بمعنى « بل » ، كقول جرير يشكو من كثرة أولاده :

كـانـوا ثمـانيـن أو زادوا ثمـانيـةً لـولا رجـاؤك قـد قتلـت أولادي

أي : بل زادوا . وتكون بمعنى الواو ، أي : الجمع ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ﴾ (الإنسان : ٢٤) ، فقد نهاه عن إطاعة الآثم والكفور جميعاً .

٧ ـ لكنْ :

يعطف بها المفردات فحسب بعد النفي والنهي على ألا تسبق بالواو نحو : ما جاء أخوك لكنْ أبوك . لا تضربْ سَميراً لكن أخاه . وهي لا تعطف الجمل ، فإن وقعت بعدها جملة كانت حرف ابتداء واستدراك .

٨ ـ بل :

هي مثل « لكن » ، تعطف بعد النفي والنهي ، وتزيد عليها في أنها تعطف في الإيجاب ، نحو : ما قرأتُ هذا بل ذاك . لا تقرأ هذا بل ذاك . قرأتُ هذا الكتابَ بل ذاك . وهي لا تعطف الجمل ، وتقتصر على عطف المفردات ، كقول قيس بن ذريح :

أصبحتُ من حبِّ لبني بل تذكرِها في كُرْبةٍ ففؤادي اليومَ مَشْغولُ

وإذا وقعت بعدها جملة كانت حرف ابتداء .

٩ ـ لا :

يعطف بها اسم مفرد ، على أن تكون الجملة المقدمة إيجاباً ، أو أمراً ، نحو : جاءَ خالدٌ لا سعيدٌ . اضرب المذنبَ لا البريءَ .

ب ـ أحكام عطف النسق

١ ـ العطف على الضمير :

إذا عطف اسم ظاهر على ضمير متصل مرفوع ، سواء أكان بارزاً أم ـ

مستتراً ، فالأفصح توكيده بضمير منفصل ، نحو : ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم ﴾ (الأنبياء : ٥٤) ونحو : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) ، ويجوز العطف عليه إذا فُصِل بينه وبين المعطوف ، نحو : ﴿ ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ (الأنعام : ١٤٨) فالفاصل هنا « لا » ، ونحو : ﴿ جنات عدنٍ يدخلونها ومن صَلَحَ . . . ﴾ (الرعد : ٢٣) ، والفاصل هنا الضمير ، ومثله قوله : ﴿ أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لَمُخرَجون ﴾ (النمل : ٦٧) .

وفي ضرورة الشعر يباح للشعراء أن يعطفوا على الضمير المرفوع بلا توكيد ولا فاصل ، كقول جرير :

ورجا الأخيطِلُ من سفاهةِ رأيهِ ما لم يكنْ وأبٌ له لينالا

وقول عمر بن أبي ربيعة :

قلت إذ أقبلتْ وزهرٌ تَهادى كنِعاج الملا تعسَّفْنَ رَمْلا

ـ وإذا عطف على ضمير متصل مجرور ، فالأفصح إعادة الجار ، سواء أكان حرفاً أم مضافاً ، فالأول مثل : ﴿ فقال لها وللأرضِ ائتيا طوعاً أو كرهاً ﴾ (فصلت : ١١)، والثاني نحو: ﴿ قالوا : نعبدُ إلٰهك وإلٰه آبائك ﴾ (البقرة : ١٣٣) ، ونحو : ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ (الأعراف : ٨٩) .

ويصح عند بعض النحاة العطف من دون إعادة الجار ، ويحتجون على ذلك بقراءة قرآنية هي : ﴿ واتقوا الله الذي تسَّاءلون به والأرحامِ[1] ﴾ (النساء : ١) وببيت أثبته سيبويه في كتابه ، وهو :

فاليومَ قرَّبتَ تهجونا وتشتمنا فاذهب ، فما بكَ والأيامِ من عجَبَ

وببيت آخر لمسكين الدارمي :

نعلِّقُ في مثلِ السواري سيوفَنا فما بينها والكعبِ غَوْطٌ نفانِف

ـ أما العطف على الضمير المنصوب فيجوز بلا شرط ، سواء أكان منفصلاً أم متصلاً : نحو : ﴿ هذا يومُ الفصل جمعناكم والأولين ﴾ (المرسلات : ٣٨) ، ومثله : ﴿ وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ (النمل : ٢٤) ومنه أيضاً في الشعر قول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً :

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معا

---

(١) القراءة اليوم : . . . . تساءلون به والأرحامَ .

٢ ـ عطف الفعل على الفعل :

يعطف الفعل على الفعل إذا كانا متحدين في الزمان ، نحو : جاء أخوك وذهب . ونحو : ﴿ وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتِكم أجوركم ولا يسألْكم أموالكم ﴾ (محمد : ٣٦) . ولا يهم أن تختلف صيغتاهما ، كأن يكون أحدهما بصيغة المضارع ، والثاني بصيغة الماضي ، إذا كان الزمان واحداً ، نحو ﴿ يَقْدُمُ قومَه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ (هود : ٩٨) ، أي : فيوردهم النار . ونحو : ﴿ إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ويجعلْ لك قصوراً ﴾ (الفرقان : ١٠) ، أي : وجعل لك قصوراً .

٣ ـ عطف الفعل على الاسم والعكس :

يجوز عطف الفعل على الاسم الذي يشبهه بالمعنى نحو : ﴿ فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ﴾ (العاديات : ٣ و٤) فقوله : المغيرات ، اسم فاعل يشبه الفعل في الدلالة على الفاعل والزمان ، ولذلك جاز أن يعطف عليه قوله « أثَرْنَ » .

ومثله : ﴿ إن المصّدقين والمصّدقات وأقْرضوا الله قَرْضاً حسناً . . . ﴾[1] (الحديد : ١٨) وقوله : ﴿ ألم يروا إلى الطير فوقهم صافَّاتٍ ويقبضن ﴾ (الملك : ١٩) ، ففي الآية الأولى عطف قوله : أقرضوا ، على المصَّدقين ، وفي الثانية عطف « يقبضن » على « صافات » ويجوز العكس ، وهو عطف الاسم المشتق على الفعل بشرط أن يكون الفعل واقعاً موقع الأسماء ، كقول جندب بن عمرو :

يا ليتني عَلِقْتُ غيرَ حارجٍ   قبلَ الصباحِ ذاتَ خَلْقٍ بارجِ

أمَّ صبيٍّ قد حبا أو دارجِ

فقوله : دارج ، معطوف على « حبا » .

٤ ـ جواز حذف العاطف ومعطوفه :

ويكون هذا مع أدوات ثلاث : الفاء ، والواو ، وأم . مثال الأولى :

(١) يرى بعضهم أن جملة ﴿ أقرضوا الله ﴾ معترضة . انظر : العكبري : ٢/٢٥٦ .

﴿ أن اضرب بعصاك البحرَ ، فانبجست ﴾ (الأعراف : ١٦٠) أي : فضرب فانبجست . ونحو : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ أخر ﴾ (البقرة : ١٨٤) أي : فأفطر ، فعدة . . . ومثال الثانية قول النابغة الذبياني :

فما كان بين الخيرِ لو جاء سالماً أبــو حجــرٍ إلا ليــالٍ قــلائِــلُ

أي : فما كان بين الخير وبيني ، ومثال الثالثة قول أبي ذؤيب الهذلي :

دعـانـي إليهـا القلـبُ ، إنـي لأمـره سميعُ ، فمـا أدري أرشـدٌ طِـلابُهـا

أي : أرشد طلابها أم غيٌّ .

٥ ـ ما تختص به الواو :

وفي العربية أسلوب خاص بالواو ، يميل إلى الإيجاز ، فيحذف جزء من المعطوف بها للدلالة القائمة عليه، ويبقى ما عمل فيه، كقول الراعي النميري :

إذا ما الغانياتُ برزن يوماً وزجَّجْنَ الحواجبَ والعيونا

فتزجيج الحواجب هو أن تجعلها المرأة دقيقة طويلة ، أما العيون فلا تزجج ، ولذلك يكون قوله « العيون » مفعولاً به لفعل محذوف تقديره : كحلْنَ العيونَ .

ومثله قول عبد الله بن الزبعرى :

ورأيتُ زوجَك في الوغى متقلــداً سيفــاً ورمحــا

فالرمح لا يُتقلد ، ولكنه يحمل ، وعلى هذا يكون « رمحاً » مفعولاً به لاسم فاعل محذوف تقديره : وحاملاً رمحاً .

٦ ـ العطف على المحل :

وفي العربية أسلوب تعبيري ، يراعي المعنى ، ويجيز العطف على محل اللفظ ، كقول عقيبة الأسدي من قصيدة مفتوحة الروي :

مُعـاويَ إننـا بَشـرٌ فـأسجِـحْ فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

فالباء زائدة في قوله : بالجبال ، والمحل للنصب لأنه خبر « ليس » ، فعطف قوله « الحديد » على المحل . ومثله قول رجل من قيس عيلان :

وبينـا نحـن ننظـره أتـانـا مُعَلِّـقَ شكـوةٍ وزنـادَ راعِ[1]

---

(١) الشكوة : وعاء كالدلو .

فقوله « زنادَ » منصوب لأنه معطوف على محل « شكوة » المجرورة بالإضافة لفظاً ، ومعناها معنى المفعول به ، فمحلها النصب .

وزعم أحد أساتذة سيبويه ، وهو عيسى بن عمر ، أن العرب تنشد هذا البيت بنصب « عبدَ » :

هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتنا   أو عبدَ ربٍّ أخا عون بنِ مخْراق

لأنهم يعطفون « عبد » على محل « دينار » وهذا كثير .

٧ ـ العطف على التوهم :

يعني التوهم هنا استغراق المتكلم استغراقاً نفسياً في الفكرة والموضوع ، فيعتمد على ما يكثر في اللغة من أصول تركيبية ، وعادات كلامية ، فيسوق كلامه على وفقها والمقام لا يحتمله ، لاعتماده على أصل آخر ، يوضح هذا قول زهير :

بدا ليَ أني لستُ مدركَ ما مضى   ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فقد عطف « سابق » على « مدرك » ، ولكنه جَرَّهُ ، ولم ينصبه كما يقتضي العطف ، لأنه لاستغراقه النفسي في فكرة البيت ، وانشغاله بها ، توهم أنه أدخل الباء الجارة على خبر « ليس » ، كما هي العادة المتبعة في كلام العرب ، فجر المعطوف عليه لذلك .

٨ ـ عطف الجمل :

وتعطف جملة على جملة ، نحو : جاء أخوك والتقى بأبيه ، ويجوز عطف الجملة الاسمية على الفعلية ، كقوله تعالى : ﴿ وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (هود : ١٦) ، ومثله قول الشاعر :

عاضَها الله غلاماً بعدما   شابتِ الأصداغُ والضِرْس نَقِدْ

ومثله قولك : عَطِشْتُ وقِوايَ خارت .

٩ ـ العطف على محذوف :

وقد يعطف على ما حذف من الكلام لدلالة السياق عليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا مَسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ﴾ (يونس : ١٢) فقوله : لجنبه ، معلق بحال محذوفة ، عطف عليها قوله : قاعداً .

ومثله قوله : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾ (آل عمران : ٤٦) أي : يكلمهم طفلاً في المهد ، وكهلاً . . .

١٠ ـ عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح والعكس :

كما في قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ (البقرة : ١٢٢) أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي . وجاء العكس في قوله : ﴿ ما جزاءُ من أرادَ بأهلكَ سوءاً إلا أن يُسجَن أو عذابٌ أليم ﴾ (يوسف : ٢٥) أي : سجنٌ أو عذابٌ أليم .

* * *

التوكيد

التوكيد في العربية ذو مظاهر كثيرة ، فقد يكون بالقسم ، وقد يكون بزيادة حرف على التركيب ، مثل : قد ذهب ، لخالدٌ ذاهب ، وقد يكون بزيادة حرفين : إنه لذاهب ، والغاية من حروف التوكيد دفع الاحتمال الذي قد يلابس الغرض المعنوي في الجملة .

وثمة أسلوب آخر تستعين به العربية في توكيد المعنى ، وهو ذو شعبتين : الأولى يعاد فيها اللفظ نفسه ، والثانية يُتبع فيها اللفظ بلفظ آخر فيه معنى الشمول الذي يدفع احتمال النقص ، ويقال للطريقة الأولى : التوكيد اللفظي ، ويقال للثانية : التوكيد المعنوي .

١ ـ التوكيد اللفظي

هو ـ كما قلنا ـ أن يكرر اللفظ الذي يراد تأكيد معناه ، فقد يكون اسماً ظاهراً كقول قطري بن الفُجاءة :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلودِ بمستطاع

وقد يكون فعلاً ، كقولك : زاد زاد الأمرُ سوءاً . وقد يكون ضَميراً ، كقول الفضل بن عبد الرحمٰن القرشي :

فإياك إياك المراءَ فإنه إلى الشر دعَّاءٌ ، وللشرِّ جالِبُ

وقد يعاد الضمير المتصل منفصلاً لتعذر النطق به متصلاً ، كقوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) ، وإذا أريد تكراره بلفظه أعيد العامل فيه ، نحو : مررت بك بك .

ويؤكد الحرف أيضاً ، ولاسيما حروف الجواب ، مثل : لا ، ونعم ، وأجل ، وجيرِ ، كقول جميل بثينة :

لا ، لا أبوحُ بحب بثنةَ إنها أخذت عليَّ مواثقاً وعهودا

أما الجملة فإذا أريد توكيدها توكيداً لفظياً فالأكثر اقترانها بحرف عطف ،

كقوله : ﴿ كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون ﴾ (النبأ : ٤ و٥) ، ونحو ﴿ أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ (القيامة : ٣٤ و٣٥) .

ويجوز التوكيد بالمرادف ، وعليه قول المضرّس الربعي :

وقِلْنَ على الفردوسِ أوّلَ مشربٍ　　　أجلْ، جَيْرِ ، إن كانت أبيحت دَعاثِرُهْ

٢ ـ التوكيد المعنوي

ويستعان هنا بالألفاظ الآتية : النفس والعين ، كل وجميع وعامة ، كلا وكلتا ، أجمع وأجمعون وجمعاء وجُمَع[1] ، وقد سمي معنوياً لأن الكلمة فيه تكرر بمعناها لا بلفظها ، فبدل قولك جاء خالد خالد . تقول جاء خالد نفسه .

آ ـ التوكيد بالنفس والعين :

الغاية من استعمال هذين المؤكدين التثبت والتمكين ، ودفع احتمال المجاز الذي تتسم به اللغة العربية ، فإذا قلت : بنى الأميرُ المدينة ، عرف السامع أن إسناد البناء إلى الأمير إنما هو ضرب من المجاز ، وليس حقيقة . وإذا قلت : جاء الأميرُ ، فربما توهم السامع أنك لا تريد الأمير نفسه ، بل تقصد إلى تبَعِه ومَن في حاشيته ، ولهذا تلجأ العربية ، لدفع هذا التوهم ، إلى استعمال إحدى الكلمتين : نفس وعين ، نحو : جاء الأميرُ نَفْسُه ، ومررت بالأميرِ عينِه .

أما الطرائق التي يستعمل بها هذان اللفظان فهي :

ـ يجب أن يكون في كل منهما ضمير يربطه بما يؤكد ، كما رأيت .

ـ إذا أريد أن يؤكد بهما الضمير المتصل أو المستتر ، فإن كان ضمير رفع ، جيء بالضمير المنفصل ثم جيء بأحد اللفظين ، نحو : جئتَ أنت نفسُك ، أما أخوك فقد جاء هو نفسه . ولا يجوز أن تقول : جئت نفسُك . وإذا كان الضمير ضمير نصب أو جر أكد بهما دون توسط الضمير المنفصل ، مثل : رأيته نفسَه ، ومررت به عينِه .

(١) ومنها أيضاً : أكتع ، وأبتع ، وأبصع ، وبتعاء ، وبصعاء ، وكُتَع ، وبُتَع ، وبُصَع . وتستعمل هذه من قبيل الإتباع .

ـ وإذا أريد بهما توكيد الجمع استعملا بصيغة الجمع ، نحو : جاؤوا هم أنفسهم . وإذا أكد بهما المثنى فالأفصح أن يكونا بصيغة الجمع أيضاً ، نحو : جاء الطالبان أنفسهما ، ويجوز ـ على ضعف تثنيتهما .

ـ ويجوز أن يجر كل منهما بالباء الزائدة ، نحو : جاء أخوكِ بنفسه أو بعينه .

ب ـ التوكيد بكل ، وجميع ، وعامة :

تدل هذه المؤكدات على الشمول والإحاطة ، ولذلك تستعمل لدفع توهم النقص ، كما في قولهِ تعالى : ﴿ ولقد أريناهُ آياتِنا كلَّها فكذبَ وأبى ﴾ (طه : ٥٦) وكما هو واضح في قول النابغة يخاطب النعمان :

مهلاً فِداءٌ لك الأقوامُ كُلُّهُمُ   وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلدِ

فالشاعر لا يستثني أحداً من الأقوام ، ولولا قوله « كلهم » لاحتمل الكلام استثناء .

وهذه الألفاظ لابد لها في الاستعمال من أن تضاف إلى ضمير المؤكَّد أو إلى لفظه الصريح ، كما ترى في الآية والشعر ، وإلا كان لها إعراب آخر ، فإذا قلت : جاء الطلاب جميعاً . كان إعراب « جميعاً » حالاً لا توكيداً . ومن إضافتها إلى الاسم الظاهر قول جرير :

ألست أملح من يمشي على قدَمٍ   يا أملح الناسِ كلَّ الناسِ إنسانا

والأصل أن تؤكد المعارف ، إلا أن بعض النكرات تدنو من رتبة المعارف لأنها ذات دلالة محددة ، كقولك : أسبوع ، شهر ، سنة . فهذه نكرات ، ولكنها محددة المدلول ، أما : زمن ، دهر ، مدة ، فمبهمات الدلالة . فما كان من النكرات محدداً مفيداً جاز توكيده بهذه الألفاظ ، تقول : أقمت هنا أسبوعاً كله ، (جميعه ، عامته) ، وعليه قول الشاعر الهذلي عبد الله بن مسلم :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجبٌ   يا ليتَ عدةَ حولٍ كلِّه رجبا

أما النكرة غير المحددة فلا تؤكد ، فلا يقال مثلاً : أقمت هنا زمناً كله .

جـ ـ التوكيد بأجمع ، وجمعاء ، وأجمعين ، وجمع :

وهذه الألفاظ تستعمل بعد « كل » مبالغة في التوكيد ، كقوله تعالى :

﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (الحجر : ٣٠) ، ولكن قد تحذف « كل » وتبقى هذه الألفاظ وحدها نحو : ﴿ فبعزتك لأغوينَّهم أجمعين ﴾ (ص : ٨٣) ونحو : ﴿ إن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ (الحجر : ٤٣) .

د ـ التوكيد بكلا وكلتا :

يراد بهما إثبات الحكم لاثنين دون احتمال أن يكون لأحدهما، نحو : جاء الطالبان كلاهما ، والطالبتان كلتاهما ، ورأيتهما كليهما أو كلتيهما .

فإذا كان الفعل لا يقع إلا من اثنين لم يجز توكيده ، فلا يقال : اختصم الرجلان كلاهما . لأنه لا يمكن أن يكون في الكلام مجاز ، لأن الاختصام لا يكون إلا من اثنين .

* * *

فهرس الموضوعات

* * *